الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قاصدي مرباح ورقلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

المخبر: اللسانيات النصية وتحليل الخطاب

الميدان: اللغة والأدب العربي

شعبة التكوين: دراسات لغوية

أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه الطور الثالث في اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات تطبيقية

بعنوان:

تحصيل الملكة اللغوية في ضوء نظرية البيان العربي

إعداد الطالبة: جمعة نعامي

إشراف: أ.د.إسماعيل سيبوكر

نوقشت بتاريخ: 11-01-2022م

أمام اللجنة المكونة من السادة:

اسم ولقب عضو اللجنة	الدرجة العلمية	مؤسسة الانتماء	الصفة
عبد القادر بقادر	أستاذ التعليم العالي	جامعة ورقلة	رئيسا
إسماعيل سيبوكر	أستاذ التعليم العالي	جامعة ورقلة	مشرفا ومقررا
مباركة خمقاني	أستاذة التعليم العالي	جامعة ورقلة	مناقشا
عمر بوبقار	أستاذ التعليم العالي	المدرسة العليا للأساتذة العلمة	مناقشا
محمد بوادي	أستاذ التعليم العالي	جامعة سطيف	مناقشا
هنية عريف	أستاذة محاضرة"أ"	جامعة ورقلة	مناقشا

السنة الجامعية: 1443-1444هـ/ 2021-2022م

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٢﴾ (الرحمن/1-2)

"وَكَيْفَ فَتَحَ لَهَا مِنْ بَابِ الَمعْرِفَةِ عَلى قَدْرِ مَا هَيَّأَ لَهَا مِنَ الآلَةِ، وَكَيْفَ أَعْطَى كَثيرًا مِنْهَا مِنَ الحِسِّ اللَّطِيفِ، وَالصَّنْعَةِ البَدِيعَةِ، مِنْ غَيْرِ تَأْدِيبٍ وَتَثْقِيفٍ، وَغَيْرِ تَقْوِيمٍ وَتَلْقِينٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَدْرِيجٍ وَتَمْرِينٍ، فَبَلَغَتْ بِعَفْوِهَا وَبِمِقْدَارِ قِوَى فِطْرَتِهَا، مِنَ البَدِيهَةِ وَالاْرتِجَالِ ، وَمِنَ الابْتِدَاءِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ حُذَّاقُ رِجَالِ الرَأْيِ وَفَلَاسِفَةِ عُلَمَاءِ البَشَرِ بِيَدٍ وَلَا آلَةٍ" [1]

"اعْلَم أنَّ العُلُومَ البَشَرِيةَ خَزَائِنُهَا النَّفْسُ الإِنْسَانِيَّة بِمَا جَعَلَ اللُه فِيهَا مِنَ الإِدرَاكِ الذِّي يُفِيدُهَا ذَلكَ الفِكْرُ المُحَصّل لَهَا ذَلكَ التَّصَوُّر لِلْحَقَائِقِ أَولًا، ثُمَّ بِإِثْبَاتِ العَوَارِضِ الذَّاتيَّةِ لَهَا أَوْ نَفْيهَا عَنْهَا ثَانِيًا، إِمَّا بَوَسَط أَو غَيْرِ وَسَط، حَتَّى يَسْتَتْتِجُ الفِكْرُ بِذَلِكَ مَطَالِبَهُ التِّي يَعْنِي بِإِثْبَاتِهَا أَوْ نَفْيِهَا. فَإِذَا اسْتَقَرَّت ذَلِكَ صُورَةً عِلْمِيَّةً فِي الضَّمِيرِ فَلَا بُدَّ مِنْ بَيَانِهَا لِلآخَر: إِمَّا عَلَى وَجْهِ التَّعْلِيمِ؛ أَوْ عَلَى وَجْهِ المُفَاوَضَة، تَصْقل الأفْكَار فِي تَصْحِيحِهَا. وَذَلِكَ الَبيَانُ إِنَّمَا يَكُونُ بِالعِبَارَةِ..."[2]

---

[1]– الحيوان، الجاحظ، ج1، ص36.

[2]– المقدمة، ابن خلدون، ص1023.

الإهداء

أهدي عملي لله جلَّ في علاه

وإلى صفيّه وحبيبه سيّد المرسلين ورحمة العالمين سيّدنا محمّد عليه أفضل

الصَّلوات وأزكى التسليم

وإلى صحابته وأهل بيته أجمعين

وإلى جميع أنبيائه ورسله وأصفيائه في العالمين

وإلى جميع أوليائه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين

إلى والدي أهدي لهم ثمرة هذا الجهد

شكر وعرفان

إنَّ من تمام الشكر شكر الله على نعمة العلم والعقل والهداية المحمدية

نشكره أن جعل سيّد الوجود سيّدنا محمَّدا صلى الله عليه وسلم الرحمة

المهداة وسبيل النَّجاة

شكرا يوفي حقَّ أمَّهاتنا وآبائنا علَّة وجودنا، ولَّدوا فينا عزيمة وقـــدوة حتى

نبلـــــــــغ القمم.....

شكرا يوفي حقَّ أساتذتنا أن أوقدوا سراج العلم وكتبوا في رقيم

صفحتنا فكرا ظلَّ يعمل بوصيتهم فينا...وكان قلمهم كلمة طيّبة

كشجرة طيبة تؤتي أكلها كلَّ حين بإذن ربّها

شكرا لنعمة القرآن وأهله سراج الأمم، حكمة ورفعة في السموات العلى

إلى شهداء الجزائر الأبرار

شكرا لكلّ من ساهم بحرف إحسان، بأسمائهم وأرواحهم ودعائـــــــــهم

مقدمة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصَّلاة والسَّلام على أشرف مخلوق بعث للهدى سيّدنا محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم وعلى آله وصحبه أجمعين

الحمد لله الذي ذلَّ كل شيء لعظمته، المحيط بكل شيء علما، خالق الإنسان في أحسن تقويم علَّمه البيان، القائل في **كتابه العزيز**: ﴿ ۝١٩٢ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٣ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٤ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٥ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٦ ﴾ **(الشعراء/192-195)**.

أما بعد :

يعدّ البحث في البيان العربي من أخصب الدراسات في البحث اللغوي، نظرا لما اتسمت به مادة هذا البيان من تنوع ضمَّ مختلف النصوص والمدونات اللغوية، والمعاجم بمختلف أنواعها، وغيرها من المؤلفات التي لم تترك جانبا يتعلق باللغة والكلام إلا وطرقته؛ وهو باب واسع في التراث اللغوي العربي، لذلك فقد مثلت مرحلة السليقة العربية(الفصاحة) أدق تصوير لملكة اللسان العربي في هذا الباب، ونظرا لأن هذه الملكة هي بمعنى آخر الأداء البياني الفعلي لها؛ نشأت في أحضان القرآن العظيم مجموعة من العلوم تحاول اكتشاف حدود هذه الملكة بغية فهم القرآن العظيم، وإتقانه أداء وعملا؛ وتعليمها للناطقين بغيرها، فكان النظر اللغوي عاكفا على جمع مادة البيان العربي، وتمييز وظائفه الاستعمالية، وكان النظر النحوي منصبا على استنباط قواعده، وكان النظر الصوتي يعمل على تجويده وتحقيق حروفه، وأما النظر البلاغي فقد انصبَّ على تحديد قواعد المعنى والفهم. وبين حقيقة هذه الملكة اللغوية وأوجه النظر التي ذكرناها؛ ما تزال إلى اليوم إشكالية كيفية تهذيبها، وتنميتها على النحو الذي كانت عليه.

ونظرا لشساعة موضوع نظرية البيان العربي؛ فقد اقتصرنا على عالمين اثنين هما؛ الجاحظ وابن خلدون؛ فلأول يعدّ مؤسس نظرية البيان العربي لما اتسمت به الرؤية البيانية الشاملة عنده بخاصة فهم ملكات الإنسان، وفهم ملكة اللغة؛ والثاني يعدّ بحسب اطلاعنا من أوائل من وظف مصطلح (ملكة) وربطه بعلوم اللسان العربي.

وعليه فإن جوهر إشكالية هذه الدراسة؛ تتعلق بطبيعة ملكة اللسان العربي؛ وكيفية تطويرها على الصورة التي كانت عليها في عهد السليقة العربية؛ وقد تفرعت عن هذه الإشكالية مجموعة تساؤلات تحاول ملامسة هذه الإشكال وإعطاء تصور مبدئي في المعالجة:

-ما هي متطلبات الملكة اللغوية في عهد السليقة العربية؟

-هل حافظت أوجه النظر النحوي، والصوتي، والبياني على ملكة اللسان العربي؟ وكيف يمكننا استثمار القواعد النحوية، والحدود الصوتية، والوظائف البيانية للكلمات العربية في مجال التحصيل والاكتساب اللغوي؟

-كيف فهم الجاحظ ملكة البيان عند العرب؟ وما هو أساس التحصيل والتعليم عنده؟

-كيف ميز ابن خلدون بين نظرة علوم اللسان العربي في وصف هذه الملكة؛ وبين حقيقة الملكة اللغوية الفطرية؟

تصبح الرغبة هي المحرك للأسباب في جميع ما يبحث ويكتب، ولا بدَّ أنَّ تساؤلنا المتواصل في البحث عن سر الإبداع اللغوي-اللغة والكلام- عند الإنسان أحد أهم ما نهضت بهذه الدراسة؛ فالحديث عن اللغة وتفاصيلها ينهض به أمر آخر وهو التحصيل والاكتساب، وذلك أقرب إلى فهمها وفهم وسائلها وحدودها وغايتها، وهذا ما يحققها فعلا وعملا وتطبيقا في البيان عند الإنسان، أو البيان العربي الذي نحن بصدد معالجته برؤية إحيائية وبرؤية أقرب إلى جنسه وطبيعته.

إنَّ إحياء التُّراث اللساني العربي هو إحياء جملة من آراء العلماء العرب القدماء حول وصف البيان العربي، وحدود النَّظر فيه؛ وتهدف هذه الدراسة إلى إعطاء تصور واضح عن الملكة اللغوية؛ في ضوء نظرية البيان العربي، وذلك في سياق متطلبات الملكة اللغوية في عهد السليقة، التي يمكن من خلالها وصفها ووصف حدودها؛ كما تهدف الدراسة إلى الوقوف على تعريف الجاحظ للبيان وعلاقته بمبادئ فهم الملكة اللغوية وتحصيلها؛ إضافة إلى توضيح مصطلح الإحياء عند ابن خلدون وعلاقته بعلوم اللسان العربي وبفطرية ملكة الملكة اللغوية، في مقابل المصطلح المعاصر المتعلق بالارتقاء.

إضافة لما ذكرناه سابقا فإننا في هذه الدراسة نحاول استثمار آليات التحليل البياني في فهم النُّصوص، وفق وظائف الكلمات البيانية وخصائصها، وأساليب تأليف الكلام، واستعمال الحواس؛ ونقل هذه المفاهيم إلى صناعة المعاجم والتأليف، والترجمة.

تطلب العمل لمعالجة الموضوع محاولة الإجابة عن الإشكالية والتساؤلات المتفرعة عنها؛ ومحاولة الوصول إلى الأهداف المرسومة؛ فكانت تفاصيل الخطة متفرعة إلى: مقدمة وثلاثة فصول؛ حاولنا في **أوَّلها** إبراز أهم **متطلبات الملكة اللغوية في عهد السليقة**، وضم الفصل بدوره ثلاثة مباحث، يعالج **المبحث الأول : مصطلحات الدراسة وآلياتها الإجرائية** وهي التحصيل والملكة اللغوية ونظرية البيان العربي؛ تبعه **مبحث ثان: الحدود الصناعية للملكة اللغوية في النظرية النحوية وأسس تحصيلها**، تناول شروط الفصاحة في عهد الاحتجاج، ودور القياس في تقويم اللسان من الخطأ، وكذلك أهمية الشواهد النحوية واللغوية، وتطبيقات النظرية النحوية وأقسام تحليل الكلام، كما تطرق المبحث أيضا لمجموعة من الأوصاف الصوتية من خلال قراءة موجزة لإتقان البيان والنطق والكلام في جهود الصوتيين والنحاة العرب القدامى في إطار أساليب إتقان الحروف العربية والصوتية، عقبه **مبحث ثالث: الوظائف البيانية لمسالك العرب في كلامها(من ناحية الوضع والاستعمال)**؛ أجبنا فيه عن خصائص الأداء البياني العربي ومسالك العرب في كلامها؛ وضمناه مجموعة من الرؤى

الخاصة بوظائف البيان العربي، وأثر منطق اللغة في نمو الملكات، ومشاكل استعمال اللغة، وكذلك مستويات التحليل البياني.

أما **الفصل الثاني** من الرسالة فقد وسمناه **بـ" تحصيل الملكة اللغوية عند الجاحظ من خلال مفهوم البيان والتبيين"**؛ وتطلبت المعالجة تناول ثلاثة مباحث كذلك، **المبحث الأول : الأسس الفطرية للتحصيل والتعليم عند الجاحظ،** وهي المقدمات والسلوك والحركة وقوى الإنسان وغاية العمل بها؛ كما بحث أيضا في الأسس النفسية والاجتماعية في تهذيب الملكات عند الإنسان، وذلك ضمن المظهر الاجتماعي والنفسي الخلقي للبيان وللملكة اللغوية، وغيرهما من المسائل المتعلقة بخصائص الأداء البياني واختلافه بين الناس، وصعوبات تعلم اللغات، ودرجات العلم، أما **المبحث الثاني: مبادئ التحصيل في ضوء تعريف البيان عند الجاحظ،** فقد بينا فيه أسس ومبادئ التحصيل في تعريف الجاحظ للبيان، وركزنا التحليل على حدود التعريف ودرجات البيان وغايته، وأتبعناه بفكرة اضطراب البيان والكلام عند الجاحظ، وجوهرها ومصادرها بصورة موجزة؛ اقتضت هذه الفكرة التطرق لأبعاد تصنيف البيان عند الجاحظ في **مبحث ثالث: أبعاد التصنيف ودورها في تحديد الملكة اللغوية وعلاقتها بالملكات الأخرى**؛ عبر قراءة تبين علاقة الملكة اللغوية بالمجتمع والنفس والملكات الأخرى مثل الكتابة وشروطها، ومفاهيم الترجمة ومستوياتها، ودورها في تداخل اللغات؛ وغيرها من المسائل المتعلقة بتعليم اللغات.

أمَّا **الفصل الثالث: تحصيل الملكة اللغوية بين حدود النظر ومقومات التحقيق عند ابن خلدون؛** فقد عالجنا فيه شقا من الإشكالية المتمثل في بيان أوجه المقارنة التي عقدها ابن خلدون بين حدود النظر في اللسان العربي ووجه التحقيق الفعلي أي الفطري الارتجالي للملكة اللغوية؛ لزم أن نعالج هذا الفصل في ثلاثة مباحث؛ يتناول **المبحث الأول الملكة اللغوية والفعل والسلوك وتقويم اللسان؛** وفيه نبين نظرة ابن خلدون بإرجاع الملكة اللغوية إلى موضوعها الخلقي والنفسي التحصيلي، وذلك ببيان حدودها واستعداداتها، وكذلك دور

التمييز عند الإنسان فيما يخص السماع والأصوات اللغوية، ودوره في تحصيل العلوم والتعلم بشكل عام الناتج عن هذا التمييز والتجميع والحفظ ومصادره مثل الكتابة والمشافهة، ومكانة العقل والنقل والتقليد في تحصيل المعارف وبيانه بواسطة الخطاب والعبارة؛ أما **المبحث الثاني : درجات وصف علوم اللسان للبيان العربي؛** وهو الأهم في إتمام الإجابة عن التساؤل المتعلق بدرجات وصف علوم اللسان للبيان العربي بما هو ملكة في اللسان، وفيه أجملنا القول في مستويات التحليل البياني الخاصة بالمستوى النحوي واللغوي والبياني والأدبي، مع الإشارة إلى مجموعة من المسائل ذات الصلة بالمقارنة بين اللسان العربي وغيره من الألسنة، وخصائص تلك المستويات ودورها في البيان بشكل عام؛ وأخيرا عالج **المبحث الثالث: أوجه التحقيق في الملكة اللغوية وطرائق تحصيلها؛** جملة من النقاط الأساسية المتمثلة في أوجه التحقيق من خلال علوم اللسان وحقيقة الملكات عند الإنسان بما فيها ملكة اللغة، وذلك بإيضاح مفهوم الفطرة وتحقيقه وعلاقته باللغة، وبحال الإنسان، ونفسه، وخطابه، كذلك أبرزنا غاية العمل وهي البيان عند الإنسان، المتمثلة في القصد والفعل والبلاغة والإفادة؛ وهذه كلها تتعلق بصفة الارتجال في ملكة اللسان العربي، وهي مظاهر أقرب للطبع والفطرة والارتجال من حدود الفكر والنظر والتجريد في عملها، الأمر الذي جعل فكرة تشومسكي تختلف نوعا ما عن فكرة ابن خلدون فيما يخص المنطلقات والمنهج، وموضوع البحث، والغاية، وعليه فإن جوهر الملكة اللغوية وجوهر تحصيلها عند الثاني هو تحصيل الذوق البياني، والذي أراد ابن خلدون من خلاله الوصول لوجه تحقيق الملكة اللغوية، عبر إعطاء منطلقات تطبيقية للتحصيل والاكتساب، مميّزا في هذا المقام أهم ما يعوق هذه الملكة؛ وهي العجمة وقد تناولنا بشيء من الإيجاز مستوياتها وعلاقتها بالتداخل اللغوي، وغيره من المسائل ذات الصلة بالارتجال والكفاية، وخصائص العبارة البلاغية والعبارة العلمية.

أنهينا عمل الرسالة **بخاتمة** ضمناها أهم النتائج المتوصل إليها والمقترحات العلمية؛ مذيلين ذلك **بثبت لمصطلحات الدراسة وآخر للمصادر والمراجع وثبت لموضوعات الرسالة.**

استدعى البحث الأخذ بالمنهج الوصفي وذلك للوقوف على مفهوم الملكة اللغوية وحدود النظر فيها، وكذلك مفهوم البيان، انطلاقا من تتبع الموضوع في مصنفات ومؤلفات معينة عبر تحليل ووصف جملة من آراء اللسانيين العرب القدماء، ومنهم المفكرون.

وغيرها من أدوات التحليل الأخرى مثل القياس، والتحليل والتركيب، والمقارنة، أثناء بسط الآراء أو المفاهيم الخاصة بالتحصيل والاكتساب بعامة، واللغوية بخاصة.

مثلما أشرنا سابقا فإنَّ توسع الموضوع أدى إلى توفر المصادر والمراجع، لكن لم يمنع ذلك بأن ننتقي الكتب التي لها علاقة بالموضوع؛ أي بين استعمال الكتب القديمة التراثية والمعاصرة على السواء؛ مبتعدين قدر المستطاع عن الكتب الجدلية المتعلقة بكتب الإعجاز، حتى يمكن حصر المسائل المتشعبة والاكتفاء بحدود الخطة المرسومة، فمن بين تلك الكتب مؤلفات الجاحظ: الرسائل، والحيوان، والبيان والتبيين، وكتاب المقدمة لابن خلدون، وأخيرا مادة البيان العربي وهي المعاجم : منها لسان العرب لابن منظور.

واعتمد البحث أيضا على مجموعة من المراجع منها؛ مؤلفات سعيد الأفغاني: في أصول النحو، ومن تاريخ النحو، وكتاب نظرية البلاغة العربية، دراسة في الأصول المعرفية، أحمد سعد محمد، وكتاب نظرية البيان العربي (خصائص النشأة ومعطيات النزوع التعليمي–تنظير وتطبيق)رحمان غرقان، وكتاب الملكة اللغوية في الفكر العربي للشرقاوي، وكتاب النظريات اللسانية والبلاغية عند العرب، محمد الصغير بناني، وأخيرا كتب تشومسكي المترجمة.

ولتعميق الرؤية استند البحث إلى خمس دراسات هامة وهي :

– ملامح التفكير السيميائي في اللغة عند الجاحظ، من خلال البيان والتبيين، عامر بن شتوح، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح ورقلة– الجزائر، 2009.

- النظريات العربية حول حصول الملكة اللغوية، حسين زروق، رسالة ماجستير، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة الجزائر، 1985-1986.
- الجاحظ في قراءات الدارسين المحدثين، محمد عبد البشير مسالتي، رسالة دكتوراه، جامعة سطيف2، 2013-2014.
- مفهوم السليقة اللغوية في التراث النحوي عند العرب-دراسة لسانية، مصطفى بوجمالة، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2002-2003.
- ملامح نظرية النص عند الجاحظ من خلال"البيان والتبيين"، بشرى بوشلاغم، رسالة ماجستير، جامعة فرحات عباس -سطيف(الجزائر)، 2010-2011.

لقد واجه مسار البحث عدة صعوبات تتجلى في: قابلية الموضوع للمعالجة من عدة زوايا؛ لسانية بلاغية أصولية، أدبية ونقدية وتأويلية صوفية، وهذا ما يجعل حصره في زاوية محددة أمرا صعبا منهجيا ومعرفيا، وأيضا صعوبات تتعلق بنظرية البيان العربي: ويمكن أن نجملها في النقاط التالية:

***المصطلح:** التعدد المفهومي للمصطلحات: اللغة، واللسان، والسليقة، والملكة، والبيان، ونظرية البيان العربي.

***المنهج:** ويشمل نقد المحدثين للسليقة العربية، وبدايات العربية، ولغة أهل الحجاز(لغة قريش)، والمآخذ حول قواعد الاحتجاج، وأخيرا اختلاف وجهات النظر في دراسة الصوت اللغوي، بين الوصف والتأويل.

***مادة الموضوع** : هناك فاصل بين مادة البيان العربي؛ في المعاجم العربية، وفي مؤلفات التأليف اللغوية والفكرية، مما نتج عنه تشعب المسائل، وتفرعها واختصاص بعضها بالجدل.

***صعوبة التقريب بين النظرية البيانية العربية والنظرية اللسانية المعاصرة؛** لأسباب منها: المنهج والمنطلقات ومادة البحث والغاية، فالأولى منهجها بلاغي تطبيقي، نابع من منطلقات الفهم والإفهام للقرآن العظيم، لتعليم الناطقين باللسان العربي وللناطقين بغيره، في

حين الثانية منهجها فلسفي ومنطقي هدفه الكليات اللسانية، وتنصب في لغة التواصل تمثيلا وشواهدا.

*قلة الدراسات اللسانية المعاصرة الجادة التي تناولت آراء الجاحظ وابن خلدون وفق نظرية البيان العربي، فهي وان تطرقت لبعض الأفكار إلا أنها لم تفصل أو تبين منطق التقريب بين النظرة العربية واللسانية المعاصرة.

وختاما فإنَّ هذا الجهد ليس إلا لبنة أولى أمام صرح شيده العلماء العرب القدماء في باب البيان، فإن أصبنا فمن الله عز وجلَّ، وإن أخطأنا فمن زلة القلم والنسيان.

أشكر الله عزَّ وجلَّ وأحمده على إتمام هذا العمل في أحسن الظروف فهو حسبي وبه التوفيق والسداد، وأصلي وأسلّم على نبيّه الكريم وعلى جميع الأنبياء من قبله، وعلى جميع صحابته وأوليائه، من التابعين والصالحين إلى يوم الدين.

أوجّه خالص تحياتي وشكري إلى الأستاذ الدكتور المشرف إسماعيل سيبوكر الذي لم يتوان لحظة حرصا على اكتمال الرسالة، وتتبع مراحل إنجازها وتقويمها على الوجه الذي يرضي بحول الله تعالى، والشكر موصول أيضا إلى الأستاذ الدكتور بقسم العلوم الاجتماعية بجامعة ورقلة أحمد زيغمي، والأستاذ الدكتور حسين دحو بجامعة ورقلة، والأستاذ الدكتور محمد الأمين خويلد بجامعة الجلفة، والأستاذة الدكتورة جميلة رجا بجامعة تيزي وزو.

تم بحمد الله وعونه في : 2021/06/09 بورقلة جامعة قاصدي مرباح

جمعة نعامي

والله من وراء القصد

والله ولي التوفيق

البريد الالكتروني:

tacwaallah30@gmail.com

الفصل الأول: متطلبات الملكة اللغوية في عهد السليقة العربية

المبحث الأول: مصطلحات الدراسة ومفاهيمها الإجرائية

المبحث الثاني : الحدود الوصفية للملكة اللغوية وسبل تهذيبها

المبحث الثالث: الوظائف البيانية لمسالك العرب في كلامها (من ناحية الوضع والاستعمال)

تمهيد:

استعملنا في هذا الفصل مصطلح(متطلبات الملكة اللغوية) لما يوحي به هذا الأخير من مفاهيم تمتدّ إلى بيان حقيقة الملكة اللغوية بما هي أداء بياني في زمن السليقة العربية، وقد عمل ثلَّة من النحاة العرب القدامى، واللغويين والمفسرين، وحتى الفلاسفة منهم للنَّظر في هذا البيان العربي، والمهم أنَّ طريقة هؤلاء خلَّفت منهجا لفهم اللغة العربية، من خلال استنباط قوانينها، فكان القياس النحوي غرضا لتقويم الخطأ وردّه إلى الصَّواب، ووسيلة للإبداع، وكانت القواعد أسلوبا لتعليم غير الناطقين بالعربية، كما خلَّف منهجهم مجموعة من الإجراءات التطبيقية في تحليل البيان العربي، بدءا بالقرآن العظيم، والحديث الشريف، والكلام العربي الفصيح من الشعر والنثر، وهذه الإجراءات هي مستويات التحليل الكلامي: النحوي، والبلاغي، والمنطقي.

اجتمع مع النُّحاة البلاغيُّون، لكن كان النَّظر للملكة اللغوية بما هي أداء بيانيّ يستند إلى حفظ الفهم من الزيغ والتحريف، فتركوا هم أيضا منهجا لا يقل أهمية عن الأول؛ بقدر ما يكمله، وهو تحليل البيان العربي؛ انطلاقا من فهم النص؛ عبر منطق اللفظ البياني العربي، وعبر منطق استعمال الكلام وهو النظم، وعبر استعمال الحواس والملكات النفسية، وهي الفهم والتأويل والتحليل وغيرها من الملكات عند الإنسان. وهنا ظهرت مسائل ذات شأن تتعلق بالترجمة والإبداع والتفكير، ومسائل فقدان شروط الملكة اللغوية بعد عهد السليقة العربية.

وعليه يمكن القول أنَّ هذه الحدود والشروط في فهم الملكة اللغوية عند علمائنا القدامى؛ لا تنفك تتصل بعدّة أهداف وغايات أهمها؛ التعليم، وتحليل مستويات هذا البيان العربي، والإبداع وغيره.

كما يدلُّ هذا التَّصور دلالة واضحة لفهم طبيعة اللسان العربي، فهو يمثل مقياسا نرى به حدود الملكة اللغوية، ونلمس موضوعها؛ فالبيان العربي وسيلة لبلوغ غايات أسَّس لها الجاحظ فيما بعد؛ من خلال إبراز أسس التحصيل والتعليم؛ ومفهوم البيان، ووسائله، وأيضا

غايته، كما نتبيَّن أيضا اهتمام ابن خلدون بالعودة إلى صفاء الفطرة ومتطلبات الملكة اللغوية في عهد السليقة العربية، وذلك من خلال بيان موضوع الملكة اللغوية، وإبراز الاستعدادات النَّفسيَّة والجسميَّة، وعلاقتها باللغة، وبمستويات البيان النظرية المتمثلة في النحو واللغة والبيان والأدب، وأخيرا إحياء وجه التحقيق في كل هذا مع بسط الحديث حول سبل التحصيل والتهذيب والتعليم المتعلقة بنصوص العربية الفصحى، وإن لم يفصل ابن خلدون طرائق تعليم النص القرآني، فإن مبادئ وشروط الملكة اللغوية التي حددها علماء الصوت العرب؛ أكمل منهجا في رياضة الألسن والأداء البياني ولا أدل على هذا العمل منهج القراء وأهل الرواية.

يمكن القول أنَّ هذا الفصل أرضيَّة معرفية نستطيع من خلالها أن نفهم عن الجاحظ تأسيسه لنظرية البيان من خلال رؤية شاملة تتجاوز نوعا ما استنبطه القدامى فيما يتعلق بحد النحو والبلاغة؛ إلى التركيز على أوجه هذه السليقة التي أطلق عليها اسم(البديهة والارتجال والبيان والتعرف)، كما يمكن أن نفهم عن ابن خلدون تقويم هذه العلوم والإجراءات، بما يناسب العودة إلى متطلبات الملكة اللغوية في عهد السليقة العربية.

المبحث الأول : مصطلحات الدراسة ومفاهيمها الإجرائية

أولا : شواهد ومصادر مفهوم الملكة اللغوية

يتناول هذا المبحث مجموعة من المصطلحات الأساسية التي تتعلق بالآليات الإجرائية للدراسة، وأهمها؛ مصطلح (مَلَكَة)، ومصطلح (نَظَر) و(نَظَرِيَّة)؛ ومصطلح (بَيَان عَرَبِي)، ومصطلح (تَحْصِيل)، وتطبيقات (نظرية البيان العربي في علوم اللسان).

نعدّ هذه التعريفات الشواهد والمصادر المعجمية أحد أبرز مصادر البيان العربي، ونعني بذلك المداخل المتعددة التي تعتمدها هذه المصادر من اشتقاقات لغوية وشواهد شعرية وقواعد نحوية صرفية، وغيرهما من الاستعمالات اللغوية العربية في الكلام الفصيح من الآيات القرآنية، والأحاديث الشريفة.

على أننا لم نأت على ذكر مفاهيم هذه المصطلحات عند أهم لغوبينا ومفكرينا العرب القدامى بصورة تفصيلية، لأنَّنا سوف نتطرق إليها بحول الله تعالى في ثنايا الدراسة؛ الأمر الذي استصعب حصر تطورات هذه المصطلحات عبر حقب متوالية وفي كتب معينة، مما يتطلب دراسة مستقلة.

1-مصطلح ملكة :

أ-عند اللغويين القدماء:

تعدُّ كلمةُ" مَلَكَة" اشتقاقا من مادة"مَلَكَ"؛ وقد أورد صاحب اللسان ابن منظور(ت711هـ)[1] كل الاشتقاقات اللغوية المتعلقة بها، والاستعمالات التي جاءت في اللسان العربي.

على أن القارئ سيجد تفصيلا آخر متعلقا بالشواهد، في معاجم أخرى؛ وهذا يبرز الصفة الاستنباطية لعلمائنا فيما يخص منطق اللغة واشتقاقها وعلاقتها بالمعاني والاستعمال، من

[1]-لسان العرب، ابن منظور، تح: علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة-مصر، دط، دت، مادة(ملكة)، الصفحات:4266-4269.

ذلك نظرية ابن جني(الاشتقاق الأكبر)، وكلمة(ملكة) من تقليبات الجذر (كلم)، وتعني إحكام العجين وإجادته، ومنه القوة كذلك[1].

والحقيقة أنّ مسألة التعريف ما تزال إلى اليوم إشكالية كبرى تتعلق بعلاقة المداخل اللغوية، وكيفية توظيفها في صنع المصطلحات التي تعبر عن الجديد والمستحدث في العلوم والفنون؛ وكذلك مسألة التعريف بين المعاجم اللغوية العامة، والمعاجم المصطلحية الخاصة " فلا يسوغ–تمثيلا–أن نضم إلى قرن واحد كشاف اصطلاحات الفنون، ودستور العلماء، والتعريفات؛ لما بينهما من تباعد في السعة الاصطلاحية العامة..."[2].

فمثلا يعد التعريف " عند المنطقيين جعل الشيء محمولا على آخر لإفادة تصوره بالكنه أو بالوجه"[3]. كما أنّ هناك مصطلحات متشابهة أو لنقل ألفاظ أخرى مثل : الحد والرسم والتعريف الحقيقي والتعريف اللفظي المشاركة في المفهوم مصطلح "تعريف".

وفيما يلي المداخل المتعلقة بكلمة "مَلَكَ" وعلاقتها بكلمة"مَلَكَة"، والجدول التالي يشرح الاشتقاقات والمناسبة بين الكلمتين واضعين أمثلة من اللسان للتوضيح:

المدخل	المعاني
1-"**المَلِكُ**: 2-ا"**المَلْكُ**:	1-هو الله عز وجل **مَلِكُ المُلُوكِ** لَهُ **المُلكُ**، وَهُوَ **مَالِكُ** يَوْمِ الدِّينِ وَهُوَ **مَلِيكُ** الخَلْقِ وَرَبُّهمْ وَ**مَالِكُهُمْ** وفي التنزيل:"**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**"."وقوله تعالى:"**مَلَكُوتِ كُلِّ شَيْءٍ**" أي القدرة على كل شيء"**وَإِلَيْهِ تُرْجَعُون**" أي يبعثكم بعد موتكم" 2-ما ملكت اليد من مال وخول"

[1]- ينظر: الخصائص، بن جني (ت392ه)، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط2، دت، مج1 ، ص71.

[2]- تعريف المصطلحات في الفكر اللساني العربي أسسه المعرفية وقواعده المنهجية، البشير التهالي، دار الكتاب الحديث، لبنان، ط2، 2013، ص17.

[3]-المرجع نفسه، ص18-19.

1-المملوك: **2-الإمْلَاكُ :** **3- والمَلَكَةُ:مُلْكُكَ والمَمْلَكَةُ**	**العلاقة:** 1-**العبد** 2- **الإمْلَاكُ** : التزويج". 3- " **المَلِكِ** في رعيته.ويقال طالت **مَمْلَكَتُه** وساءت **مَمْلَكَتُهُ**... وعظم **مُلْكُه** كثر **مُلْكُهُ**"
1-تَمَالَكَ : **2- أَمْلِكْ :**	**ضبط النفس:** 1- "و**تَمَالَكَ** عن الشيء:مَلَكَ نفسه. 2-وفي الحديث:**أَمْلِكْ** عليك لسانك، أي لا تجره إلا بما يكون لك لا عليك"."...
1-: المِلَاكُ: **2- المِلَاكُ :**	**النظام والقوام:** 1- وفي الحديث **مِلَاكُ** الدين الورع. 2-**النظام والقوام**؛ ، بالكسر والفتح قوام الشيء ونظامه وما يعتمد عليه فيه..."
1-مَلْكُ : **2-مَلَكَ:**	**الجهة والإجادة:** 1-**الجهة والإجادة**؛ "**ومَلْكُ** الطريق ومِلْكُه وَ**مُلْكُهُ**:وسطه وحده" 2-و**مَلَكَ** العجينَ **يَمْلُكُهُ مَلْكًا وأَمْلَكَهُ** : عجنه فأنعم عجنه وأجاده".
1-المَلَكَةِ والمُلُوكَةِ ك **2- مِلْكُ :**	**أي الخُلُق:** 1-وأقرَّ **بالمَلَكَةِ** و**المُلُوكَةِ** أي **المِلْكِ**.وفي الحديث:لا يدخل الجنة سيء **المَلَكَةِ**، أي الذي يسيء صحبة **المَمَالِيكِ**، ويقال فلان حسنُ **المَلَكَةِ** إذا" كان حسنَ الصنيع إلى مَمَالِيكِهِ.وفي الحديث حسن **المَلَكَةِ** نماء، هو من ذلك". 2-"وهذا **مِلْكُ** يميني و**مَلْكُهَا** و**مُلْكُهَا** أي ما أملكه؛ وفي الحديث: كان آخر كلامه الصلاة وما **مَلَكَتْ** أيمانكم،يريد الإحسان إلى الرقيق..."

الجدول رقم(1):يشرح الاشتقاقات اللغوية لكلمة(مَلَكَ) وعلاقتها بكلمة(مَلَكَة)

وقبل أن نفيد بالاستنتاج، يتبيَّن لنا أنَّ معجم لسان العرب قد جمع معظم المعاجم العربية السابقة، من حيث المادة، ولذلك اقتصرنا على ما يفيده الجمع والاختصار.[1]

وعليه يمكن أن نستنتج أنَّ المعنى الجامع بين الكلمتين، هو الحكم والقدرة والقوة والتدبير والتصرف والقوام والنظام، والخُلُق، ويكون في النفس وفي المال والرعية، وفي أمور الدين وغيره.

وقد تبين لنا من مختلف التعريفات التي ذكرناها حول مصطلح(ملكة) " الوقوف على الامتداد الدلالي الكبير للمفهوم، بما يجعله يستوعب مفاهيم أخرى أحصيناها كالشرح والتفسير والكشف والايضاح والتمييز والوسم والوصف والماهية"[2]؛ فكل الذي ذكر يلخصه مصطلح" البيان.

ب-في الفكر العربي القديم:

إنَّ البحث في مصطلح (مَلَكَة) في الفكر العربي القديم، ليس بالأمر السهل لأنَّ التنقيب عنه يتطلب دراسات شاملة تستقصي جميع عناصر مجيء المصطلح والمفاهيم المشكلة له؛ ومجرد ذكر المصطلح في مؤلف ما يكون من المغالطة أن نبني عليه المفاهيم؛ نقصد بذلك ما جاء عن مصطلح (ملكة)عند كل من الفارابي(ت339هـ)، والغزالي(ت505هـ) وابن سينا(370هـ-428هـ) وغيرهم من الفلاسفة المسلمين، لذلك" تتوافر مجموعة من الدلائل على أن مصطلح (ملكة) قد مرَّ بعدة أطوار حتى استقر على صورته التي اتضحت بجلاء

[1]- وأهم هذه المعاجم اللغوية : معجم مختار الصحاح، للإمام الرازي، مكتبة لبنان، بيروت-لبنان، دط، 1986، ص264، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، الفيومي، تح : عبد العظيم الشناوي، ط2، دار المعارف، القاهرة، دط، دت، ص579، والقاموس المحيط، الفيروز أبادي، مكتبة تحقيق التراث، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط8، 2005، ص954-955، والمقاييس، ابن فارس(ت395هـ)، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، دط، دت، مادة (ملك)،ص351-352.

[2]- تعريف المصطلحات في الفكر اللساني العربي أسسه المعرفية وقواعده المنهجية، البشير التهالي، ص23.

في مجالات متعددة منها المشتغلين بالعلوم الفلسفية من المفكرين الذين تجاوزوا مرحلة الترجمة والنقل إلى التمثل والإبداع الفكري"[1] ونعني بذلك:

- **مرحلة الترجمة والنقل خصوصا**" من اليونانية والسريانية إلى العربية فمن أعلامها إسحاق بن حنين المتوفي(298هـ)ومن النصوص التي نقلها إسحاق بن حنين في هذه المرحلة كتاب(الطبيعة) لأرسطوطاليس..." [2]؛ وبالرجوع إلى تلخيص كتاب المقولات(لأرسطو) لابن رشد تأتي عبارة أرسطو كالتالي:(قال أي" أرسطو"وأسمي الكيفية (الهيئات) التي يجاب بها في الأشخاص كيف هي...ومن البين أن اسم"الملكة" إنما يدل في اللسان اليوناني على الأشياء التي أطول زمانا في الثبوت وأعسر حركة، فإنهم لا يقولون فيمن كان غير متمسك بالعلم تمسكا يعتدّ به: إن له ملكة(...)..."[3] .

-مرحلة الإبداع في نقل المصطلح(ملكة):

وهي الكتابات الفلسفية الإسلامية التي نقلت كتب أفلاطون أرسطو، وشرحتها باللسان العربي[4]:

- الفارابي: الملكة هي الأخلاق والأفعال.
- الفارابي: "كتاب الحروف": وأول ما يفعل شيئا من ذلك يفعل بقوة فيه بالفطرة، وبملكة طبيعية.
- ابن سينا: (الحدود): الملكة مكان القوة.
- ابن سينا(عيون الحكمة): العقل بالملكة.
- الغزالي: أثناء حديثه عن الألفاظ: القلب والروح والعقل والنفس؛أي شح قوى النفس الإنسانية الناطقة.

وهذه الأوصاف أوصاف تأويلية لقوى الإنسان وعلاقتها بالقلب والعقل والنفس والروح والجسد أغلبها شروح لكتب أرسطو من الفلسفة اليونانية والله أعلم بالصواب.

---

[1]– الملكة اللغوية في الفكر اللغوي العربي، السيد الشرقاوي، مؤسسة المختار، القاهرة–مصر، ط1، 2006، ص31.

[2]–المرجع نفسه، ص31.

[3]–المرجع نفسه، ص32.

[4]–المرجع نفسه، ص30–40.

وعليه اقتصرنا على التعريفات الاصطلاحية عند كلّ من الشريف الجرجاني (ت816هـ)، ومحمد بن علي التهاوني (ت1191هـ):

- الشريف الجرجاني(ت818هـ):

" المَلَكَةُ: هِيَ صِفَةٌ رَاسِخَةٌ فِي النَّفْسِ، وتَحْقِيقُهُ : أنَّه تَحْصُلُ للنَّفْسِ هَيْئَةٌ بِسَبَبِ فِعْلٍ مِنَ الأفْعَالِ، ويُقَالُ لتلكَ الهَيئَةِ: كَيْفِيَة نَفْسَانية، وتُسَمَّى حَالَة، مَا دَامَتْ سَرِيعَةَ الزَّوَالِ، فإذَا تَكَرَّرَت ومَارَسَتْهَا النَّفْسُ حَتَّى رَسَخَت تلكَ الكيفِيَةَ فيهَا، وصَارَتْ بطيئةَ الزَّوَالِ، فَتَصِيرُ مَلَكَةً، وبالقيَاسِ إلى ذَلك الفعلِ : عَادةً وخُلقًا"[1].

يمكن أن نفهم من التعريف أنه بنى وصفه لمصطلح (الملكة) انطلاقا من مراحل تشكلها؛ وهي مرتبطة بالنفس:

-الفعل ثم -كيفية نفسانية(حالة غير راسخة)-ثم حال راسخة(الملكة)؛ على أن المجهول هو تلك الكيفيات النفسانية والمشروط فيها ورود الفعل على النفس وتكرره؛ ثم يمكن أن نعمم ذلك على عادات النفس وخُلقها. ويلتقي تعريف الجرجاني بالتعريف اللغوي في مستوى الخُلق وحصوله؛ ويبدو واضحا أن الاستعمالات التي بيَّنها صاحب اللسان أوسع بكثير من اقتصار (الملكة)على الخُلق انطلاقا من الاشتقاقات التي وضَّحناها كالقدرة والقوة والحكم مثلا والتصرف؛ وسوف نرى الشبه بينه وبين ابن خلدون في تحديد مفهوم مصطلح(ملكة)[2].

-محمد بن علي التهاوني (ت1191):

لم يضف محمد بن علي التهانوي على ما قال به الشريف الجرجاني، في تعريفه للملكة، لكن يبدو أن المسألة التي تم التفصيل فيها تتعلق بمصطلح((هيئات وكيفيات نفسانية)، وهو ما درسه الفلاسفة وغيرهم من المناطقة والمتكلمين فيما نقل من ترجمات عربية.

[1]-التعريفات، الجرجاني(ت816هـ)، تح: نصر الدين تونسي، شركة القدس، القاهرة، ط1، 2007، ص363.

[2]-ينظر: الفصل الثالث من هذه الدراسة، المبحث الأول.

فهل نفهم من السياق أن الملكات والأخلاق والهيئات والأحوال التي أشار لها الفلاسفة ضمنا كانوا يعنون بها ملكة لغوية؟ إنَّ مصطلح (ملكة) عند الفلاسفة اصطلاح مركب وليس بالبسيط؛ ولهذا يندرج ضمنه عدد معلوم من الاصطلاحات منها الهيئات(بمختلف متعلقاتها)والأخلاق، وما سميّ الأحوال[1].

لذلك فإن المداخل اللسانية العربية المعاصرة قد استفادت كثيرا من تعريفات الفلاسفة قديما مثل التهاوني، وأبو البقاء الكفوي، بخاصة مستوى الكليات اللغوية وعلاقتها بالتحديد المنطقي والنفس والعقل[2].

جـ-العلاقة بين التحصيل والملكة :

من التعريفات السابقة يتضح أنَّ من معاني كلمة(ملكة) التحصيل المرتبط بالنفس في جميع حالاتها، وقد " جاء في اللسان أن مادة"حَصَلَ" "...وقال الفرَّاء في **قوله تعالى:** ﴿ ۞ **وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ** ۞ ﴾ **(العاديات/10)**؛ أي بُيِّنَ؛ وقال غيره: مُيِّزَ، وقال بعضهم: جُمِعَ وتَحَصَّلَ الشَّيْءُ: تَجَمَّعَ وثَبَتَ. والمَحْصُول : الحَاصِل، وهو أحدُ المصادرِ التي جاءت على مفعول كالمعقول والميسور والمعسور.وتَحصيلُ الكلامِ ردُّه إلى محصولهِ..."[3] . فجامع هذه الاستعمالات يضمّ معنى: بُيّن وجمع وميّز وثبت. وهذه الدقة في المفاهيم المرتبطة بالاشتقاقات اللغوية تبين بوضوح الروابط القائمة بين التحصيل والملكة.

[1]- ينظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون، والعلوم،التهاوني، تح : علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1996، مادة(ملك)، ص1642، ويراجع في هذا الصدد: تعريف المصطلحات في الفكر اللساني العربي، البشير التهالي، ص16-23.

[2]-ينظر: تعريف المصطلحات في الفكر اللساني العربي، البشير التهالي، ص88-89.

[3]-اللسان، لابن منظور، تح: علي الكبير وآخرون، مادة(حَصَلَ)، ص901.

2-مفهوم الملكة اللغوية :

أ-ارتباط المفهوم بالملكات الذهنية والتفسيرية :

إنَّ ارتباط مصطلح (ملكة) ب(اللغة) عند اللغويين القدامى جاء في صيغ أخرى مثل الفصاحة والبيان[1]، إلا أن المتأخرين من مفكرينا ربطوا الملكة باللغة، انطلاقا من وصف الكلام ووصف الحالات المتعلقة به مثل الحالات النفسية كالتفكر والتدبر والتعقل والنظر؛ والاهتمام بهذا الشق المرتبط بالمفهوم دون المصطلح في نظرنا يتمَّيز في الإجراءات التالية:

- وصف الكلام ومنطقه وتصرفه وغيره مما اهتم به علماء اللغة والنحو العربي وأصوله.
- وصف الدلالة والمعنى الذي يبينه اللفظ أو التركيب في الكلام، وهو ما اهتم به جلّ المفسرين والبلاغيين وغيرهم.
- تطبيق ذلك كله في مستويات إبداعية مثل الكتابة والاسترسال والأدب وغيره، وشفوية مثل الخطب والوصايا والقص والتعليم.

ب-استعمال المصطلح :

ومصطلح (ملكة) له سياقان: أولا: ورودها في المعاجم العربية[2]، ونحن نعدُّها بداية مادة(البيان العربي)، وهنا كانت مثلما عرفنا سابقا وفي أبسط معانيها، الحكم والتصرف والنظام والقوام والقوة.

وثانيها: سياق اصطلاحيّ؛ وفيه نبغ المؤلفون ووظفوا المصطلح بحسب الظروف التاريخية والثقافية والاجتماعية وحتى العلمية، وتمَّ إلحاقه بالنفس والمواهب الربانية عند

[1]-ينظر: الملكة اللغوية في الفكر اللغوي العربي، السيد الشرقاوي، ص48-49.

[2]-ينظر: المرجع نفسه، ص24-30.

الإنسان، وربما لأسباب مجهولة ومعروفة أحيانا مثل الترجمة في تطور المفهوم[1]، وعلى حدِّ اطلاعنا أن أول من ربط كلمة (الملكة) باللغة ابن خلدون، بل وبجميع العلوم والصنائع.

ثانيا : نظرية البيان العربي (مصطلحات ومفاهيم إجرائية)

1-مفهوم (نظر) و(نظرية):

ذكر صاحب المقاييس ابن فارس(ت 390هـ)"...النُّونُ والظَّاءُ والرَّاءُ أصلٌ صحيحٌ يرجعُ إلى معنى واحدٍ وهو تأمل الشيء ومعاينته، ثم يستعار ويتسع فيه.فيقال: **نَظَرْتُ** إلى الشيء **أَنْظُرُ** إليه، إذا عاينته"[2].

وجاء في القاموس المحيط:"نَظَرَهُ كنَصَرَه وسَمعه، وإليه نَظَرَ...والنَّظَرُ محرّكة الفكر في الشيء تقدره وتقيسه..."[3].

وفي اللسان"نَظَرَ: النَّظَرُ حِسُّ العين، نَظَرَهُ يَنْظِرُهُ نَظَرًا ومَنْظَرًا ونَظَرَ إليه...وإذا قلت نَظَرْتٌ إليه لم يكن إلا بالعين، قلت نَظَرْتُ في الأمر احتمل أن يكون تفكرا فيه وتدبرا بالقلب ...والنَّظَرُ: الفكر في الشيء تقدره وتقيسه منك...والنَّظَرُ يقع على الأجسام والمعاني، فما كان بالأبصار فهو للأجسام، وما كان بالبصائر كان للمعاني. وفي الحديث : من ابتاع مِصْرَاة فهو بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ أي خير الأمرين له: إما إمساك المبيع أو رده، أيهما كان خيرا له واختاره فعله له"[4].

وتعقيبا وإجمالا لما فصل في التعريفات السابقة نميز أن (النَّظَرُ) يكون للأجسام، أو المعاني ويسمَّى بصائرا، أو تفكرا في شيء من أمور الحياة كالاختيار مثلا.

---

[1]- الملكة اللغوية في الفكر اللغوي العربي، السيد الشرقاوي ، ص31-60.

[2]-مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (نظر)، 444/5.

[3]- القاموس المحيط، الفيروز أبادي، مادة (نظر)، ص484.

[4]-اللسان، ابن منظور، دار صادر، بيروت-لبنان، دط، دت ، مادة(نظر)، ص220-210.

ويذكر صاحب الفروق اللغوية أبو هلال العسكري (ت395 هـ)، أمثلة ذلك مبينا الفروق اللغوية بين (نَظَرَ) وغيرها من الكلمات(مثل التدبر والتأمل).

يقول:" وحدُّ النَّظَرِ طَلَبُ إدراكُ الشيءِ من جهةِ البصرِ أو الفكرِ، ويحتاج في إدراك المعنى إلى الأمرين جميعا كالتأمل للخط الدقيق بالبصر أولا، ثم بالفكر لأن دلالة، الخط الدقيق التي بها يقرأ طريق إدراك المعنى، وكذلك طريق الدلالة المؤدية إلى العلم بالمعنى، وأصل النَّظَرِ المقابلة فالنَّظَرُ بالبصر الإقبال به نحو المبصر، والنَّظَرُ بالقلب الإقبال بالفكر نحو المفكر فيه، ويكون النَّظَرُ باللمس ليدري اللين من الخشونة، والنَّظَرُ إلى الإنسان بالرحمة هو الإقبال عليه بالرحمة، والنَّظَرُ نحو ما يتوقع والإنْظَارُ إلى مدة هو الإقبال به نحو المأمول، والنَّظَرُ إلى الملك لرعيته هو إقباله نحوهم بحسن السياسة، والنَّظَرُ في الكتاب بالعين والفكر هو الإقبال نحوه بهما..."[1].

ويشرح في موضع آخر"الفرق بين التفكير والتدبر: أن التدبر تصرف القلب بالنظر في العواقب، والتفكر تصرف القلب بالنظر في الدلائل"[2].

وهذه الشواهد تدل على ارتباط (النظر) بالعلم، مثل ارتباطه بالعمل، المتمثل في الإقبال.

2-مفهوم مصطلح(نظرية):

شاع استعمال هذه اللفظة منذ العصر الحديث إلى يومنا هذا؛ ونلاحظ زيادة الياء والتاء على اللفظ المستعمل في اللسان العربي، فقد جاء في المعجم الوسيط"...النَّظَرِي: يقال : أمر نَظَرِي: وسائل بحثه الفكر والتخيل.وعلوم نَظَرِيةٌ: قل أن تعتمد على التجارب العلمية ووسائلها.

(النَّظَرِيَةُ): قضية تثبت ببرهان.(مو).

---

[1]- الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، نصر-القاهرة، دط، 1997، ص84، وسوف نخصص فصلا بحول الله تعالى نميز فيه نظرة ابن خلدون (للنظر) ويسمِّي أصحابها ب(النُظَّار).

[2]-الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تح: محمد إبراهيم سليم، ص 75.

و–(في الفلسفة): طائفة من الآراء تفسر بها بعض الوقائع العلمية والفنية.و(نَظَرِيةُ المَعْرِفَةِ): البحث في المشكلات القائمة على العلاقات بين الشخص والموضوع، أو بين العارف والمعروف، وفي وسائل المعرفة، فطرية أو مكتسبة.

(مج).(ج) نَظَرِيَات"[1].

وتعقيبا للعلاقة بين المصطلح القديم(نَظَرَ)، والمصطلح المعاصر، نرى الاختلاف في وسائل البحث، وطبيعة المداخل المتعلقة بالفكر، ولمسار الفكر طريق طويل في تعدد الأفكار التي أسسها الفلاسفة منذ القديم إلى يومنا، ولها تغيرات وتطورات عديدة أحدثت تركيبة مسارها ووسائل بحثها.

ويبدو الأمر جليا فيما يتعلق (بالنَّظَر) عند لغوبينا القدامى الذين اعتمدوا على (مدونة البيان العربي)، وسيتبين لنا من خلال مفهوم (البَيَان) القائم على الفصل والتمييز والوضوح والكشف وعلى الفصاحة، وأنَّ (نظر) شملت العلم والعمل، وهنا تبزز الدقة في النظر وعدم التناقض في النتائج.

وما دمنا في محور (تحصيل الملكة اللغوية) في (ضوء نظرية البيان العربي)، فإننا نعلم علم اليقين أن علوم اللسان العربي، نشأت في وصف الأداء العربي في الكلام الفصيح حين احتيج إلى حفظ القرآن العظيم الذي نزل بلسان عربي مبين من التحريف والخطأ.

وهذا تطلب تأملا ونظرا في المادة المجموعة لفظا وتركيبا، ثم احتيج إلى فهمه فنتج علم التفسير وضمنه معاجم غريب القرآن والحديث، فنشأت بذلك مجموعة من الرؤى للنظر

[1]–المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية، ط4، 2004، ص932.

في(البيان العربي) قائمة على أساس عملي هدفه في الأخير (التحصيل أو التعليم)؛ وفيما يلي ملخص هذه الرؤى[1] التي بحول الله تعالى سنتكلم عنها في المباحث الموالية :

المراحل والرؤى للبيان العربي	الغاية والهدف
مرحلة الفطرة والسليقة العربية في زمن القرآن العظيم والحديث	وهنا كان البيان العربي حفظا وأداء وتطبيقا وفطرة وارتجالا
مرحلة الفصاحة العربية	وهي نظرة النحاة واللغويين العربي في حفظ اللسان وتقويمه من التحريف وتعليمه للناطقين به وللناطقين بغيره، عبر دراسة أوضاعه اللغوية، وتصريف الكلام فيه.
الجاحظ	التأسيس لنظرية البيان العربي
التقنين والتقعيد (قواعد النحو وقواعد البلاغة)	تقعيد البيان العربي الفصيح، عبر قواعد اللفظ وقواعد المعنى
ابن خلدون	تحصيل الملكة اللغوية ضمن البيان العربي من خلال التقويم والتحقيق والتعليم

الجدول رقم(2):يلخص مراحل النظر إلى البيان العربي(علوم اللسان العربي)

3-مقدمة في البيان العربي:

بداية وفيما يتعلق بكلمة(بيان)، فقد ذكر صاحب لسان العرب ابن منظور اشتقاقاتها من مادة"بين"؛ وذكر معها مجموعة الاستعمالات التي تجاور كلمة(بيان) مع مشتقاتها وتحدد العلاقة بينهم؛ وفيما يلي أهم مداخل الكلمة ومعانيها الجامعة[2]:

المثال	المعنى
1-"**البَيْنُ** في كلام العرب جاء على وجهين : يكون	الفرقة والوصل

[1]-هذا الجدول وضعناه ها هنا لنبين العلاقة بين البيان العربي، ومراحل النظر فيه، وهو رؤية عامة على علاقة بدراستنا للبيان العربي.

[2]- لسان العرب، ابن منظور، مادة(بين)، دار صادر، ص62-70.

البَيْنُ الفرقةَ، ويكون الوصلَ **بَانَ يَبِينُ بَيْنًا وبَيْنُونَةً،** وهو من الأضداد وشاهد البين الوصل قول الشاعر: لقد فرق الواشين **بَيْنِي وبَيْنَهَا،** فقرت بذاك الوصل عيني وعينها..."	
1-"وفي حديث الشرب: **أَبِنْ** القدح عن فيك أي أفصله عند التنفس لئلا يسقط فيه شيء من الريق، ...." 2-"وحكى الفارسي عن أبي زيد: طلب إلى أبويه **البَائِنَةَ،** وذلك إذا طلب إليهما أن **يُبِينَاهُ** بمال فيكون له على حدة "	التمييز والفصل
1-"و**البَيَانُ** : ما **بُيِّنَ** به الشيء من الدلالة وغيرها. وبَانَ الشيء **بَيَانًا:** اتضح، فهو **بَيِّنٌ،** والجمع **أَبْيِنَاءُ،** مثل هين وأهيناء، وكذلك **أَبَانَ** الشيء فهو **مُبِينٌ**..." 2-"يقال **اِسْتَبَنْتُ** الشيء إذا تأملته حتى **تَبَيَّنَ** لك..." 3-"وقال النبي صلى الله عليه وسلم : ألا إن **التَّبْيِينَ** من الله والعجلة من الشيطان **فَتَبَيَّنُوا؛** ..."	الوضوح والحجة والتثبت والتأمل
1-"و**التَّبْيِينُ** الإيضاح، و**التَّبْيِينُ** أيضا الوضوح..." 2-"ومنه حديث آدم وموسى، على نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – عليهما الصلاة والسلام أعطاك الله التوراة فيها **تِبْيَانُ** كل شيء أي كشفه وإيضاحه..." 3-"والَبيَانَ الفصاحة واللسن، وكلام **بَيِّن** فصيح.والَبيَانَ الإفصاح مع ذكاء.و**البَيِّنُ** من الرجال	الفصاحة والكشف والظهور

الفصيح.ابن شميل: الَبيِّنُ من الرجال السمح اللسان الفصيح الظريف العالي الكلام القليل الرتج. ..." 4-"روى ابن عباس عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال : إن من **البَيَانِ** لسحرًا وإن من الشعر لحكمًا؛ قال : **الَبَيانُ** إظهار المقصود بأبلغ لفظ، وهو من الفهم وذكاء القلب مع اللسن..." 5-"وقال الزجاج في قوله تعالى:" **خَلَقَ الإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الَبَيانَ**"؛ قيل إنه عني بالإنسان ههنا النبي، صلى الله عليه وسلم، علمه **الَبيَانَ** أي علمه القرآن الذي فيه بيان كل شيء، وقيل الإنسان هنا آدم، عليه السلام، ويجوز في اللغة أن يكون الإنسان اسما لجنس الناس جميعا..."	

الجدول رقم(3):يوضح الاستعمالات اللغوية لكلمة(بين) وعلاقتها الاشتقاقية والاستعمالية مع كلمة(بيان)

يبرز الجدول التالي[1] أن المعاني الجامعة للاشتقاقات اللغوية لكلمة(بَيَنَ) وعلاقتها بكلمة(بَيَان) تضم : الوصل والفرقة والفصل والتمييز والتأمل والتثبت؛ وبخصوص علاقتها بالكلام فتعني الفصاحة والوضوح والكشف، وقد تكون سلبية إذا اقترن البيان بـ"التعمق في النطق والتفاصح وإظهار التقدم فيه على الناس، وكأنه نوع من العجب والكبر"[2]؛ ومنه نستنتج أن الاستعمالات اللغوية لكلمة(بَيَان) واسعة شاملة، وإنَّما يكون منها ما يختص بالفصاحة والفهم وذكاء القلب والوضوح وتفصيل الكلام دون تداخل ولا تناقض.

[1]- هذا الجهد حاولنا أن نبيّن فيه العلاقة بين كلمة(البيان) وكلمة(اللغة)، في الاستعمال المعجمي، دون اللجوء إلى التعريفات في تصور اللغويين والبلاغيين العرب القدماء الذي يحتاج دراسة مستقلة.

[2]-لسان العرب، ابن منظور، مادة(بَيَنَ)، ص69.

ومادة (البَيَانَ العَرَبِيَّ) لا تقتصر على علم من علوم البلاغة؛ توصف فيها طرق الدلالة باختلاف طرق اللفظ والكلام؛ لكن لما "كانت البلاغة العربية في هذه المرحلة؛ طرقا في الأداء الفني الفطري غير الخاضع للقاعدة أو التقنين، بقصد صدوره عن عناصر؛ من صفاء الذات وقوة الطبع، وحدة العاطفة..."[1]، كان الأداء الأرقى الذي به كمل البيان العربي في مرحلة السليقة العربية هو القرآن العظيم المنزل بلسان عربي مبين، والحديث النبوي الشريف[2].

تمثل مرحلة السليقة جوهر الإشكالية التي نحن بصدد الحديث عنها؛ وهي تحصيل الملكة اللغوية في عهد الأداء الفطري والعملي للغة العربية، من خلال حفظ القرآن العظيم أداء وعملا، وكذلك تحصيل الملكة اللغوية في ضوء نظرية البيان العربي ونعني به العلوم اللسانية التي قامت في ضوء هذا البيان القرآني.

يمثّل هذا الطرح جزءا بسيطا من تشعب المسألة، وقد أفردنا ما يناسب الموضوع ويخدمه وهو حفظ العربي في عهد السليقة للبيان القرآني الذي جاء بلسان سيد الوجود محمد صلى الله عليه وسلم.

ثالثا–نظرية البيان العربي في علوم اللسان وتطبيقاتها

الحديث عن نظرية البيان العربي، هو الحديث عن نقطتين هامتين هما:

*الحفظ والأداء التطبيقي للبيان القرآني والحديث والنبوي الشريف عند العرب في عهد نزول القرآن العظيم.

*ثم نشأة علوم اللسان العربي انطلاقا من هذا التلقي.

[1]–نظرية البيان العربي (خصائص النشأة ومعطيات النزوع التعليمي–تنظير وتطبيق)، رحمان غرقان، دار الراني، دمشق–سوريا، ط1، 2008، ص13.

[2]–فيما يخص الاستعمالات الاصطلاحية، سنفرد بحول الله تعالى فصلا نميز فيه تأسيس الجاحظ لنظرية البيان العربي.

1-في أصول الفقه :

ارتبطت نظرية البيان العربي في طرق الاستنباط عند الأصوليين انطلاقا من مبحث الدلالة؛ ويعرف الشافعي(ت204هـ) **البيان** بقوله:"البيان اسم جامع لمعان مجتمعة الأصول متشعبة الفروع: فأقل ما في تلك المعاني المجتمعة المتشعبة: أنها بيان لمن خوطب بها ممن نزل القرآن بلسانه، متقاربة الاستواء عنده، وإن كان بعضها أشدَّ تأكيدَ بيانٍ من بعض، ومختلفة عند من يجهل لسان العرب"[1] .

والبيان عنده درجات، بيان القرآن، بيان السنة، البيان بالاجتهاد تأويلا وقياسا[2].

ويركّز التعريف على مسألة الخطاب واللسان العربي، وباقي الألسنة غير العربية، لذلك فإن علم الأصول يعتمد على خصائص اللسان العربي، حتى يستنبط الدلالة من القرآن العظيم.

2-التفسير وعلوم القرآن العظيم:

إن البيان العربي بوصفه وسيلة تعليمية عند العرب آنذاك، لم يكن مجرد محفوظ يحفظ ويعاد بقدر ما نهض للغوص فيه ثلة من علمائنا الفطاحل وذلك فهما وشرحا وتطبيقا، وما يهمنا الجزء المتعلق بالقرآن العظيم الذي أنزل بلسان عربي مبين، لذلك ارتأينا أن نقدم ما نستثمره من نظرة العلماء في مجال اللسان العربي، أحد أهم الروافد النظرية والتطبيقية لعلوم اللسان العربي.

وفيما يلي جدول يجمل أهم محاور التطبيق في تفسير القرآن العظيم وعلومه:

[1]- الرسالة، للإمام الشافعي(150هـ-204هـ)، تح : أحمد محمد شاكر، مطبعة أحمد مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1357هـ/1939، ص20-21.

[2]- ينظر: الرسالة، الإمام الشافعي، ص21-24.

فهم الغريب في البيان القرآني	اللغات في البيان القرآني	تعليم البيان للناطقين به والناطقين بغيره
1-الغريب عند علمائنا القدامى يعني إعراب ألفاظ القرآن التي حدث فيها إشكال مثال : قطمير أي الجلد الذي يكون على ظهر النواة. 2-فهم القرآن العظيم من الشعر ، مثال ذلك لما سئل ابن عباس عن قول الله تعالى:"عن اليمين وعن الشمال عزين"(المعارج:37) قال : الحلق لقول عبيد ابن الأبرص : فجاؤوا يهرعون إليه حتى يكونوا حول منبره عزينا . 3-يشمل القرآن العظيم حسب العلماء 77ألف كلمة بزيادات مختلف فيها : 77ألف كلمة و934أو 437أو 277. 4-إنشاء معاجم غريب القرآن والحديث الشريف.	1-هذا مبحث في علوم القرآن يختص بما نسميه الآن اللهجات العربية، وقديما يسمى باللغات في القرآن، ومن ثمرته أوجه الأداءات اللسانية الكثيرة في قراءة البيان القرآني؛ وكذلك توحيد الاختلافات والأوجه المتعددة في النطق بالعربية ولا ينفيها بل يقربها مكانيا وزمانيا. 2-التيسير النفسي والصوتي وتيسير الحفظ. 3-اللغات بمعنى لغات أعجمية مثل الفارسية والنبطية والسريالية والحبشية . مثال ذلك أباريق: ﴿ ۝١٩ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ ۝٢٠ ﴾ (18/الواقعة)، ومعناه طريق الماء أو صب الماء على هينة، وهذه مسألة مختلف فيها بين العلماء.	2-وهنا يتعلق حفظ البيان القرآني انطلاقا من الغاية والحاجة التي من أجلها يتم بها حفظ القرآن العظيم المنزل باللسان العربي أي المفصل؛ فالغاية لذلك لا تتوقف على تحصيل اللغة العربية فقط بل يتطلب تحصيلا لجميع الملكات التي تؤدي إلى فهمه، وقراءته وسماعه وغير ذلك. 2-مبدأ التيسير: قوله **تعالى**﴿ ۝٩٧ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ۝٩٨ ﴾**(مريم/48)** 3-بالنسبة للناطقين به فإنه ميسر لاشتماله كل أوجه الأداءات الكلامية للقبائل العربية؛ ولغير الناطقين به.

5-سمى العلماء القدامى علم العربية ولما احتيج إلى معرفة الغريب وشرحه توجه إلى اللغات ومنه سميت اللغة العربية فيما بعد.		

الجدول رقم(4):يلخص تطبيقات نظرية البيان العربي في علوم القرآن العظيم

3-علوم اللسان العربي:

سوف نتحدث بشكل مفصَّل بحول الله تعالى عن قيام هذه العلوم في أحضان البيان العربي القرآني والحديث والكلام العربي الفصيح في عهد الفصاحة، ودورها في تحصيل الملكة اللغوية العربية في المباحث والفصول القادمة، والشأن ما تتطلبه جزئية هذا المبحث شرح أهم الخطوط الرئيسة التي ستقوم عليها فصول الدراسة.

أ-النظر النحوي:

بداية إن قيام علوم اللسان المتمثلة في تحليل البيان العربي، وفهمه وتطبيقه أداء وتعليما؛ تنطلق حين علم العربي أن العلم هو جزء من آلة البيان القرآني والحديث الشريف؛ و حين علم أن آلته ووسيلته الأولى هي **اللسان**، كان دوما مربوطا بحفظه واستيعابه وتطبيق ما فيه، والحفاظ عليه من الخطأ والتحريف، واستنباط طريقة لتعليمه للنشء للناطقين به و للناطقين بغيره، وهذه الطريقة هي "علم النحو" ؛ إلا أن تعليمه والبحث في اللسان العربي المبين لم يكن لذاته؛ ولنا أن نوضح فكرة ها هنا أن الغاية من الدراسات اللغوية عند العرب القدماء هو ما ذكرناه سابقا؛ وكانت المفاهيم إجرائية تطبيقية وعملية؛ وهو مقابل للنظرة اللسانية الحديثة القائمة على شروط العلم والتجربة التي من أسسها كشف العلاقة بين مستويات اللغة الصوتية والنحوية والدلالية من مبدأ الموضوعية والشمول، والتماسك

والتصنيف والاقتصاد، [1]، لأنه مثلما ذكرنا مرتبط بطلب العلم، وأدواته الاستنباطية وما يتعلق بذلك من التدبر والتفكر والتعقل.

وفي خضم ذلك أنشئت معاجم الغريب مثلما أشرنا سابقا في أوليتها الشاملة لغريب القرآن العظيم والحديث الشريف[2]؛ و من ثم معاجم علمية مثل معاجم النبات والحيوان، وغيرها، ومن مظاهر التحصيل الناتجة عن حدود هذا النظر :

- الشواهد النحوية واللغوية التي تضمنت آيات القرآن العظيم، والحديث الشريف والكلام العربي الفصيح منظومه ومنثوره.
- المتون النحوية.
- وضع المعاجم والمؤلفات النحوية اللغوية.

ب-النظر الاستعمالي للبيان العربي:

لم يتوقف حدُّ النَّظرِ في بيان ترتيب الكلمات والجمل النحوية مثلما أشرنا سابقا؛ وإنما ارتبط أكثر بمادة البيان نفسها المتمثلة في الكلمات العربية؛ فنظر علماء العربية إلى شكلها وأوزانها، وترتيبها المنطقي، وعلاقة تلك الكلمات ببيئة العربي آنذاك، وتفكيره ومنطقه في التصرف والفهم، والاصطلاح ؛ وغيرها من المسائل المعروفة في فقه اللغة، والحق أن هذا الشق من أدق ما يميز خصائص ملكة اللسان العربي[3]؛ أي خصائص البيان العربي، وهو إن طرح في مسألة التحصيل ومسألة التعريف والاصطلاح يبين لنا أكثر حدود الواضع أو لنقل المتكلم، وحدود الناظر في هذه الكلمات مستنتجا منطقها في التأليف وتحصيل المعرفة

[1]- ينظر: الأصول دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب: النحو، فقه اللغة، البلاغة، تمام حسان عالم الكتب الحديث، 200، ص57-60.

[2]- ينظر: الإتقان في علوم القرآن،160/1-190، وينظر: تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، لبنان، دط، 2005، 271/1.

[3]-أشار ابن خلدون إلى هذه الفكرة حين ركز على الجانب الاستعمالي في كتب فقه اللغة، ينظر: المقدمة، تاريخ العلامة ابن كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ومن عاصرهم، من ذوي السلطان الأكبر، وهو تاريخ وحيد عصره، العلامة عبد الرحمن ابن خلدون المغربي، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، ط2، 1979،1062/1-1063.

والعلم؛ ونستطيع أن نستخلص في نظرنا هذه الخصائص من جملة تلك المباحث في النقاط الآتية:

- خصائص الكلمات وعلاقاتها واشتقاقاتها.
- حدود النظر والتعريف والاصطلاح وآلياته، والمداخل المتعلقة به؛ أي التحديد المنطقي واللغوي والاستعمالي.
- تحصيل المعرفة والعلم من خلال طرق الاستنباط في استعمال هذه الكلمات.

جـ-الإبداع والبلاغة :

إنَّ مسألة تتبع خصائص البيان العربي من أصعب المباحث وذلك لما تتضمنه من المسالك الوعرة في شرح مفصل عن حياة الكلمات وبيئتها وغيرها عبر عصور طويلة؛ إضافة إلى ومسألة بدايات العربية وخصائصها، وكذلك المدونات الخاصة بألسنة الأنبياء عليهم السلام من الوقائع العصية على التاريخ[1]؛" والعلامة ابن خلدون ها هنا يسلك منهجا لغويا ينظر فيه إلى العربية في كل مراحل حياتها، ويشير إلى ضرورة دراسة هذه المراحل في كل عصر لاستنباط التغيرات التي طرأت عليها، ويشير إلى ضرورة دراسة هذه المراحل دون الخشية على العربية التي دون بها القرآن العظيم والحديث -الشريف- لأنها أصبحت ثابتا محفوظا، وحاجة الناطقين بالعربية لن تنقطع أو تتوقف اتجاه فهم القرآن والحديث الشريف في كل عصر ...هذه الثوابت تنتقل مثل الجينات الوراثية"[2].

إلا أنَّ جوهر هذه المسألة تتمثل في كون الإشكالية المطروحة حول سرّ الإبداع اللغوي سواء عند العربي في بيانه، أو غيره من الألسنة في لغات أخرى؛ تتَّخذ طرائق مختلفة في النظر، ومجمل هذا الطرح في نظرنا أن علماءنا القدماء رحمهم الله لما ربطوا اللغة بالنفس

[1]- ينظر: تاريخ العربية لسان العالمين، عبد الرحمن عطية، تر: حفناوي بالي، دار هومة، بوزريعة-الجزائر، ط2، 2011، ص153-183، وينظر: اللغة والبلاغة والميلاد الجديد، مصطفى ناصف، دار سعاد الصباح، ط1، 1992، ص168.

[2]-الملكة اللغوية في الفكر اللغوي العربي، السيد الشرقاوي، ص52.

فإنهم حاولوا تفسيرها انطلاقا من المظاهر المتعلقة بالملكات عند الإنسان؛ أي بحثوا في حدود الفهم والتدبر والتعقل.

كما تناولوا مسالك العرب في كلامها في ضوء نظم الكلام انطلاقا من منطق النحو والمعنى واللغة وغيرها؛ مثل البلاغة، ووسائلها وحاصل البحث في كيفية حصول التبليغ في النفس فكان من ذلك مؤسس نظرية البيان العربي وهو:

-الجاحظ (ت255هـ):

فقد وظَّف الجاحظ مفهوم البيان في مؤلفين هما الحيوان، والبيان والتبيين، ففي الحيوان، أبرز المنظور الشامل للبيان بوصفه أحد أهم مظاهر الاجتماع السياسي، وكذلك التعمير والقوام، والكتابة، والتأليف، والبناء وغيرها من ضروب الحياة، ووضح وجوه البيان بين أنواع المخلوقات، من الجماد والنبات والإنسان والحيوان، مبيِّنا كيف يكون البيان بينهم[1].

أمَّا في كتابه البيان والتبيين، فقد أعطى كل جهده للبحث في البيان العربي، وفي الألسن الأخرى؛ بدءا بأكمل أداء وهو القرآن العظيم، ثم الحديث الشريف، ثم الكلام العربي من الشعر والنثر، مركزا على الأصناف البيانية التي حددها في خمسة أشياء وهي اللفظ، والإشارة، والكتابة، والعقد، والنصبة، لتكون تحديدا منطقيا للبيان عنده[2]، ومن خلالها يمكن النفاذ إلى أسرار الإبداع عند الإنسان بما فيها اللغة والكلام.

[1]-ينظر: الحيوان، الجاحظ(150- 255هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، المجمع العربي منشورات محمد الداية، بيروت -لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط3، 1969 ، 1/44-46.

[2]-الحيوان، الجاحظ، 6/ 5-6 ، وهناك كتاب مفقود في مكتبتنا العربية يتعلق بنظرية النظم عند الجاحظ، التي سبق فيها الإمام عبد القاهر الجرجاني، والبيان والتبيين آخر ما ألف الجاحظ وعصارة فكره، لذلك ركز على البيان اللغوي، بخاصة (العرب أمة بيان) الذي يدل على رؤية شاملة لما تتبوأ به اللغة بوصفها خطابا في المجتمع لا ينفصل ولا يتناقض في أي مجال من مجالات الحياة، ولا حتى المعتقد والتعمير والتأليف والبناء وغيرها.

-ابن خلدون (732-808هـ):

وقد أعاد ابن خلدون[1] متطلبات السليقة العربية؛ وبين الفرق بين حدود النظر في الإبداع، ثمّ سرّه أو ما سمَّاه ملكة اللسان، وبيَّن شروط الفطرة والارتجال التي تميَّز به البيان العربي، وكذلك الذوق البياني[2] الذي هو نهاية وصول معاني الكلام إلى المتلقي أو السامع أو المخاطب؛ و يغلب الظن أنَّ جميع ما ذكرنا عنده قائم على النظرة التاريخية والنظرة التحقيقية(الفطرة) لحقيقة ملكة اللسان العربي.

في نظرنا أن القراءة الواضحة والمتفحصة لنصوص ابن خلدون تجتمع على الإشكالية المؤرقة الخاصة بإمكانية العودة إلى شروط الفصاحة للعربية (في عهد السليقة)[3]، في زمن ابن خلدون، أو حتى بعده، وهي إشكالية صعبة التحقق، نظرا لما يمكن أن نجمعه من قراءات مستوعبة للعراقيل التي تواجه هذا الهدف المنشود، وما يلزم من إمكانات معرفي.

هذا مجمل وأهم أفكار الدراسة بوصفها تصورا شاملا ميزنا فيه الآليات الإجرائية والنظرية والمنطلقات التطبيقية للبحث.

[1]-ينظر ترجمته في بداية الفصل الثالث.

[2]-وهذا أهم هدف من تحصيل الملكة اللغوية العربية في الخطاب اللساني العربي القديم، أما في الخطاب اللساني المعاصر فالأمر مختلف، وذلك لما يتجه الآن من الأهداف المسطرة في تعلم اللغات وتعليمها، على الصعيد العربي، وعلى الصعيد الغربي.

[3]-ينظر: الفصل الثالث من هذه الدراسة ، المبحث الثالث(الذوق البياني).

المبحث الثاني : الحدود الوصفية للملكة اللغوية وسبل تهذيبها

أولا: النحو والمحافظة على السليقة اللغوية

ليس من اليسير القول بالرجوع إلى مقوّمات السليقة العربيَّة قبل نزول القرآن العظيم وبعده؛ ومع ذلك فإنَّ النَّظرية النَّحوية قد أنتجت لنا مجموعة من الإجراءات التطبيقية في تقويم اللِّسان وردّه من الخطأ إلى الصواب، فقراءة فاحصة للنُّصوص التراثية لعلماء النحو واللغة تبيِّن بوضوح مستويات وصف الإبداع اللغوي(البيان العربي)، من خلال التَّصور العميق للملكة اللغوية بما هي أداء بياني، وهو ما عرف بتحديد زمن الفصاحة وبيان خصائصها وشروطها واستنباط قواعدها؛ وكان هذا المنهج قائم على أصول ومصادر من بينها السماع والقياس؛ متَّصلة بمجموعة من الغايات والأهداف أهمها؛ فهم القرآن العظيم، والتعليم والتقويم.

وقد شاهدنا تلك الأساليب الدقيقة في تحليل مستويات الكلام(البيان العربي)، ضمن الشواهد اللغوية؛ وهي أدوات واضحة لتحصيل المتعلِّم ملكة نحوية وبلاغية ومنطقية؛ إضافة إلى حفظ الشواهد اللغوية الفصيحة، ويقرُب من هذا التَّصور، الاتصال الشديد بين القواعد المستنبطة وأساليب تقويم النطق والكلام؛ وهي نظرة الصوتيين بما فيهم النحاة وقُرَّاء القرآن العظيم؛ فقد قام منهجهم على الخبرة الصوتية للأداء البياني، مخلفين مجموعة من التطبيقات العملية في رياضة الألسن وتقويمها؛ وهذا إن دلَّ على شيء فإنَّما يدل على التكامل الشديد بين هذه العلوم، والخبرة الدقيقة في الإحاطة بجميع حدود الملكة اللغوية، وحفظها من الانحراف، والعودة بها إلى خصائص البيان العربي، وقت الفطرة والارتجال والبديهة.

عندما نروم البحث في علاقة النحو بالملكة اللغوية، فإننا سوف نذكر هنا فكرة مفادها؛ كيف يمكننا أن نستفيد من نظرة النحاة في إبراز الجانب المستعمل من اللغة، في التداول والتبليغ.

إلا أنَّ هذا الجهد الذي قام به علماؤنا في بقاء السليقة العربية على ما هي عليه في نفوسها؛ أمر لم تحافظ عليه الأيام، وهذا ما شاهدناه في تغير العربية بعد زمن السليقة والاحتجاج اللغوي.

فهل درس النحاة علاقة اللغة بمتكلميها؛ وما منطقهم في وصف الملكة اللغوية؛ وكيف يمكننا أن نستثمر نظرتهم للملكة اللغوية وتحصيلها؟

قبل أن نجيب عن السؤال السابق؛ فيما يخصّ المبادئ المنطقية التي استعملها علماؤنا النحاة القدماء، في استنباط أصول الملكة اللغوية العربية؛ سنفرد تصورا تمهيديا لمفهوم السليقة العربية، ومقوماتها؛ حتى يمكننا القول في مسألة محافظة النحو على هذه السليقة.

1-مقومات السليقة العربية قبل نزول القرآن العظيم :

أ-مفهوم السليقة اللغوية(آراء قديمة ومعاصرة):

جاء في المقاييس أنَّ " سلق" السين واللام والقاف فيه كلمات لا تكاد تجمع منها كلمتان في قياس واحد؛ وربك جل ثناؤه يفعل ما يشاء وينطق خلقه كيف أراد...وسلق: صاح، والسليقة الطبيعة "[1]، ولتطور مفهوم الكلمة نلاحظ أنَّ المعاجم المتأخرة قد عرَّفت السليقة من زاوية فلسفية، كما فعل علي بن محمد التهاوني بشرح آخر كلمة في التعريف(الطبيعة)[2]،

لكن الناتج من هذه التعريفات يفسر لنا أنَّ أمر السليقة يقرب من الفطرة، لذلك يقال سجية الرجل(جمع سجايا) طبيعة الرجل، وتقرب من كلمة طبع النحيزة(جمع نحائز) كذلك، ونحن نرى أن العلماء القدامى قصدوا هذا المفهوم بوصفهم العربية بالطبع والسليقة؛ التي هي من الفطرة؛ وهذا تعليل لمفهوم ماهية اللغة عند الإنسان؛ ونعتقد أن آراء المحدثين والمعاصرين،

[1]- مقاييس اللغة ، ابن فارس، مادة(سلق)، 96/3.

[2]-أي الطبيعة، جاء في تعريف محمد بن علي التهاوني في كشاف مصطلحات العلوم، ص1279 قوله عن (الطبع)، " بالفتح والسكون يطلق تارة مرادفا للطباع وتارة مرادفا للطبيعة كما عرفت.ويؤيد الثاني ما في شكوة الأنوار من أن الطبع عبارة عن صفة مركوزة في الأجسام حالة فيها وهي مظلمة، إذ ليس لها معرفة وإدراك ولا خبر لها من نفسها ولا مما يصدر منها، وليس له نور يدرك بالبصر الظاهر".

تخالف هذا الرأي باعتبار اللغة مثلا لا تقتصر على جنس بعينه أو تحصّل في الرضاعة، أو أنَّها محددة بقبائل بعينها؛ دون قبائل العرب الأخرى، أو حتى الإبداع الذي يخالف الحصر الزماني والمكاني كما هو مقرر في طبيعة التطور اللغوي [1].

ورأيهم هذا له مبررّه المنهجي والمعرفي، المستند إلى نظرية الاكتساب والمحاكاة الحديثة وغالب الظنّ أنَّ جوابهم فيه من الصحة إذا نظرنا من ناحية الاكتساب والتحصيل، أما من الناحية التحقيقية، فإنَّ ماهية اللغة وهويتها لا يمكن الوقوف عليها؛ لأنَّها أخص بالنفس، وصاحب الملكة، بل أقرب إلى الفطرة والارتجال، وهذا هو المفهوم البياني لكلمة(فطرة) وكلمة(ارتجال)[2].

ما يجعلنا نتوقف كثيرا عند تأصيل هذا المصطلح في نظريات التعلم المعاصرة الخاصة بالتحصيل والاكتساب واللغة؛ حيث يضع الباحث تصورين لمفهوم السليقة، الأول يتعلق بنظرة النحاة القدامى، وهو ما فسرناه سابقا حول تعريفها، والثاني يعني به النظرة البنيوية، والوظيفية المعروفة لدى السلوكيين والتوليديين(تشومسكي)، ونحن نضيف النظرة المعرفية المعاصرة، فقد استقت نتائج تعريفها للسليقة بما هي ملكة عند الإنسان أو بمصطلح أدق الفطرة، انطلاقا من العلوم الاجتماعية والأنثروبولجية، والنفسية المعرفية بل وحتى البيولوجية والرياضية، وتتخلص الرؤية في: اعتبار المعرفة عند الإنسان بنية رياضية منطقية، يرتبها ويكتسبها من المجتمع، تعدل بتكيف الفرد مع بيئته...، بالنسبة لتشومسكي فقد حدثت تحولات عميقة أثناء تنظريه لملكة اللغة عند الإنسان، كان ذلك على مدار خمسين عاما،

[1]–ينظر: مفهوم السليقة اللغوية في التراث النحوي عند العرب–دراسة لسانية، مصطفى بوجمالة، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر.

[2]–ينظر: فصول في فقه اللغة العربية، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ط6، 1999، ص95، وقد أشار في مقدمته إلى أغلب اللسانيين المحدثين العرب الذين اختصوا بدراسة علم اللغة من منظور تراثي وتأصيلي في ضوء اللسانيات الحديثة.

انتهت أخيرا في برنامجه الأدنوي، الذي يعدّ نظام المعرفة الحاسوبية مشابهة للنظام اللغوي النفسي[1].

ونقترح من جهة أخرى أن يعاد دراسة هذه النصوص العربية في سياقها الزمني، والتاريخي، بل وحتى الثقافي، بغية تحليلها تحليلا يناسب سياقها والمعرفي أيضا:

- الوقوف على أهم خصائص البيان العربي زمن الفصاحة والسليقة.
- عدم الوقوع في الخطأ المنهجي المتمثل في تعميم النتائج الخاصة بظاهرة ما على عصر بأكمله.
- الاستفادة من التصور اللغوي العربي للسليقة، ضمن المباحث اللسانية العربية زمن الوحي ونزول القرآن العظيم.

ب-مراحل تهذيب اللغة العربية:

إنَّ مسألة التهذيب التي اتصف بها اللسان العربي؛ لم تكن وليدة المصادفة؛ فقد خضعت العربية لمراحل مهدت لتكوين لسان البيان القرآني العظيم؛ وسوف نرى أن ما حدث في نقصانها قبل مرحلة الاكتمال بنزول البيان القرآني؛ قد حصل بعد تفشي اللحن وفساد السليقة، وهذا يحيلنا إلى آراء المحدثين[2] فيما يتعلق بتطور اللغات وأصلها.

يذكر الرافعي(1880م-1937م) أن العربية قد مرت بثلاث مراحل في تهذيبها:

جـ-إسماعيل عليه السلام والعربية(اللسان العربي المبين؛ البدايات) :

ما يمكن أن ننبه عليه أنَّ التهذيب الذي لحق العربية قبل نزول القرآن العظيم، أخذ أبعادا كبيرة إذا نظرنا إلى نقطة الالتقاء وهي مرحلة الاكتمال، ونعني بذلك أنَّ نهايته تمت

[1]-ينظر: اللسانيات التوليدية من التفسير إلى ما وراء التفسير، نعوم تشومسكي، تر: محمد الرحالي، دار الكتاب الجديد ، ط1، ،2013، بيروت-لبنان، ص27-30، أي أن الملكة اللغوية (مادة طبيعية).

[2]- فكرة التطور اللغوي، من منظور نظرية البيان، تتوقف على ما لدينا من نصوص للمدونات اللغوية للغة العربية في أصلها الأول، وهذا مبحث عصي على وقائع التاريخ؛ لكن المسألة لها أقوال في مسألة التوقيف الإلهي لأصل اللغات، وهي من المباحث الجدلية أيضا؛ ومع ذلك فإنَّ القرآن العظيم قد حفظ لنا هذا الأداء ولا يزال إلى الآن معجزة فيه.

بنزول القرآن بلسان عربي مبين، والعربي الذي يعني الظهور والوضوح والبيان والثبوت؛[1] فإن انتهينا إلى ما بعد اكتمال الوحي، وتوالي السنين، صرنا إلى الاختلاف الذي كان من قبل؛ وهذه مسألة لها شأن عظيم إن أردنا العودة لخصائص هذا اللسان العربي المبين.

" فهم مجمعون على أن نأخذ إلى القصد من هذا التاريخ، نأتي على ذكر شيء من أقوال علماء العرب في أمر اللغة وتهذيبها؛ فهم مجمعون على أنَّ إسماعيل عليه السلام أصل العربية المضرية، ولذلك قال صاحب المخصص في موضع كتابه حين أراد أن يدلَّ على أن لغة أهل الحجاز هي الأصل في جميع لهجات العرب"...وإنما صارت لغتهم الأصل لأنَّ العربية أصلها إسماعيل عليه السلام، وكان مسكنه مكة"[2].

د-انتشار القبائل العربية(الاختلاف الأدائي للسان العربي المبين):

وهذه الطبيعة التداولية للغات، وهي في جميع اللغات بلا استثناء، لأنَّها تخضع لشروط الزمان والمكان" ...خرج أولاد إسماعيل عليه السلام-ومنهم انشعبت القبائل بعد أن كانت لغتهم وقد اشتدت وقطعت مسافة بعيدة من الفرق بينها وبين أصلها الذي اشتقت منه فابتدأت تأخذ صورة متميزة من الاستقلال"[3].

هـ-قريش والأسواق العربية(التوحد الأدائي للسان العربي مبين):

فبعد الاستقلال والانتشار جاءت مرحلة التوحيد اللغوي والأدائي للملكة اللغوية العربية" فلا يسع المتأمل في الأدوار التي تعاقبت على قريش في تهذيبها اللغة، إلا أن يستسلم للدهشة، ويحار في أمر هذا التعاقب، فإنه كالسلم المدرجة، تنتهي الدرجة متحضرة، فهو عجيب على النصوص في تاريخ العرب، ولا سيما مبدأ تلك النهضة وإنما لا تتجاوز مائة سنة قبل الهجرة، إلى مئة وخمسين على الأكثر، فلا بد من التسليم بأنها حادثة كونية من

[1]- لسان العرب، ابن منظور، (عرب)، ص2864-2865.

[2]- تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، 74/1

[3]-تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، 77/1.

خوارق النظام، وظهرت نتيجتها بعد ذلك في نزول القرآن العظيم بلغة قريش وهم أفصح الأساليب العربية بلا مراء، والله يحكم ما يشاء ويقدر"[1].

فكانت سوق **عكاظ** مركزا هاما لجميع شؤون الحياة، وكان من أمر تهذيب الكلام العربي الفصيح ما لا يسع المقال للتفصيل فيه وإن كان يمس الموضوع؛ وهناك آراء حديثة عربية مخالفة لحيازة قريش لغة اللسان العربي المبين الذي نزل به القرآن العظيم، ولهم أدلة عدة على رأي البحث تمام حسان رحمه الله: منها مسألة الإبداع التي لا تقتصر على زمن معين وفئة خاصة، التعميم التاريخي للظواهر والنصوص، التطور اللغوي، وغيرها من الأدلة؛ وفيها بين الفرق كذلك بين السليقة والفصاحة، ورأيه في التحديد المكاني والزماني. [2].

إلا أن هذه المسألة مهمة لبيان خصائص السليقة العربية وتهذيب الكلام من شعر ونثر وحكم وخطب وغيرها مما هو مبسوط في كتب تاريخ اللغة العربية وآدابها[3].

و-نزول القرآن العظيم بلسان عربي مبين:

عبر الجاحظ(150هـ-255هـ) عن موقفه من الأمة العربية بأنها **أمة بيان**؛ على غرار الأمم الأخرى مثل حكمة اليونان، وهندسة الفراعنة، والفرس والهند والصين؛ وما برعوا فيه من الصناعات والعلوم" وإنما يمتنع الكمال عن اللغات من قبل أمور تعرض من الحوادث وأمور من أصل تركيب الغريزة، فإذا كفى الله أهلها تلك الآفات، وحصنهم من تلك الموانع، ووفر عليهم الذكاء، وجلب إليهم جياد الخواطر، وصرف أوهامهم إلى التعرف، وحَبَّبَ إليهم

[1]- تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، ص80.

[2]-ينظر: اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان، عالم الكتب الحديث، ط4، 2001، 79/1.

[3]-هناك دراسة معمقة قام بها السيد سعيد الأفغاني حول الصفات الحية للغة العربية، وتمثيلها للحياة الاقتصادية والأدبية في تلك الفترة؛ وهي دراسة تستحق أن نأخذ منها جزءا من حياة الكلمات العربية آنذاك لارتباطها بالواقع والأحداث، فهي تفيد المؤرخين والمفسرين على حد السواء (أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، محمد سعيد الأفغاني. المطبعة الهاشمية، دمشق، 1937).

التبيّن، وقعت المعرفة وتمت نعمة الكمال؛ وذلك شأن العدنانية في كل أدوارهم إلى الإسلام"[1].

وعلى هذا الاكتمال نزل القرآن العظيم، ليكون نقطة التقاء بين العرب، ويوحّد الأداء العربي والاختلاف اللغوي " ...هذا أثر قريش في تهذيب اللغة، وبلغتهم نزل القرآن فتكونت به الوحدة اللغوية في العرب، ومنع لغتهم على الدهر أن تضمحل أو تتشعب فتصير إلى ما انتهت إليه لغات الأمم من تباين اللهجات واختلاف مناحي الكلام كما ترى في اللغات العامية العربية"[2].

لذلك فإن دراسة معمقة لهذه المسألة تعطينا صورة واضحة للعربية الفصحى، والملكة اللغوية ككل، ونعني أن هذه الميزات والشروط في توحد اللهجات إلى لغة واحدة في الأداء يضمن نتائج تفوق المستوى الكلامي إلى الاجتماعي والاقتصادي؛ وهذا المبدأ مبدأ البيان القرآني؛ لأنه جاء على سبعة أحرف " وأخرج أبو يعلى في مسنده أن عثمان قال على المنبر: أذكر الله رجلا سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف لما قام فقاموا حتى لم يحصوا فشهدوا بذلك فقال: وأنا أشهدمعهم وسأسوق من رواتهم ما يحتاج إليه.(فأقول): اختلف في معنى هذا الحديث على نحو أربعين قولا:"أحدهما" أنه من المشكل الذي لا يدري معناه لأن الحرف يصدق لغة على حرف الهجاء والكلمة وعلى المعنى وعلى الجهة قال ابن سعدان النحوي"[3].

ملخص الفكرة والمفيد منها تعقيب الرافعي في ، وهي مسألة فيها اختلاف العلماء؛ ويمكن القول أن ذلك بميزان التيسير على الأمة[4].

---

[1]–تاريخ آداب العرب، الرافعي، 77/1، والنص للجاحظ، في كتابه البيان والتبيين، تح: عبد السلام هاوون،الجزء الثالث ص293.

[2]–تاريخ آداب العرب، الرافعي، 83/1.

[3]–الاتقان في علوم القرآن، السيوطي، 65/1.

[4]–ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، المكتبة العصرية، صيدا–بيروت، ط1، 2011، ص57–60، والإتقان في علوم القرآن، السيوطي، 190/1–200، وتاريخ آداب العرب، الرافعي، 58/1–60.

2-اللحن والاحتجاج في ضوء التطور الدلالي والتغير الاجتماعي:

أ-أسباب ظهور اللحن والقول في المسألة :

إنَّ أمر اللحن والاحتجاج بمنزلة" المعيار الذي وضعوه لتقرير عروبة اللفظ بحيث يصح الاحتجاج به هو ثبوته في كلام من يوثق في فصاحته"[1].

وهو من بين أهم المسائل التي تمس جانب فساد السليقة العربي أو الملكة اللغوية ؛ فبعد الانتشار الواسع الذي شهده الإسلام بنزول القرآن بلسان عربي مبين، فشى اللحن وقد قامت دراسات عديدة في بيان أهم الأسباب؛ من مخالطة العرب للعجم، وإنما التحري في هذه الفكرة وبيان نتائجها في التنظير يكون في بيان علاقة المتكلم باللغة؛ وهذه ميزة أهملها الباحثون لأن المتكلم هو صاحب الملكة اللغوية؛ واهم ما تقوم عليه اللغة هي أسباب التعاون والمصلحة والقوام وغيره؛ وهذا جزء لا يمكن أن ننفيه إن أردنا أن نبقي على الملكة العربية وعلى السليقة؛ كذلك عامل الزمن؛ فليس من المنطق أن نبرز مثلا كل خصائص البيان العربي في كل عصر وعند كل متكلم وما نقل إلينا قليل من كثير [2]؛ قال يونس بن حبيب: قال عمرو بن العلاء (70هـ-154هـ):" ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير" [3].

ولهذا كانت النفس هي صاحبة المتكلم وقد جاء البيان القرآني والنبوي؛ ليكفل لها حفظ أوضاعها اللغوية؛ ويحفظ لها أيضا حياة واستعمال تلك الألفاظ؛ وربما يعدل عن أخرى وهو القرآن الحكيم. ولكل عصر مفتاحه الذي يفتح به على النفوس البشرية فهو الذي لا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد. من هنا ينبغي أن ننظر إلى هذه القضية.

---

[1]- الاحتجاج بالشعر في اللغة والواقع ودلالته، محمد حسن حسن جبل، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، دت، ص69.

[2]-ينظر تفصيل الحديث عن الاحتجاج بنظرة دقيقة وحديثة: في أصول النحو، سعيد الأفغاني، ص16-70.

[3]-الخصائص، ابن جني، تح : علي نجار، دار الكتب العلمية ج1، ص386.

ب-قواعد السليقة أم متطلبات(وصف الملكة اللغوية بما هي سليقة):

فبالرغم من قيام النحو بمهمة **حفظ اللسان العربي**- وتدور مختلف الأسباب الداعية لقيام النحو حول: فساد اللغة، والتفريط في صيانة الدين(القرآن والحديث)، واللحن(سبب تدوين اللغة العربية وتقعيد قواعدها)[1]- من منظور اللغة فإن الواقع خلاف ذلك لأن الأداء اللغوي أمر يختلف عن النظر والمنطق، الذي في جوهره شكلها وبناؤها المنطقي.

لذلك بيَّن عالم العربية ابن جني(ت392هـ) إنما النحو علم بقوانين استنباط واستقراء كلام العرب؛ ليلحق من ليس من أهل العربية بأهلها؛ فقد بلغ " أمر اللحن في المئة الأولى للهجرة والدولة العربية محصنة، والعصبية ذات سلطان، والقوم حديثو عهد بجزيرتهم ولا تزال مجتمعاتهم تتناقل القول المشهور ليس للاحن حرمة"[2].

ونفهم من قول ابن جني، أن أمر النحو تجاه ملكة اللغة العربية، إنما يقوم على مبادئ استنباطية عقلية، واستقرائية وصفية؛ وهذا يجرُّ إلى التفكير النحوي، ونعني به قيام نظرية النحو العربي على مادة البيان العربي أداء وتطبيقا، حفاظا عليها من الانحراف؛ فمسألة التحريف أخذت مسارات مختلفة؛ فعند القدماء يتمثل الغرض في الحفاظ على القرآن العظيم وانغلاقه على الأفهام، أما الموازنة بين اللهجات فقد عدَّ منهج القراء أوضح مثال وأصوب منهج للتعامل مع هذا الاختلاف ورده إلى الإتلاف، على أن الغاية أيضا هي تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها؛ أما الآن فيؤخذ الأمر على صعيد آخر لانتشار العاميات واختلافها[3].

وعليه فالنظر هو نتيجة التجربة والاستدلال لما يشاهده النحوي من تصرف العربي الفصيح؛ والهدف هو لحاق من ليس من أهل الفصاحة بأهل الفصاحة.

---

[1]-ينظر: من تاريخ النحو، سعيد الأفغاني، دار الفكر، دط، دت، ص73.

[2]- ينظر: في أصول النحو، سعيد الأفغاني، مطبعة دمشق، ط3، 1964، ص14.

[3]- ينظر: في أصول النحو، سعيد الأفغاني، ص34-36.

أي أنَّ الوصف يشمل كل أغراض الكلام العربي في تصريف الكلام؛ وهذه المشاهدة تتم بنقل جهات الكلام في التعبير"وبَعْد فالحمالون والحماميون والساسة، والوقادون ومن يليهم ويعتد منهم، يستوضحون من مشاهدة الأحوال وما لا يحصله أبو عمرو من شعر الفرزدق، إذا أخبر عنه، ولم يحضره ينشده. أولا تعلم أن الإنسان إذا عناه أمر فأراد أن يخاطب به صاحبه، وينعم تصويره في نفسه استعطفه ليقبل عليه فيقول له: يا فلان، أين أنت، أرني وجهك، أقبل علي أحدثك، أمَا أنت حاضر يا هناه. فإذا أقبل عليه ، وأصغى إليه اندفع يحدثه أو يأمره أو ينهاه أو نحو ذلك"[1].

فإن كان الوصف يحكي كلام العربي، فإن ابن جني، يعزو أحوال أو أغراض المتكلم العربي، بعيدة عن الوصف لأنها؛ نفسية داخلية، ويذكر سعيد الأفغاني أن عدم معرفة الأحوال هي سبب الخلاف الذي نشأ بين المدرستين البصرة والكوفة، " كما حصل في بيت عمر بن أبي ربيعة:

ثم قالوا: "تحبها" قلت بهرا عدد الرمل والحصى والتراب

فذهب قوم إلى أن(تحبها) استفهام حذفت منه الأداة وقال آخرون: بل هي خبر، ولو سجلوا نبرة الشاعر حين الإنشاد لم يقع الخلاف"[2].

يقصد ابن جني أيضا من تلك الأحوال؛ الأنس والاستيحاش[3]، والاستخفاف والاستثقال، والثقيل والإنكار والرضا، والتعجب وسماها ب" القصود".إلا أن علم البلاغة قد تكفل بالقوانين التي تخص هذه الأحوال؛ وهو أمر يرجع إلى المتكلم وعلاقته بتصريف الكلام على الوجه الذي يريد.

[1]–الخصائص، ابن جني، تح: علي نجار،247/1.

[2]–في أصول النحو، سعيد الأفغاني، ص94.

[3]–من استوحش مقابله الاستئناس.

ثانيا : أساليب تقويم الملكة اللغوية في النظرية النحوية وأسس تعليمها

1-مفهوم النظرية النحوية ومصادر أصول النحو:

الحديث عن أصول النحو؛ قد تكفلت به الكتب النحوية وكتب الأصول؛ إلا أن ما نفرده هنا يتعلق بقراءة بعض الآراء في مصادر أصول النحو العربي، والهدف هو أنَّ النحاة تكلموا عن الملكة اللغوية، وذلك لما ذكرنا بأن عملهم كان وصفيا استقرائيا واستنباطيا لوجوه تصرفها؛ والحقيقة أن هذا الوصف أخذ أشكالا عديدة وامتدادات فيما بعد الأصول؛ وهي المتون والشروح؛ ويمكن أن نقول أنها زبدة التفكير الناتجة في الأخير.

قرأ الباحث تمام حسان التراث العربي النحوي والبلاغي واللغوي، في رؤية لسانية حديثة ضمن شروط العلم مثل: الشمول والضبط والتجريد والموضوعية والتماسك، والتصنيف والاقتصاد وغيرها، مثلما حاول أن يبين الهيكل البنوي للنحو العربي في ضوء إشكالية الأصول والفروع، من خلال قراءة متأنية لعملية استنباط القواعد النحوية[1].

إشكالية الأصل والفرع تقابها إشكاليات أخرى نابعة من مقولات العلم وتحولاته التاريخية؛ ونقصد مناهج البحث؛ وهذه الإشكاليات ما زالت مطروحة مثل إلى الآن: الثابت والمتحول، والنظرية والتطبيق، وغيرها من المفاهيم المعروفة في النقد واللغة والأدب عموما.

تقوم النظرية النحوية على أسس ومبادئ شكلت آراء كلا من البصريين والكوفيين والنحويين؛ وقد خلفوا لنا تراثا في تخريج المسائل اللغوية لا يمكن إغفاله؛ في حفظ أوصاف هذه الملكة، إلا أن الحياة تصرفت" في هذا الأمر بما لا يشعر به البصريون ولا الكوفيون، إذ أن لها اختيارها الخاص الملائم: تقبل ما يروقها وتجيبه غير آبهة لما يقول هؤلاء ولا ما يقول أولئك .وإنما السليقة اللغوية الخفية في نفوس المتكلمين هي التي احتفظت بما كان

[1]- ينظر: الأصول دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب: النحو، فقه اللغة، البلاغة، تمام حسان، عالم الكتب، ص54-61.

أقرب لروح العربية، الأولى، فمات بل لم يولد ما جانف[1] هذه السليقة، فما أحد قال ولا يقول اليوم :(الرجل قام، و إن قال المذهب الكوفي بتقديم الفاعل على الفعل)"[2].

2-الفصاحة والسماع :

أ-السماع علم العربية:

السماع اللغوي مرحلة من مراحل بدء جمع المدونة اللغوية؛ وهو ما يعرف برحلة العلماء إلى البادية بغية سماع الفصيح من كلام العرب؛ من شعر ونثر وغيره؛ وقبل أن يكون هذا الصنيع من العمل "كان علم(العرب) في الجاهلية وصدر الإسلام مما يعرف به النسابون وأهل الإخبار، ...فلما رجعوا إلى الشعر والتمسوه للشاهد والمثل، كان ذلك بدء تاريخ الأخذ عن العرب للقصد العلمي، ...بيد أن اللسان يومئذ كان لا يزال أقرب إلى عهده من الفطرة، فلم يأخذوا عن العرب شيئا يسمونه اللغة، إذ كانت هذه التسمية لم يجتمع بعد أسبابها كما عرفت، فكان علم العرب مقصورا على النسب والخبر والشعر"[3].

وفيه يبين الباحث تقدم السماع على القياس، وإثبات النقل بالنسبة للغة، وغيرها من القضايا المتحرى فيها والمتعلقة بالاستقراء والتنظير والاحتجاج بالقراءات والحديث الشريف، وخصائص كل من منهج القراء والنحاة واللغويين اتجاه ضبط اللغة وتقعيدها[4].

ب-السماع حدود الفصاحة العربية:

ولرحلات السماع عن العرب حديث طويل ومفصل في مظانّه، لا يسع المقام لبسطه هنا إلا ما ينشده البحث حول فكرة السليقة العربية آنذاك، وشأن السماع بوصفه أصلا من

[1]-من جانف أهله : انفصل عنهم عن بغض.

[2]-من تاريخ النحو، سعيد الأفغاني، ص73.

[3]-تاريخ آداب العرب، الرافعي،1/ 274.

[4]- ينظر: في أصول النحو، سعيد الأفغاني، ص27-45.

أصول قيام الملكة اللغوية، قبل تقعيد النحو ومدِّ العلل[1] في مرحلة الوصف هو ما كان يعرف مثلما ذكرنا بعلم العرب ومعرفة أنسابهم وأخبارهم وأيامهم.

إذا فمن خصائص هذه الطريقة أنها تقوم على عدة مبادئ هي: الزمان والمكان والتجربة؛ أي السماع من أفواه الفصحاء؛ وسماع الفصيح من الكلام العربي.

يقول ابن جني" ...فإن الأعرابي، إذا قويت فصاحته وسمت طبيعته، تصرف وارتجل ما لم يسبقه أحد قبله به"[2]، وهذا الكلام ينبه عل خاصية خطيرة من شأن الفصاحة وعلاقتها بالملكة اللغوية؛ معنى ذلك أن ملكة التصرف والارتجال مقصورة على سمو هذه الطبيعة.

جـ-الفصاحة والناطقين بغير العربية:

والفصاحة كما يعرف قد حَدَّد زمنها النحاة وحدَّدوا مكانها؛ فقد قامت بذلك محاورات، لسماع لفظة، أو شرح معنى، أو بيت من الشعر، بالنسبة للتحديد الزماني(إلى غاية النصف الثاني من القرن الهجري، ويشمل عرب الجاهلية والعرب الفصحاء من بدو وحضر، أما البادية إلى غاية القرن الرابع الهجري)، أما التحديد المكاني فالقبائل هي(قيس، وتميم، وأسد، وهذيل، وبعض كنانة وبعض الطائيين)[3]، وهذا أيضا مهم في أن تحصيل ملكة العربية كذلك مقرون بالبيئة التي يتكلم أهلها بها؛ وقد بين الباحث عبد الرحمن الحاج صالح بنظرة معاصرة أسس هذا السماع وخصائصه في قراءة أقوال سيبويه في الكتاب"...ونحو هذا أكثر من أن يحصى(196/2)...فكل سماع أيا كان يلازمه تحليل إحصائي"[4] وغيرها من المصطلحات في الكثرة والعدد والاحصاء الكيفي والكمي للمسموع، وهي قراءة تحدد شروط الزمان والمكان والتجربة وغيرهما مما هو معروف في اللسانيات الوصفية والتصنيفية.

[1]-ينظر: تاريخ آداب العرب، الرافعي، 274/1-275.

[2]-الخصائص، ابن جني، تح: هنداوي، 411/1.

[3]-ينظر : الاقتراح في علم أصول النحو، ص48، وينظر: في أصول النحو، سعيد الأفغاني، ص19-27.

[4]- السماع اللغوي عند العرب ومفهوم الفصاحة، عبد الرحمن الحاج صالح، موفم للنشر، الجزائر، دط، 2012، ص373، وينظر: منطق العرب في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، موفم للنشر، الجزائر،2012.

ولذلك عُدَّ من أهم شروط قيام وتحصيل الملكة اللغوية، فيما يخصُّ الناطقين بالعربية والناطقين بغيرها؛ يقول ابن جني" النحو انتحاء سمت كلام العرب، في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع، والتحقير، والتكسير والإضافة، والنسب، والتركيب، وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذ بعضهم عنها ردَّ به عنها"[1].

إنَّ الفصاحة كانت تعني عندهم الملكة اللغوية العربية؛ لم يتخذ ابن جني القياس مذهبا إلا من ناحية الارتجال والمحاكاة "واعلم أنك إذا أداك القياس إلى شيء ما، ثم سمعت العرب قد نطقت فيه بشيء آخر على قياس غيره، فدع ما كنت عليه، إلى ما هم عليه..."[2]

نلاحظ أن هذا التصور العميق في وصف الملكة اللغوية أو ملكة الفصاحة عند أهلها وعند الناطقين بغيرها ، يبين بوضوح حدود هذه الملكة وعلى دور القياس بوصفه عملية خارجية ومعنوية نفسية في التحصيل اللغوي. وهي مرتبطة بطريقة العرب في كلامها؛ في تصرفه أي اشتقاق أوزانه وحركاته الإعرابية؛ وأساليبه من خبر، وغيره من المقاصد النحوية؛ عرفت في ترتيب الكلام؛ ووجوهه ومجاريه[3].

3-القياس والإبداع والبيان العربي:

هذه المسألة وضعناها هنا لننوه على فكرة تتعلق بما دار حول أمر الملكة من طبع أو قياس؛ وذلك لأنَّ ما تحدثنا عنه بالتحديد الزماني والمكاني للفصاحة أمر لا يمكن إنكاره؛ لكن تبقى مسألة التعاقب الزمني حتمية وضرورة؛ وكيف تعمل في حركة انتقال الألفاظ؛ وتغير معانيها؛ وتبدل أخرى وانقراضها أحيانا؛ وهذا كله يرجع لاستعمال المتكلم نفسه؛ فقول

[1]-الخصائص، ابن جني، تح: هنداوي، 88/1.

[2]-الخصائص، ابن جني، تح: هنداوي، 162/1.

[3]- ينظر: في أصول النحو، سعيد الأفغاني، ص97.

الخليل (ت170هـ)"**إن العرب نطقت عل سجيتها وطباعها.وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها علله، وإن لم ينقل ذلك عنها...**"[1].

فكان ذلك نسبة لمكان الفصاحة وأهلها آنذاك؛ والحقيقة أن الطبع والسجية للعربي الفصيح؛ يحتاج هو أيضا لمن يسمع عليهم في تلك الفترة ويحاكي كلامهم.

أ-القياس والارتجال:

بهذا المعنى نرى للقياس شأنا كبيرا في أن يحاكي من ليس من تلك الفصاحة بمن كان فصيحا؛ ولا أدل على ذلك أن **رؤبة بن العجاج وأبيه**[2]؛ قاسا كما تنقل لنا كتب العربية؛ على ثلث كلام العرب، ومعظم الاستشهادات بالنسبة للمعاجم هي من أمثلة رجز أشعارهما؛ وذلك يرجع إلى ما قاله بهذا الشأن ابن جني؛ في أن العربي إذا قويت فصاحته وسمت طبيعته تصرف وارتجل ما لم يسبقه إليه أحد قبله[3].

ب-القياس النحوي:

وهذا إن دلَّ على شيء فإنَّما يدل على أن نفهم أكثر الفصاحة ومقوماتها بوصفها ملكة اللغة العربية؛ وهي تعود -السليقة- إلى نفوس متكلميها؛ من هنا يتجلى أمر القياس وخطورته التي لا يمكن إنكارها بما يحدث للمتكلم أن يقيس على ما سمع ثم يتصرف ويرتجل ما لم يسمعه؛ ويعني مصطلح القياس بوصفه دليلا من أدلة أصول النحو"**حمل غير المنقول على المنقول في حكم لعلة جامعة**"[4]، وقبله قول ابن جني كذلك" **ما قيس على**

[1]-الإيضاح في علل النحو، الزجاجي(ت337هـ)، تح: مازن المبارك، دار النفائس، ط3، بيروت، 1979، ص66.

[2]-ينظر: في أصول النحو، سعيد الأفغاني، 81-82، والاقتراح في علم أصول، لجلال الدين السيوطي، ضبط عبد الحكيم عطية، وعلاء الدين عطية، دار البيروني، ط2، 2006، ص54.

[3]-ينظر: الخصائص، ابن جني، تح: هنداوي، 2/ 411.

[4]- الاقتراح في علم أصول النحو، للسيوطي، ضبط عبد الحكيم عطية، وعلاء الدين عطية، ص79، وينظر تفصيل المسألة بنظرة معاصرة وفاحصة: في أصول النحو، سعيد الأفغاني، ص78.

كلام العرب فهو من كلام العرب، ألا ترى أنك لم تسمع أنت ولا غيرك اسم كل فاعل ولا مفعول، وإنما سمعت بعضها فقست عليه"[1].

وهذه نظرة ثاقبة في وصف ملكة اللغة العربية في كلام العرب؛ وهو وصف منطقي وعقلي يصوِّب قواعد هذه الملكة ويصف ترتيبها وتقلباتها ومناحيها؛ وتعلقها بالزمن ومتغيراته؛ وأحوال المتكلم في السماع والتحصيل والاستعمال اللغوي.

كما أنَّ هناك نقطة لا يمكن إغفالها؛ وتتعلق بمصطلح السماع، ومصطلح النقل وعلاقتها بالبيان العربي؛ فالمصطلحات التي نقلها الخليل وسيبويه وابن جني، ناتجة عن كل تطور للسان العربي؛ فاستعمل الأوائل لفظ السماع؛ ثم في عصر السيوطي(849هـ-911هـ)[2]، والأنباري(513هـ-577هـ)؛ استعملوا النقل فيما معناه السماع؛ وهذا تبرير منطقي يشدِّد على أنَّ السماع من البيان العربي الأول يقابله مصطلح السماع؛ ثم لما امتد الزمن إلى ما بعد عصور الاحتجاج والفصاحة قابله مصطلح النقل.

يقول الباحث عبد الرحمن الحاج صالح" وربما يظن الظان، حسب ما يبدو من هذا الكلام، أن القياس يصلح فقط لتوليد المفردات الجديدة مثل المصطلحات-والواقع أن المتكلم بلغة من اللغات لا ينفك يقيس وهو يتكلم بدون ما شعور منه لأنه يركب في كلامه من التراكيب التي لم يسمعها أبدا بنفس المحتوى من الكلم والوحدات اللغوية ويكون ذلك على قياس خاص باللغة التي اكتسب فيها مهارته اللغوية..."[3] ، وعلاقته بالإبداع يمثل مسألة كبيرة إذا قورن بالمتكلم؛ فالنحاة وإن لم يفردوا بالتنظير للعلاقة الوطيدة بين اللغة والمتكلم بوصفه مركز الكلام؛ إلا أنَّ في قراءتنا لهذه المقاييس اللغوية يتضح لنا اهتمامهم بخصائص

[1]-الخصائص، ابن جني، ت: هنداوي، مج1، ص357، و في أصول النحو، الأفغاني، ص80.

[2]-السيوطي(849هـ-911هـ)، درس التفسير والأصول وعلم العربية، على شيخه محي الدين الكافيجي، له عدة مؤلفات منها: المزهر في علوم اللغة، والاقتراح في علم أصول النحو وبغية الوعاه...ينظر ترجمته الكتاب السابق، الاقتراح للسيوطي، ضبط عبد الحكيم عطية وعلاء الدين عطية، ص11.

[3]-منطق العرب في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، ص157.

الملكة اللغوية المتمثلة في الفصاحة وشروطها الزمانية والمكانية، وكذلك سبل الإبداع في غياب هذه الشروط؛ ودور المتكلم في الإبداع ؛ وهي قراءة تحتاج الكثير من التقصي ولمّ أصولها حتى نبرزها نظرية محكمة في التحصيل والاكتساب. [1]

وفي الدراسات المعاصرة اللسانية يتوجه البحث إلى دراسة منطق القياس، ودوره في زيادة التحصيل الذهني، انطلاقا من مبادئ منطقية وعقلية ورياضية، وبما تطور في ميدان الرياضيات والبيولوجيا؛ والهدف العلاقة بين الصوت(الكلام)، والمنطق وكان نتيجته الأبحاث التي طورت في مجال اللسانيات الحاسوبية.

جـ-القياس والخطأ: أسلوب تعليمي في رد الخطأ إلى الصواب

على ما أخذناه من شأن القياس وعلاقته بالمتكلم في المستوى الإبداعي؛ فإنَّ ههنا مستوى خارجيا ينم على التحصيل اللغوي ضمن أسلوب رد الخطأ إلى الصواب؛ وهذا صنيع علماء النحو حين ذهبوا في أمرهم إلى تعليل ورود لفظة ما؛ أو قاعدة، أو أسلوب لغرض تأصيلي علمي؛ وشرحهم لهذه المسائل يحمل قضايا عديدة في علاقة الشاهد بالقاعدة الذي سوف نفرد له جزئية؛ كذلك الأمر نفسه بالنسبة للحديث الذي كان يجري بين الفصحاء من العرب والعلماء؛ وتسجيل هؤلاء ما كان يريد أولئك.

يقول ابن جني" سألت الشجري يوما فقلت:"يا أبا عبد الله فكيف تقول: (ضربت أخاك؟) فقال: "كذلك" فقلت: أفتقول:(ضربت أخوك؟) فقال: لا أقول(أخوك) أبدا.فقلت: فكيف تقول: (ضربني أخوك؟) فقال: "كذلك" فقلت: ألست زعمت أنك لا تقول (أخوك) أبدا ؟ فقال: إيش هذا؟ اختلفت جهتا الكلام"[2].

[1]-جاء في المقاييس أن القياس من القوس؛ ومن معانيه التقدير، 41/5. أما الطبع؛ فهو بلوغ الشيء نهايته؛ ويقال على هذا طبع الإنسان وسجيته، 438/3.

[2]- الخصائص، ابن جني، تح: هنداوي، 263/1-264، ينظر التعليق على المسألة: في أصول النحو، سعيد الأفغاني، ص94.

وهذا الحديث عن السليقة يبرز دور القياس كآلية خارجية، بالنسبة لغير المتكلم على السليقة؛ ولا نشكُّ في دوره أيضا بتحصيل المتعلم ملكة نحوية تعليمية وتحليلية؛ انطلاقا من التصويبات التي هي نتاج تحليل منطق اللغة العربية في تصرفها؛ كما أنه من أسس التحصيل ليس لغنى المتعلم أن يتجاهلها.

وهو مثال من آلاف الأمثلة في هذا المقام عني بها علماء النحو بالتحليل والتبسيط لأوجه الكلام وتصرفه من إعراب، وتركيب، وغيره؛ فماذا سمع النحوي؛ وماذا قاس؛ و لماذا قاس؛ فإن الإجابة تتطلب أن ننظر في تلك الشواهد التي اعتمدوها بالتحليل للاستدلال على قواعدهم[1].

-المتون النحوية:

وفي هذا الغرض كانت طرائق المتون في التراث العربي القديم صالحة رغم الاختلاف بين العلماء في جدواها إلا أنَّ الميدان يشهد بتمكن العديد من الطلاب من حفظها لأنها وسيلة تلخص مجمل قواعد النحو والصرف في أسلوب شعري مكثف، ونحن في نظرية البيان العربي؛ يمكن أن نلمس جوهر الإشكالية القائم والاختلاف في الرؤى، إلى أن خصائص العبارة البيانية هي أقرب في تحصيل الملكة اللغوية نظرا للشواهد والنصوص الحية التي تمثلها، وهو رأي الكثير من معاصرينا الآن بضرورة اقتران المتون بالشواهد اللغوية من الفصيح من الكلام أي(البيان العربي)، الذي حددنا خصائصه في المبحث الأول.

في الفصول الموالية سوف نبين بحول الله جزءا آخر من هذه الإشكالية، ومجمل القول أن ابن خلدون يرى تزاحم المعاني واختلاط المسائل لتلك الرموز في الأبيات الشعرية وصعوبتها على طالب العلم، وقد استخلصنا خصائص العبارة البيانية البلاغية والعبارة

[1]-يطلق على هذا النوع الآن بالنحو العلمي؛ على أن النحو التعليمي كان مظهر القواعد في شكلها النثري أو الشعري(المتون النحوية)، وأشهر المتون في التراث العربي، ألفية ابن مالك(600هـ-672هـ)؛ أما أشهر من برعوا في الأسلوب النثري ابن هشام(708هـ761هـ).

العلمية في نظرته لتحصيل الملكة اللغوية، وممن دعوا إلى ضرورة أن ترفق المتون بحفظ نصوص العربية الفصحى حديثا البشير الإبراهيمي.[1]

ونشير إلى نقطة لها شأن في طبيعة القياس عند النحاة أو بوصفه طبيعة للمحاكاة عند المتكلم وأدائه للكلام؛ وجوهر هذه الفكرة تنحصر حول العربي هل كان يرتجل ارتجالا دون نموذج سابق أي قانون سابق؛ وهذا الذي يسمى"المنشأ أو الطبيعة"، أو أن العربي يستنجد بالعلة التي يذكرها علماء الأصول المتمثلة في ضرورة وجود حكم مشابه، أو جامع بين الذي تكلم، وبين الذي هو الأصل "**النموذج**" . لو دققنا الإجابة فإنه ضرب من الغيب أن نصل إلى أصل النموذج الذي كان يقيس عليه العربي" **العربية الفصحى الأولى**".

-النموذج المقيس عليه هو البيان العربي:

إنَّ حدود النظر النحوي الذي اعتمده علماء الأصول حول البحث عن أصول القواعد التي استنبطوها فيما يتعلق بالقواعد النحوية من (البيان العربي) هو الذي نسميه "النموذج المقيس عليه"؛ وهو الكلام العربي الفصيح؛ وهذه الشواهد تتمثل في القرآن العظيم؛ والحديث الشريف والكلام العربي الفصيح من شعر ونثر؛ فقد كانت دليلا على صحة قواعدهم؛ وإن لم يكن ذلك اتفاقا كاملا بين النحاة، لأنَّ هناك خلاف في الاستشهاد بالقرآن والحديث وهذه أيضا مسألة معروفة بقواعد الاحتجاج وشروطها[2].

فالملكة اللغوية انطلاقا من هذا النموذج محدودة بحدود هذه القواعد، والكفاءة أو الكفاية اللغوية هي أعمق بكثير مما نتصوره نظريا؛ فرؤبة والعجاج، والأصمعي والخليل وابن جني؛ قد تناولوا قليلا مما هو كثير من اللغة العربية الفصحى؛ قال رجل للخليل(ت170هـ):" أخبرني عما وضعت مما سميت عربية: أيدخل فيه كلام العرب كله؟ فقال(لا)، فقال :"كيف

[1]– ينظر: المتون العلمية ومدى فاعليتها في تعليمية اللغة العربية، يوسف ولد النبية، منشورات مختبر اللسانيات العربية وتحليل النصوص، الإرشاد، سيدي بلعباس–الجزائر، ط1، 2020، ص 5–19.

[2]–ينظر شرح المسألة: في أصول النحو، سعيد الأفغاني، ص28–87، وقد فصل فيها الأفغاني بحثا ونقدا وتقويما.

تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة؟" فقال:" أحمل على الأكثر وأسمي ما خالفني لغات"، [1].

فإن أخرجنا القياس من بيئة النحاة إلى بيئة العربي الفصيح آنذاك فإنه سوف يأخذ مفهوما آخر؛ إلَّا أنَّ الفصاحة التي نتحدث عنها في سياقها الزمني والبيئة كفيلة بأن يبدع المتكلم مما حاكاه في بيئته وهو ما نسميه قياسا بهذا المفهوم.

فغاية النحوي من القياس هو إثبات القواعد النظرية، وهي القوانين النحوية وشروط استعمال الألفاظ والتراكيب وغيرها وسموها" احتجاجا"، وحدَّدوا أيضا القراءات الصحيحة دون الشاذة إلاَّ بعض المواقف مثل الكسائي(119هـ-189هـ)، وغيره، وللأفغاني(1909م-1997م) رأي مدقق مضمونه :

- يستشهد بالقراءة الشاذة في اللغة دون العبادة.
- الأحاديث التي استعملت بعض الألفاظ العربية التي شذَّت في القياس، مثل فعل(يذَرَ-يَدَعُ) فماضيهما موجود في الحديث الشريف الصحيح يورد الأفغاني في كتابه (في أصول النحو) تفصيلا دقيقا حول كلمة(ودع ووذر)؛ وعلة شذوذهما عند النحاة كان ل: الاستغناء عن ماضي (يدع) ب(ترك)، واعتبار قراءة قوله تعالى: ﴿ ۝٣ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ ﴾ (الضحى/3) بالتخفيف بأنها قراءة شاذة، أما أدلة التحري عند الأفغاني بجواز العكس فهي كالآتي: المتفق أن ما يرد في القرآن من اللغة هو الأفصح من غيره، وجاء ماضي (ودع) في بيت أبي الأسود الدؤلي، وغيره، إضافة إلى قراءة الآية السابقة فهي صحيحة ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم[2].

[1]- في أصول النحو، سعيد الأفغاني، ص72، نقلا عن ضحى الإسلام، أحمد أمين، 259/2 ص72.

[2]-ينظر: في أصول النحو، الأفغاني، ص57-58، والوجيز في قواعد اللغة العربية، سعيد الأفغاني، دار الفكر، دط، دت، ص14-17.

- هناك بعض الأخطاء التي وجدها سعيد الأفغاني في قواعد الاحتجاج صنفها إلى إحدى عشر قاعدة تحرَّاها من أمَّهات الكتب وقام بتخريجها ونسبتها إل أهلها؛ ذاكرا كذلك التحريف والتصحيف[1].

يمكن القول إذا أنَّ القياس حفظ البيان العربي المتمثل في البيان القرآني، والحديث الشريف والكلام العربي الفصيح؛ فإن قامت القواعد النحوية الخاصة بملكة هذا البيان فإنَّ الأقرب إليها هو السماع ثمَّ القياس، لذلك فإنَّ السماع دليله" في مثل هذه الحالة يكمن في استطاعة أي باحث أن يشاهد ما شاهده أحد الباحثين قبله والسماع مشاهدة وذلك عام ينطبق على كل العلوم وهو معمول به في زماننا، فيما يخص تجارب الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا وغيرها من العلوم"[2].

ثالثا : دور الشاهد اللغوي والنحوي في تحصيل الملكة اللغوية

مما تقدم سابقا في حديثنا عن السماع والقياس والفصاحة؛ يبقى أن نشير إلى مسألة لا يمكن إغفالها؛ بوصفها استثمارا؛ للنظر النحوي المتمثل في قواعده؛ والشواهد التي اعتمدوها المستمدة من البيان العربي بكل أقسامه؛ وهذا يؤدي بنا إلى القول بأنَّ الغرض من القواعد هو تحصيل ملكة نحوية؛ أما الغرض من الشواهد فهو تحصيل ملكة لغوية بجميع مظاهرها؛ استماعا وتحدثا وقراءة وكتابة.

كما أن للمطابقة بين الأحكام والمعاني سر من أسرار النحو والصرف، والاسم، والفعل، والحرف فهي من وصف بناء اللغة العربية وفق الترتيب الواقع في غرائز أهلها.[3]

[1]–ينظر: الوجيز في قواعد اللغة العربية، سعيد الأفغاني ، ص16.

[2]–السماع اللغوي عند العرب، عبد الرحمن الحاج صالح، ص247.

[3]–ينظر: أشتات مجتمعات، لعباس محمود العقاد، مؤسسة هنداوي، القاهرة –مصر، دط، 2013، ص47، والإمتاع والمؤانسة، لأبي حيان التوحيدي، تح : أحمد أمين، وأحمد الزين، هنداوي، دط، 2017، ص126.

1-مميزات القواعد النحوية للغة العربية الفصحى:

هناك شق يتعلق بما تبحر وتعمق فيه النحاة من مسائل لغوية بالغة الدقة والتجريد؛ وفي معظمها تخريج للاستدلالات أو تخريج لبعض الشواهد اللغوية؛ إلاَّ أنَّه في هذا المقال ننوِّه على الصورة النهائية التي كانت في اكتمال استنباط جميع أوجه الكلام العربي الفصيح وتصرفه في الأساليب؛ ويدعى اليوم بالنحو العلمي؛ بدل النحو التعليمي المستمد من طريقة المتون أو نحو الجملة.

2-أنواع الشواهد البيانية :

الكثير من الدارسين ينبّهون على أهمية الإبداع بعد الحفظ؛ أو ما يُسَّمى بالمحاكاة والقياس بالمفهوم الذي وظَّفناه في التَّحصيل[1] ، بل حتَّى في تعليمية اللغات الآن؛ يتوجهون إلى أكثر من غاية الأداء والتحصيل بالنسبة للملكة اللغوية؛ إلى التفكير بها.

وهنا تستوقفنا مسألة مهمة حول شكل ونوع الشاهد اللغوي[2]،وما دمنا في موضوع البيان العربي؛ فإن أرقى النصوص على الإطلاق وأعلاها بلاغة هو البيان القرآني والحديث الشريف؛ ثم الكلام العربي الفصيح نظمه ونثره.

3-غاية الشواهد اللغوية وتطبيقاتها :

تحصيل مجموعة من الملكات انطلاقا من نوعية الاختيار؛ وتبعا للوظيفة التي يتبناها الشاهد عند المتعلم؛ إضافة لملكة الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة؛ فهناك ملكات دقيقة متضمنة فيها؛ من ذلك ملكة النحو؛ وملكة البلاغة وملكة التحليل وملكة التركيب.

---

[1]-صاحب الفكرة المفكر (ابن خلدون) في مقدمته، وهو وجه للتحصيل والتعليم معا بحفظ نصوص البيان العربي.

[2]-قامت لسانيات النص المعاصرة على غاية منهجية ومعرفية تتمحور حول إيجاد نحو كلي للنص دون نحو الجملة؛ والحقيقة أن الانتقال من نحو الجملة عند تشومسكي إلى نحو النص عند النصَّانيين ما هو إلا القول بالجملة الطويلة وهي النص، ينظر تفاصيل ذلك :اللسانيات النصية في الدراسات العربية الحديثة بحث في الأطر المنهجية والنظرية ، خالد حميد صبري، خالد حميد صبري، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة –الجزائر، منشورات ضفاف، بيروت لبنان ،ط1، 2015، ص 54.

أ-تطبيقات النظرية النحوية والشواهد البيانية:

-التحليل النحوي:

إنَّ إدراك الأبعاد التي يقوم عليها التحليل النحوي، يسهم كثيرا في تحصيل الأداء الأمثل للسان العربي السليقي، ويبدو أن التنبه للاهتمام بهذا الشقِّ يعود إلى إدراك الحاجة والغاية من تحصيل القواعد وتحصيل الملكة اللغوية بعامة، وهذه الحاجة مرتبطة بشيئين اثنين في زمن السليقة العربية، وهما فهم القرآن العظيم وحفظه من الخطأ والتحريف؛ ثم معرفة أوصاف الملكة اللغوية العربية آنذاك.

وإدراك تصحيح الكلام يصبُّ في هذا الاهتمام" لأنَّ صحيح الكلام من سقيمه يعرف بالنظم المألوف، والإعراب المعروف إذا كنَّا نتكلم بالعربية..."[1].

وهناك اعتبارات دقيقة وغير محصورة في التحليل النحوي للجمل، يظهر تمكن علماء النحو من إدراك أوجه الكلام، وتصرفه بحسب المواقف، وفيما يلي مثال للعقاد (1988م-1964م)يوضح لنا ذلك:

- الفعل المبني للمعلوم والمبني للمجهول في اللغة العربية[2]:

*فَتَحَ الرجلُ البابَ

*فُتحَ البابُ

*انفتحَ البابُ

*كلمة (فتَّاح)

فالجملة الأولى هي خبر لمن يريد معرفة من فتح الباب؛ والجملة الثانية خبر موجه لمن يهمه أن يعلم من فتح الباب ولكن المتكلم سكت عنه، والثالثة لا هي للمعلوم ولا هي

[1]-مناظرة السيرافي(ت 368هـ) ويونس بن متى(ت327هـ) في الإمتاع والمؤانسة، لأبي حيان التوحيدي(310هـ-414هـ)، الليلة الثامنة، ص123.

[2]-ينظر: أشتات مجتمعات، العقاد، ص45-46.

للمجهول؛ بدلالة فعل المطاوعة(انفتح)، وهي الإنسان وهو في حالة ينتظر فيها فتح الباب"لا يعنيه من الذي فتحه كما لا يعنيه أن يقول له المتكلم إنه يجهله أو يسكت عنه"[1].

أما الفعل الذي جاء على صيغة المبالغة(فتَّاح) من معاني الفاعلية: الكثير الفتح، والمقتدر على الفتح على حد السواء.

-التحليل البلاغي :

إنَّ اللغة الدقيقة" التي استوفت وجوه الدلالة هي اللغة التي تلاحظ مقتضى الحال في كل عبارة من العبارات الثلاث، ولا تستخدم عبارة واحدة لموضعين ملتبسين"[2]، وعلى هذا قول السيرافي(ت368هـ) "وقدر اللفظ على المعنى، فلا يفضل عنه، وقدر المعنى على اللفظ فلا ينقص عنه، هذا إن كنت في تحقيق شيء ما على ما هو به، فأما إذا حاولت فرش المعنى وبسط المراد فاجل اللفظ بالروادف الموضحة، والأشباه المقربة، والاستعارات الممتعة وبين المعاني بالبلاغة، ..."[3].

ولنا مثال شرح به السيرافي[4] أوجه التحليل البياني :

- مواقع واو العطف في اللغة العربية :

ونجمل ما قاله السيرافي في أنَّ واو العطف في اللغة العربية لها أوجه منها:

***العطف:** أكرمت زيدا وعمرا.

***القسم** : والله لقد كان كذا وكذا.

الاستئناف:خرجت وزيد القائم.

---

[1]-أشتات مجتمعات، العقاد، ص46.

[2]-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]-الإمتاع والمؤانسة، التوحيدي، ص132.

[4]-ينظر: المرجع نفسه، ص127.

***معنى ربَّ:** للتقليل: نحو قول رؤبة بن العجاج : وقاتم الأعماق خاوي المخترق.

***أصلية : وجل يوجل.**

***الحال : قوله تعالى:** ﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾

(**آل عمران/46**) أي يكلم الناس في حال كهولته.

***مقحمة:**نحو قول امرئ القيس:

فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى بنا بطن خبت ذي حقاف عقنقل

أي انتحى بنا.

***الجر :نحو قولك:** استوى الماء والخشبة، أي مع الخشبة.

-التحليل المنطقي:

نعني بالمنطق هنا ما يفيده نظم الألفاظ والتركيب في اللغة العربية من معاني نحوية ودلالية، وما بين المنطق والنحو تعقيد واضح جدا؛ من ذلك قول السيرافي يفرق تفريقا دقيقا بينهما بقوله:"فأنت إذا قلت لإنسان "كن منطقيا" فإنما تريد :كن عقليا أو عاقلا أو اعقل ما تقول...وإذا قال لك آخر: "كن نحويا لغويا فصيحا"، فإنما يريد : افهم عن نفسك ما تقول، ثم رم أن يفهم عنك غيرك"[1]؛ ويقول في موضع آخر:"والنحو منطق لكنه مسلوخ من العربية، والمنطق نحو لكنه مفهوم باللغة"[2].

والأمر واضح بين هذه التعريفات؛ فهناك العقل والفهم واللغة والنحو وهذه مسألة تتعلق بعلاقة اللغة بالعقل، على أن المنطق في المتعارف(حفظ الذهن من الخطأ)، إلا أن الذي يميز فهم المنطق بما هو بيان عربي يظهر جليا في أقوال السيرافي، وأنه يمتد إلى المتكلم

[1]-الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، ص133.

[2]-المرجع نفسه، ص123.

وفهمه، وإلى السامع وفهمه كذلك، وهذا يتطلب خبرة باللغة والخطاب ومقتضياته، ومنه فإن الفهم يلتقي مع الفصاحة والنحو والبيان....ثم يذكر السيرافي[1] مثالا يوضح به ذلك:

*زيد أفضل إخوته: غير جائز، لأنَّك إن سئلت من هم إخوة زيد؟ لم يجز أن تقول: زيد وعمرو وبكر وخالد، لأنَّ زيد غير إخوته وهو خارج عنهم...

*زيد أفضل الأخوة: جائز، فلو قيل من الإخوة ؟ قلت: زيد وعمرو وبكر وخالد، لأنَّ زيد داخل في جنس الإخوة...

رابعا : الشروط الصوتية للبيان العربي

يمكن القول أنَّ النظرة الصوتية للبيان العربي، نشأت في أحضان النظرة النحوية؛ وذلك للارتباط الشديد بين الصوت اللغوي وبناء الكلمة[2]؛ وفي نظري أنَّ هناك مرحلتين للأداء الصوتي للبيان العربي:

مرحلة الأداء العربي الفصيح في زمن السليقة وشروطها[3] التي ذكرناها في المباحث السابقة.

ومرحلة النظر: وهنا نميز توجهين للنظر إلى البيان العربي من الناحية الإفرادية لدراسة الصوت اللغوي:

التوجه الوصفي:

ويتمُّ النَّظر إلى سمات الصوت العربي بكل محتوياته وملاحظته ملاحظة الخبير الذي يجمع ويصنف ويحلل ويُقَوِّم، ويضمُّ كلا من النحاة واللغويين، والقراء، والبلاغيين، والمفسرين؛ بمختلف توجهاتهم وأدواتهم في المعالجة والتحليل والوصف.

[1]- ينظر: الإمتاع والمؤانسة، ص129-130.

[2]-ينظر: المبحث الأول ضمن الفصل الأول من هذه الدراسة.

[3]-استعملنا في دراستنا ثلاثة مصطلحات متقاربة وهي، الشروط والمتطلبات والحدود بالنسبة لوصف الملكة اللغوية.

التوجه التأويلي:

وفيه ينظر إلى الصوت اللغوي وسماته، انطلاقا من ربطه بالنفس، وأسباب ذلك الخلقية والجسمية، وهنا يجتمع ما قرره الفلاسفة الأطباء، والمتكلمون والمفكرون" والحرف هيئة للصوت عارضة له يتميز بها عن صوت آخر مثله في الحدة والثقل تميزا في المسموع"[1]، والشاهد في التعريف هو الهيئة، وهذا مصطلح فلسفي ومنطقي في دراسة النطق وعلاقته بالنفس والكلام وحدوث العمليات وتصورها.

1-التوجه الوصفي العملي :

الحديث عن سمات الصوت العربي، هو الحديث عن شروط الملكة اللغوية، وكيفية تحصيلها، ونظرا لأنَّ علم الأصوات عند العرب قد نشأ نشأة دينية في أحضان القرآن العظيم، فإن ذلك يمثل غاية البحث عندهم، وهو تقويم اللسان من الخطأ والتحريف وانغلاق فهم القرآن العظيم؛ بدءا من نطق الصوت إلى بناء الكلمة إلى الكلام والبلاغة؛ وذلك لعدة اعتبارات نذكر منها:

أ-الاعتبارات التطبيقية الأدائية:

ويتمُّ تحليل الكلمات تحليلا نحويا، وصرفيا، ودلاليا؛ أي ما يعتري الكلمة العربية من تغيرات صوتية وبنائية وفق قوانين الصرف المعروفة؛ ثم ربط الكلمة بمتغيراتها في الجملة أو التركيب، ثم إسناد ذلك كله للفائدة الدلالية، وللغاية الأخيرة وهي تقويم عناصر اللسان بكل مستوياته؛ الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية البلاغية.

[1]-رسالة في أسباب حدوث الحروف، ابن سينا (370-428هـ)، تح: محمد حسان الطيان ويحي مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1982، ص60.

ب-إتقان النطق والكلام :

هناك جملة من المباحث العلمية، التي تضمن خبرة دقيقة لوصف مخارج الحروف، وصفاتها وتصنيفها، وتمثيلها بالكتابة؛ وفيما يلي ملخص يشرح ما ذكرناه آنفا[1]:

-**الحروف العربية:** تسمى قديما الحروف، وعددها تسعة وعشرين حرفا؛ وهو المتفق: ذكرها الخليل وتلميذه سيبويه:وهي بترتيب سيبويه: ء/ا/ه/ع/ح/غ/خ/ك/ق/ض/ج/ش/ي/ل/ر/ن/ط/د/

ت/ث//ص/ز/س/ظ/ذ/ث/ف/ب/م/و

- **أنواعها:** ذكرنا لحروف الأصلية(29)، أما الفرعية فهي : النون الخفية/الهمزة بين بين/ ألف ممالة/الشين كالجيم/الصاد كالزاي/ألف التفخيم/

-**الحركات(الصوائت) العربية:** وهي محرك الحروف الصوامت المذكورة: الفتحة(َ)/الضمة(ُ)/الكسرة(ِ)، ومنها حروف المد وهي : الألف (فتحتان) /الواو (ضمتان) /الياء(كسرتان)، ونقصد بالفتحتين والضمتين والكسرتين، أن هذه الحروف نتيجة مد هذه الحركات بمقدارين.

- **أنواعها:**

***بسيطة:** تكون في حركات بناء الكلمة، وتكون في أواخر الكلمة وتسمى إعرابا.

***عارضة:** مثل الإمالة، والسكون العارض...

- **أعضاء النطق المسؤولة للحركات(الصوائت) العربية :**

[1]-للتفصيل أكثر في مخارج الحروف العربية وصفاتها، وأعضاء النطق المسؤولة عنها وبنظرة تأصيلية ينظر : الصوتيات العربية الدراسة الإفرادية للأصوات، أبو بكر حسيني، مطبعة مزوار، الوادي-الجزائر، ط1، 2013،ص40-62، وهناك في حدود علمنا واطلاعنا عدة دراسات تتناول الدراسة العلمية التقنية المعاصرة للأصوات، لكن رأينا في جهد الباحث تصورا تأصيليا فهو قريب الاتصال بموضوع نظرية البيان العربي، وحسبنا هنا توضيح الفكرة وجلائها.

***لشفتان:**

- ✓ فتح الشفتين: للفتحة
- ✓ ضم الشفتين: للضمة
- ✓ كسر الشفتين: للكسرة

***اللسان:**

- ✓ طرف اللسان
- ✓ وسط اللسان
- ✓ أقصى اللسان

- **الصوائت والتمثيل البياني بالكتابة :**

*وضع الصحابة للنقط هدفه التيسير .

*نقط الإعراب لأبي الأسود الدؤلي(ت27هـ).

*تعديل الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت170هـ) للحركات وجعلها حروف مد مصغرة.

-**مخارج الحروف:** ليس هناك نقطة دقيقة في موضع معين من الناحية الفيزيولوجية العملية يجب على الناطق الالتزام بها، وإنما هناك حيز؛" والمقصود بالمخرج تلك النقطة التي يلتقي فيها طرفان من أطراف الأعضاء المسؤولة عن انتاج الأصوات اللغوية، فينحبس الهواء كليا أو جزئيا، وهذا معنى جامع لمفهوم المخرج في انتاج الأصوات اللغوية، والحقيقة أن الأمر في مسألة مخارج الأصوات فيه سعة، إذ ليست هناك نقطة دقيقة في موضع معين من الناحية الفيزيولوجية العلمية يجب على الناطق الالتزام بها، وإنما هناك حيّز، وهو من حيث المفهوم أوسع من النقطة ليتمكن هذا الوصف من استيعاب كل الناطقين على اختلاف

قدراتهم ومؤهلاتهم النطقية..."[1]؛ وهو وعي حقيقي في الدراية بالحد الصوتي لملكة البيان العربي.

ويسميها الخليل(ت170هـ) بالمدرجة، أو الحيز أو المبدأ ، كما يسميها سيبويه(ت180هـ) بالموضع، وابن جني (ت392هـ)بالمقطع، وابن سينا (370هـ-428هـ) بالمحابس.

-**عدد المخارج:** سبعة عشر مخرجا عند علماء التجويد: باختلاف العلماء في عدها فهي عند النحاة ستة عشر مخرجا: أقصى الحلق/وسط الحلق-أدنى الحلق/أقصى الحلق/مخرج القاف وأدنى مقدم الفم/وسط اللسان ووسط الحنك الأعلى/حافة اللسان وما يليها من أضراس اللسان، حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنائية/طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا/ظهر اللسان/طرف اللسان وأصول الثنايا/مما بين الثنايا وطرف اللسان/طرف اللسان وأطراف الثنايا /باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا/مما بين الشفتين بانطباقهما/الخياشيم.

-**صفات الحروف:** باتفاق العلماء هي عشر صفات:

*الشدة: مجموعة في حروف: أجد قط بكت.

*الرخاوة: تضم الأصوات: السين/الشين/ الحاء/، ويضيف علماء التجويد حروفا مجموعة في الكلمة : لن عم.ر

*الجهر: ويضم : الهمزة/الألف/العين /الطاء/ لدال/الزاي /الظاء/الذال /الباء/الميم/الواو(سيبويه)

أما عند المحدثين فهي: العين/الغين/ الجيم/الياء/الزاي /اللام/الراء/الضاد/النون/الدال/الذال/الواو/الباء/

[1]- تلاوة القرآن الكريم وعاداتنا النطقية بحث في الصوتيات القرآنية، لأبي بكر حسيني، ص40.

الميم/الصوائت الستة.

*الهمس : وحروفه: الكاف/القاف/التاء/الطاء

*الاستعلاء: تجمعها عبارة: خص ضغط/قظ

الاستفال: وحروفه: الألف/اللام/الراء

*الإطباق: الصاد/الضاء/الطاء/الظاء/

* الإذلاق: النون/اللام/الراء/الميم/الباء/الفاء

* الانفتاح: ما سوى أحرف الإطباق الأربعة

*الإصمات: ما سوى أحرف الذلاقة

-الصفات الخاصة :

*الغنة: صوت يخرج من التجاويف الأنفية، ويخص حرفي: الميم /النون، وأحولهما في الكلمة والتركيب.

*القلقلة : القاف/الطاء/الباء/الجيم/الدال

*الصفير: الصاد/الزاي/السين

*التكرار: الراء

*اللين: الألف/الياء/الواو

- أسس التنصيف للأصوات عند العلماء العرب :

- عند القدامى بحسب الأصل والفرع.
- عند المحدثين : بحسب مخرج الحرف والعضو.

-مبادئ التصنيف :

- الأداء.
- الوظيفة.

وتعقيبا على المحاور السابقة الخاصة بمخارج الحروف وصفاتها يمكن الخروج بالنقاط التالية :

-يمثل الوصف الصوتي خبرة معرفية، يمتلكها الخبير المعلم والمتعلم في حال طلب تعلمها.

-هذه الخبرة النظرية منزوعة من كل أشكال الأداء العربي للكلام الفصيح، أعلاها رتبة نطق كلمات القرآن العظيم مصدر نشأتها بداية.

-اعتمادهم على بعد النظر ووسائل الملاحظة، وهي لو تم رسمها لكانت مطابقة لأعضاء النطق بالصوت العربي في أدق أداءاته.

-وجود معظم الأحوال التي يكون فيها موضع النطق واللسان في أداء البيان العربي، دليل معرفة دقيقة بالحدود الصوتية للملكة اللغوية.

رسم توضيحي يبين مخارج الحروف العربية بواسطة رابط على النت:

https://mawdoo3.com

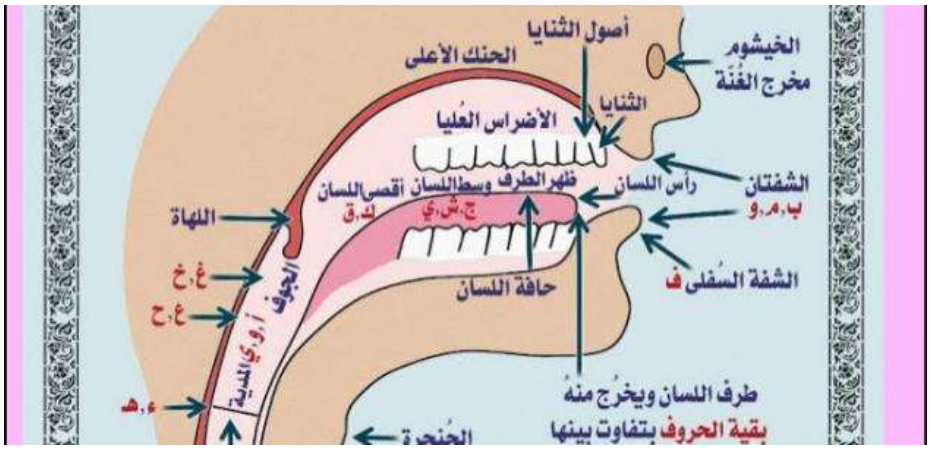

جـ-إتقان الكلام والبلاغة :

لم يقف هذا الوصف عند حدود الصوت اللغوي منفردا بل تعداه إلى الكلمة واشتقاقاتها، والكلمة ومقياس الفصاحة وتبليغ الكلام؛ والعيوب التي يمكن أن تصيب اللسان فتمنعه من البيان، مثلما نجد ذلك مفصلا في كتب البلاغة[1]؛ وحسبنا أن نشير إلى موقف واحد يبين لنا مسلك اللغويين والنحاة والبلاغيين إثباتهم أثر التحريف الذي يصيب الكلام في حال انحراف صوت عن موضعه؛ وعلى هذا اهتم البلاغيون بالفرق بين الأداء البياني وعلاقته بالبلاغة والتوصيل والمعنى،"والفرق بين الفصاحة والبلاغة أن الفصاحة مقصودة على وصف الألفاظ، والبلاغة لا تكون إلا وصفا للألفاظ مع المعاني"[2]

2-أساليب إتقان الحروف(الرياضة الصوتية) :

في الحقيقة أن هذه الجزئية هي فكرة أردنا الاستشهاد بها، استكمالا لما تم ذكره في الجزء النظري لوصف الصوت العربي (الحرف)، وذلك بوضع المداخل التطبيقية العملية للرياضة اللسانية، وفيه نشير إلى أهم الأساليب العملية لتقويم اللسان العربي، انطلاقا من المباحث الهامة التي تطرق لها علماؤنا الأجلاء؛ بخاصة عند القراء وعلماء التجويد؛ وذكرها هنا كان لدواع منهجية نظرا لاتصال هذه الإجراءات بوسائل القدامى في تلقين البيان العربي، وما تضمنته مؤلفاتهم من أساليب دقيقة في إعطاء النظرة الصوتية المبادئ والشروط العملية، وهي بذلك تشمل حتى الكلام وما يتعلق به من أحوال تخص المتكلم والمخاطَب معا[3].

[1]-سوف نبين بحول الله تعالى هذه الفكرة بالتفصيل في الفصل الثاني ضمن نظرية البيان العربي عند الجاحظ، وهو من أوائل البلاغيين الذي فصلوا في ذلك.

[2]- سر الفصاحة للأمير أبي محمد عبد الله بن محد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي المتوفي في سنة 466هـ، تصحيح عبد المتعال الصعيدي، 1956-1372هـ، مكتبة لسان العرب، ص60.

[3]-ينظر: الرياضة الصوتية في مرجعيات البحث اللساني العربي، لأبي بكر حسيني، دار خيال للترجمة، برج بوعريريج-الجزائر، ط1، 2020، ص108-120.

أ-المشافهة والتلقي:

إنَّ المعلومات التي ذكرناها حول تلك الخبرة الوصفية للصوت العربي(الحرف)، لا تكفي لوحدها إذا ما قارناها مع أهم صفة للألسن البشرية وهي الاختلاف، وذلك لأنَّ الألسن تختلف باختلاف مواضع نطق حروفها وأصواتها، مثلما يكون ذلك لمخارج حروفها، فإن كان الغرض أن نحصِّل اللسان العربي للناطقين بغيره، فهذا يتطلب تصويبا لجميع أنحاء نطق الحرف فما بالنا بالكلمة.

ب-التكرار:

يعدُّ التَكرار أهم ما يمكن أن يتوفر من شروط تتعلق بالملكة اللغوية، ولا نعني مجرد التكرار، بقدر ما نفهم جوهر الفكرة، "فاللسان إذا كثرت حركته، رقت عذبته"[1]، وهو مرادف للذِّكْرِ أيضا، فالذِّكر مرتبط باللسان وبالسمع والبصر، والفؤاد، وهي المواهب الداخلية للإنسان، من تفكر وتدبر ونظر.

جـ-أسلوب الترخص:

ويكون وعي المعلم بالمتعلم وأحواله أمر ضروري؛ وذلك لأنَّ الأداء البياني قد يصاحبه نوع من التَّكلف أو غيره، فيراعي في الأحوال الأولى من رياضة لسانه بنوع من التسيير،ثم الشدة نظرا لوجود العقد النفسية أو الإحباط أو الخجل وغيره مما يعرقل عملية الأداء الصحيح.

د-أسلوب النقد:

ونطلق عليه حسب رؤيتنا، الاجتهاد في التعلم والتحصيل والرياضة، وهنا ننبه على دور المعلم الخبير بالحس اللغوي ومعرفة أغلب أحوال نطق الحروف وصفاتها، وذلك ، لأنَّ التقويم أو النقد لا يكون إلا من الطرف المقابل؛ فعلى قدر اعتماد الطالب على نفسه يكون

[1]-الكامل للمبرد(210هـ-286هـ)، 532/2، نقلا عن : الرياضة الصوتية لأبي بكر حسيني، ص112، ونظير هذه الفكرة عند الجاحظ، وقد عبر عن الملكات والصناعات وغيرها، بأنها تتطور وتنشأ من السكون إلى الحركة.

تحصيله، إلا أن تجربة المعلم أو الشيخ لها من النتائج ما لا يخفى فهي التي تختصر الطريق الطويل، ولنا صورة من القراء للقرآن العظيم، ولعلماء العربية بعامة، وما تبعهم في سلك الرواية والحديث.

هـ-الأسلوب الأورطوفوني :

نحن نعتقد أنَّ الأسلوب الأورطوفوني يستجيب لمطالب محدودة لوصف النطق والكلام، وحتى التمارين الكلامية الاستشفائية؛ و السبب ما ذكرناه سابقا في شروط الفصاحة العربية، والفطرة الصافية للسان العربي، ما يجعلنا نلتف إلى الشق الآخر في ما وراء هذه الأعضاء والأجهزة، وهو كيف يفهم المتكلم وكيف يبلغ رسالته، وهنا يظل الوصف التقني والطبي عاجزا في بعض الأحيان عن الإجابة عن تلك التساؤلات المتعلقة بالمواهب الربانية والملكات الإنسانية، ومن بينها الكلام.

و-التدريبات النطقية والنفسية:

عندما نسمع المتعلم البيان العربي الفصيح فإنه سوف يتحقق لديه تهذيبا لملكته؛ وانطلاقا مما يميز البيان العربي من خصوصية بالغة في تحقيق أصوات الحروف مفردة ومركبة؛ نعني أننا نحصله دقائق وخصائص اللغة العربية الفصحى؛ وقد اعتنى علماء النحو بما فيهم القراء بالمخارج وحققوها لفظا وتركيبا؛ كما يتعلق التدريب بفكرة جوهرية أساسها الوعي بما يمكن أن نسميه الموقف من اللغة؛ ويتجلى ذلك في أهمية التحدث باللغة، وعلى إثر ذلك فمصطلحات مثل النبر والتنغيم والمشافهة والتواصل والتلقي ونظم الكتابة وأيضا مجال التجويد والتلاوة ومتعلقاتها يظهر الناحية العملية والتطبيقة للدراسات اللغوية للقدماء[1].

المصطلح	معناه
التدريب	تحصيل التجربة والقوة والتعود والحذق
المعالجة	المزاولة والممارسة والسيطرة والغلبة

[1]- ينظر: تلاوة القرآن الكريم وعاداتنا النطقية بحث في الصوتيات القرآنية، لأبي بكر حسيني، ص108-110.

التمرين	**الرياضة والممارسة**
الإدمان	**الإكثار والممارسة**
التكلف	**تداعيا مشقة الإنتاج الصوتي الموجبة لرياضة الألسن**
التعمل	**توجيه أعضاء النطق المسؤولة عن إنتاج الأصوات اللغوية**
أخذ النفس	**حملها تحقيق المبتغى بكثرة الممارسة والتدريب والتكرار، حتى يصبح طبعا وسجية**
التمادي	**مقترن بالمشقة واتساعا، وملازمة شدة طلب التحصيل**
تثقيف اللسان	**شكل من أشكال التعليم والتدريب ، مرتبط بالتواصل مثلما يثقف العقل بالمعارف، والجسم بمختلف الحركات**

جدول يلخص أهم المصطلحات التي استنبطها الباحث أبو بكر حسيني من النصوص التراثية في مجال التلاوة والتلقين [1]

فجوهر هذه المصطلحات والمرادفات، ينمّ على وعي علمائنا القدماء بمبادئ الملكة اللغوية الصوتية، في تدريجاتها من الرديء إلى الأحسن ثم من الأجود إلى الأكمل، وهو جو قرآني نشأ من خلاله هذا الفهم والتطبيق والله الموفق.

ومن بين تلك الخصائص[2] المتعلقة بالملكة اللغوية :

-**التيسير النطقي:** وقد أجملنا القول سابقا في مخارج الحروف العربية، وتوزعها على كامل مواضع النطق، دليل على صورة التيسير اللساني، لقوله تعالى: ﴿ ﴿ **فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ**

[1]- ينظر: الرياضة الصوتية لأبي بكر حسيني ، ص32-42.

[2]-ينظر في هذا الصدد سلسلة الباحث أبو بكر حسيني منها: الرياضة الصوتية في مرجعيات البحث اللساني العربي، لأبي بكر حسيني، دار خيال للترجمة، برج بوعريريج- الجزائر، ط1، 2020، و كتابه، تلاوة القرآن الكريم وعاداتنا النطقية بحث في الصوتيات القرآنية، لأبي بكر حسيني، دار ساسي، الوادي-الجزائر، ط1، 2016.

بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٥﴾ (الدخان/58)، وقوله تعالى: ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ (القمر /22).

-**التيسير النفسي:** مفاد ذلك كله أن الإنسان عن الإنسان أعرف وبطباعه أنس مثلما ينوه الجاحظ، وأبرز ما يشدُّ الإنسان البيان اللساني، وهذا من أوثق ما تكون فيه اللغة تأثيرا على الناس والنفس، لذلك فإن أرقى صورة لهذا التأثير في البيان العربي؛ القرآن العظيم.

-**التيسير الحفظي** : الحفظ تجميع الإنسان ما يسمع وما يتعلم، ومن أرقى صور التحصيل القراء ومن بعدهم، وهي مرحلة من الأداء البياني ما لا يمكن حصر دلائلها؛ وحد رأي ابن خلدون ف" البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلونه من المذاهب والفضائل: تارة علما وتعليما وإلقاء؛ وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة. إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوخا"[1].

نستخلص أخيرا أنَّ هناك مجموعة من الشروط والمتطلبات الخاصة بالملكة اللغوية في عهد السليقة العربية؛ من بين هذه المتطلبات؛ الفطرة والسليقة والارتجال والبديهة، وهي متطلبات حدَّدها اللسانيون العرب القدامى انطلاقا من تحديدهم لزمن الفصاحة ومكانها وهي في النهاية خصائص للبيان العربي، ولأدائه في كل مميزاته بدءا بالبيان القرآني العظيم والحديث الشريف، إلى كلام العرب الفصيح شعره ونثره.

مثلما هناك متطلبات أخرى مستنبطة من وصف الملكة اللغوية أي الأداء البياني العربي، وهي قواعد النحو القائمة على تقويم الخطأ وردّه إلى الصواب، وتعليم الناطقين باللسان العربي والناطقين بغيره، من خلال مستويات التحليل البياني، إضافة إلى الخبرة الصوتية للحروف العربية ومخارجها وصفاتها لفظا وتركيبا وبلاغة ورياضة.

[1]-المقدمة، ابن خلدون، 1044/1.

المبحث الثالث:الوظائف البيانية لمسالك العرب في كلامها(بين الوضع والاستعمال)

أولا : منطق اللغة وأثره في نمو الملكات عند العرب:

فكرة هذا المبحث استكمال للفكرة السابقة، لكن في هذه الجزئية سنركز على منطق اللغة وأثره في نمو الملكات عند العرب، عبر بيان أهم وظائف البيان العربي، فإذا كان النحو قد أعطى لنا وصفا للقواعد اللغوية، المتمثلة في الحرف والكلمة والتركيب؛ فإن هناك شق آخر للملكة في ضوء الرؤية البيانية يتمثل في مسالك العرب في كلامها؛ وقد عرف من المنظور اللغوي؛ تحت مصطلح الوضع والاستعمال؛ أما من الناحية البلاغية فهو يخصُّ نظم الكلام ووظائفه ومقاصده.

لذلك عدَّت طريقة وضع العرب لألفاظها ميزة في تحليل النصوص، لما أفادته خصائص أبنيتها من معان ودلالات عديدة نتيجة الاشتقاق والظواهر اللغوية كالترادف؛ وغيرها من المظاهر الدلالية اللفظية؛ وما أفاده نظم الكلام من تعدد الوظائف؛ لأنه مظهر من مظاهر الإبداع واستعمال هذه الملكة العربية.

وعليه يمكننا التعرف على مستويات تتجاوز القواعد النحوية واللغوية إلى الحواس، بما فيها استعمال ملكات أخرى مثل الفهم والتفسير والتأويل، من خلال استنباط جملة من الإجراءات في فهم النص عبر مستويات التحليل البياني، واستعمال الخبرة الضمنية، وأسلوب التضمين.

إنَّ طريقة وضع العرب لألفاظهم، دليل على طريقة ومنهج دقيق في استيعاب تشكل الملكة اللغوية العربية، لأنها جزء من تفكيرهم.

وهذه الطريقة يتوجه فيها العربي إلى تسمية الأشياء انطلاقا من"وظيفتها وعملها وحركتها"[1] فتسمية الدراجة نسبة إلى حركتها، والمكواة كذلك نسبة إلى وظيفتها في الحرارة وتحسين الثياب...وهو باب كبير أفرده علماؤنا في وضع العرب لألفاظها ولغتهم ويبين الجانب التطبيقي في استعمال اللغة-(أشهرهم تأليفا أبو منصور الثعالبي(ت429هـ) صاحب كتاب فقه اللغة وسر العربية)-والتعبير عن الملكات المتعددة كالأخلاق والصناعات والقيم وغيرها، فهو إذا تعبير يمثل أحد وجوه ملكة العربية.

1-الوظائف :

أ-الوظيفة التفكيرية:

المتتبع لخصائص العربية، يجد أن البيان العربي يمثل مستوى من التفكير" ويمثل الصلة بين مفردات، اللغة وعقلية أصحابها، وعاداتهم، فالألفاظ العربية تدل على تفكير العرب ونظرتهم إلى الأشياء.ذلك أن تسميتهم لها باسم بعينه، و في إطلاق لفظ دون غيره عليه، واختيار صفة من صفاته، ما يدل على اتجاههم في التفكير وفهمهم للأشياء"[2].

فكلمة العقل مأخوذة من الربط، فهو زاجر عن الشر، وهو ذو جانب خُلقي أيضا، وغيرها من الألفاظ[3].

ب-الوظيفة العلمية :

ليس من السهل أن نصف ظاهرة ما بحيث نتتبع أجزاءها، دون أن يكون هناك منهج وطريقة وأدوات نحتكم إليها حتى نحصل على النتائج التي نريد.

---

[1]-فقه اللغة وخصائص العربية دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد، محمد المبارك، دار الفكر، بيروت-لبنان، دط، 2005، ص304.

[2]-المرجع نفسه، ص306.

[3]-ينظر: المرجع نفسه، ص306.

والناظر إلى وظيفة البيان العربي في ألفاظه تتراءى له عدة مميزات منهجية تتجلى بوضوح في خصائص تلك الملكة المعبرة عن وجه الأخلاق، والأعمال، والأشياء المعنوية والمادية والوجودية.

وفي المناهج المعاصرة اللسانية، تمثل التوليدية والعرفانية، أحد أهم التيارات اللسانية في تقصي وجوه الإبداع، عند الإنسان، وتحاول إيجاد نموذج يحاكي هذه الوظائف والخصائص، وهو ما يعرف بالذكاء الاصطناعي. فالترجمة الحاسوبية تعتمد على علم النفس المعرفي في النتائج التي حصل عليها وفق علوم الأعصاب والفيزياء والمنطق المعاصر والرياضيات وغيرها، وهي تبحث كيف يحصل الإنسان العلوم وعلاقتها بالعقل وكيف يترجمها لغويا؛ وينجر ذلك على البرمجة الآلية أيضا[1].

جـ-تصنيف الموجودات :

وتدلُّ ألفاظ البيان العربي على الموجودات الحسية والمعنوية، وهذا نمط في التفكير ونهج في المنطق والتنظير؛ فتجد" تقسيما للوجود إلى ما يدرك بالحس وهو عالم الشهادة، وما هو مغيب عن الحس وهو عالم الغيب، وهما لفظان قرآنيان. وتجد ألفاظ الوجود والعدم والمكان والزمان والدهر والأبد والأزل، وتجد في العربية ما يدل على أنواع الإنسان والوحوش والطير وأنواع أخرى للحيوان فيما عدا الإنسان من السباع والهوام و..."[2].

وهذا النمط التفكيري يستغل فيما يبدعه صاحب البيان من أفكار وعلوم واكتشافات؛ فيأتي اللفظ ليعبر عن هذه الحالات من صنع الإنسان؛ وقد كان ذلك فيما صنفه الخوارزمي في مفتاح العلوم؛ والجرجاني في التعريفات، و محمد بن علي التهاوني (ت 1191هـ) في كشاف مصطلحات العلوم؛ ومنه كانت الكلمات تعبر كذلك عن المفاهيم الكلية والمجردة .

[1]-ينظر: اللسانيات الحاسوبية والترجمة الآلية، بعض الثوابت النظرية والإجرائية، سناء منعم، منشورات مختبر العلوم المعرفية، علم الكتب الحديث، إربد-الأردن، ط1، 2015.

[2]-فقه اللغة وخصائص العربية، ص308.

د-المفاهيم الكلية والمعاني المجردة :

وهي أساس بناء النظريات والتعبير عن المفاهيم العلمية" ولو استقصينا ألفاظ العربية لوجدنا فيها ما لا يكاد يحصى من الألفاظ الدالة على الحسيات من أرض وسماء وحيوان، ونبات وجماد ومن حركات وأفعال ومن ألوان وأصوات وروائح وهيئات ومن صفات حسية تتصف بها هذه الموجودات..."[1].

وتجد كذلك" في العربية سعة وغزارة في التعبير عن أنواع العواطف، والمشاعر الإنسانية كالسرور والحزن والغضب والحب والبغض والغيرة...كما اشتملت على الكلمات الدالة على الطباع كالذكاء والحزم والحلم...واشتملت على المفاهيم الكلية والمعاني المجردة كالوجود والعدم والحدوث والقدم والروح والنفس و الخلق والقضاء..[2] ".

هـ-التخصيص والتعميم :

هذه المسألة وإن اقترنت بنظم التراكيب، مما درسه علماؤنا من النحاة والبلاغيين دراسة مفصلة نظرية ومطبقة على أوجه الكلام العربي الفصيح؛ لكن يبقى الأمر واضحا للناظر في مادة البيان العربي؛ تقول العرب" المشي عام ودرج للصبي، وحبا للرضيع، وهجل الغلام أن يرفع رجلا ويمشي على أخرى، وخطر الشاب باهتزاز ونشاط، ودلف الشيخ مشى رويدا بخطى متقاربة، وهدج مشى مثقلا، ودسف للقيد، واختال وتبختر وتخلج واهطع وهرول وتهادى وتأود أنواع من المشي"[3].

وهكذا في طبقات الفرح والسرور وأبواب كثيرة، في طبقات الألفاظ، بحسب الدقة والتخصيص، التي أحسن التأليف فيها أبو منصور الثعالبي.

---

[1]-فقه اللغة وخصائص العربية محمد المبارك، ص308-309.

[2]- المرجع نفسه، ص309.

[3]- فقه اللغة وسر العربية، الثعالبي، تح: يحي مراد، المختار، القاهرة-مصر، ط1، 2009 ، ص151.

و-وظيفة التصوير:

ويظهر ذلك في اقتران ألفاظ مع بعضها دون أخرى، وتخصيصها ليس عبثا" لا شك أن هذا التخصيص في تراكيب العربية في النعت والإضافة والإسناد نوع من الدقة في التعبير لأن هذه الألفاظ المخصصة ببعض المعاني والأحوال توحي إلى السامع الصورة الخاصة، التي تقترن معها..."[1].

من ذلك قولهم كاتب بارع وخطيب مصقع وطبيب نطامي وصانع ماهر، للوصف بالمهارة في الكتابة والخطابة والطبيب والصنعة[2].

"إن دقة التعبير والتخصيص سبيل من سبل تكوين الفكر العلمي الواضح المحدد تحتاج إليه كل أمة في تربية أبنائها على التفكير الواضح الدقيق الذي يعدهم للعمل والبحث العلمي. ولا يمكن أن تكون اللغة البعيدة عن الدقة المتصفة بالعموم أو الإبهام أو الغموض، أداة للتعبير عن التفكير العلمي الدقيق، ولا بد من التقابل في الخصائص والصفات بين التعبير والتفكير".[3]؛ **لذلك فإن** " جهد الأمة عند ذلك أن تحيط المعنى باصطلاحات علية، وتعّرف حوادثه على نحو ما تعرف به فصول العلوم كالحبّ مثلا، فإن مراتبه التي يشير إليها العرب بالألفاظ المتقدمة يشير إليها غيرهم بتعاريف وفصول واصطلاحات ثم لا تعدو بعد ذلك كله ما كان يفهه العرب منها برقة شمائلهم ولطف حواسّهم النفسية؛ فكأنهم لما عدموا العلوم جعلوا ألفاظهم فصولا علمية" [4] .

---

[1]-فقه اللغة وخصائص العربية، ص314-315.

[2]-ينظر: المرجع نفسه، ص317.

[3]-فقه اللغة وخصائص العربية، ص317؛ وأعتقد وهو غالب ظني ؛ أن كتاب محمد المبارك تجسيد لما قاله الرافعي في وحي القلم؛ حول هذه الفكرة؛ ولبها يتمثل في خصائص البيان العربي(الكلام)، الذي يعدّ في نظره نصوصا وفصولا علمية تحتاج إلى استنباط.

[4]- تاريخ آداب العرب، الرافعي، 198/1.

وهذا حال إذا كنا نحن من يفكر باللغة الأم؛ وهي مسألة مهمة تطرح صفات ملكة العربية وعلاقتها بالتفكير، والتفكير يتعلق كذلك باللغة الثانية؛ ومنه نتساءل عن مستويات التداخل بين الملكتين، وقد طرح هذه القضية ابن خلدون؛ وسوف نتكلم عنها في الفصل الثالث بحول الله تعالى.

وغالب الظنّ هنا أن العربية تقبل بمرونتها الدخيل المترجم في حال كان يجري على المقاييس العربية؛ والنصوص الدالة على ذلك كثيرة، مثل مجيء بعض الألفاظ من اللغات الأخرى غير العربية في البيان القرآني؛ كلفظتي" **الإستبرق**" و"**العبقري**" وغيرهما.

لذلك فإنَّ فساد السليقة لا يقتصر على دخول المترجم والدخيل فقط؛ أو سماع غير أوضاع العربية[1]، وإنمَّا يكون بفساد تفكير أهلها بها وعدم استعمالهم لها؛ والأمثلة من الواقع كثيرة في اكتساح أسماء أجهزة ومخترعات ونظريات دخيلة المجتمع العربي، وهي مسألة أخرى تحتاج دراسة وافية لبيان الأسباب الحضارية والاجتماعية والاقتصادية، قصد وصف الحلول اللازمة.

أكد الباحث رمضان عبد التواب رحمه الله على دور الاشتقاق والتعريب والنحت في توليد الافاظ العربية التي تطلب للمستحدثات العلمية، ومن جهة أخرى بين واقع العربية والحلول اللازمة لضعف مناهجها[2]، وفيما يلي ملخص مقالته:

-دعاوي ضعف العربية:

- **دعوة صعوبة القواعد النحوية:** الدليل أن الألمانية: فيها مذكر/مؤنث/المحايد؛ وكذلك كل اسم بأداة، وكذلك كل جمع له صيغة يجب حفظه فليس هنالك قاعدة تحفظ.

والحل في نظره : توفير جو القراءة عندنا في غياب جو السماع، الارتكاز على النصوص الراقية للعصر العباسي مثلا.

[1]-ينظر: مقالات في اللغة والأدب، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1982، ص179، وفيها وضح مسألة بالغة الأهمية، وهي العربية الفصحى بين الجمود والتقليد، أو بين المحافظة والإبداع.

[2]-المرجع نفسه، ص181-187.

- **قصور العربية على ركوب العلم والحضارة :**

لأنها أولا: لغة سلفية قديمة؛ وثانيا: لأنها قاصرة عن التعبير.

أما الحل في نظره : للغة العربية امتحانان؛ أولا: استيعاب العقيدة الإسلامية السمحاء؛ وثانيا: الترجمة في العصر العباسي.

2-مشاكل الاستعمال في تحصيل الملكة اللغوية :

إنَّ الغايات الكبرى التي يصبو إليها متعلم واللغة ومحصلها؛ هي الوصول إلى كفاية واضحة في امتلاكها سماعا وتحدثا وقراءة وكتابة، أي ألَّا يكون هناك خلط في نسبة الألفاظ إلى معانيها؛ من ذلك ما يعرف بآفة الترادف، وهو النزوع نحو التعميم، والغموض، والإبهام، وهذا منشؤه مثلما يرى ابن خلدون سماع الهيئات التي ليست لكلام العربي به صلة... [1].

أ-ضياع الفروق اللغوية وأثره على الترجمة:

"فضاعت الفروق الدقيقة بين الألفاظ في المعاني المجازية، وصرفت عن معانيها الأصلية، فضاع الفكر بين الحقيقة والخيال، وزالت الخصائص المميزة والفروق الفاصلة وأصبح لكل موضوع مهما تكرر قوالب من اللغة ثابتة وأداة اللفظ لا تتغير وتعابير موضوعة مناسبة "[2].

وقد توسع أبو هلال العسكري في هذا الموضوع؛ في كتابه الفروق اللغوية، فميَّز بين عدة مصطلحات ما ينمُّ على الفهم الواعي لقضايا المصطلح وأثرها في التفكير والعلوم، متجاوزا نوعا ما ما تقدمه المعاجم في هذا الشأن من الناحية اللغوية إلى الاصطلاحية، وصنيع الشريف الجرجاني كذلك في كتابه التعريفات؛ لعلي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني الحنفي (ت816هـ)، وغيرهم مما كان له الأثر الواضح في شرح الصفات الدقيقة والمميزة بين الألفاظ والأفكار ودلالاتها.

[1]-ينظر: المقدمة، ابن خلدون، 1/1056-1057.

[2]-فقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك، ص318.

وهذه من بين أهم مشاكل استعمال اللغة وقد يمتد الترادف كذلك إلى الترجمة؛ لأن المترجم يفكر بلغته أو ملكته الأولى.

إنَّ هذه الإشكالية تتحدَّد في ضوء نظرية البيان العربي التي نحن بصدد معالجة محاورها فيما يتعلق بعلاقة منطق اللغة وأثره في نمو الملكات عند العرب؛ وذلك ضمن محور بيان وفهم وشرح وتفسير الألفاظ الخاصة بإحدى الملكتين اللغويتين؛ وكيف يمكن تحصيل تلك الألفاظ؛ ففي حال تمكن المتكلم من لغته الأم يمكن الانتقال إلى اللغة الثانية، ونحن نرى عكس ما يراه بعض المترجمين فيما يتعلق باكتساب اللغة الثانية[1]، كأن لا تستعمل اللغة الأم أثناء الدرس أو التحصيل، بل نقترح ضرورة انتهاج التقابل أي أن تشرح اللغة الثانية وهي لغة الوصول باللغة الأم وهي لغة البداية، وللإشارة هناك من بين الكتاب العرب من لا يكتبون باللغة العربية في حين يتكلمون بها؛ وكتبهم مترجمة.

وكثيرة هي الدراسات التي عالجت هذه المسألة؛ منها تعليمية اللغات خاصة، ويصطلح عليها (تداخل اللغات)، فهي لا تمس اللفظ بل تمتد إلى أصالة التفكير، والتفكير أداته الأولى اللغة بلا شك.

فلو أردنا تفسير معنى الكلمة(فعل)، في اللغة العربية، فإننا سوف نفسرها على الأوضاع الموجودة في بناء هذه اللغة، ففي العربية(فعل) تعني العمل، والصنيع، ويتجسد هذا الفعل فيما تدلُّ عليه الأوزان من اشتقاقات، تحدد نوع الفعل، وعدد وقوعه، وزمنه الذي حدث فيه، وهذا إذا عمدنا إلى خصائص البيان العربي، وكيف استعملت في القرآن العظيم، والحديث الشريف، ثم كيف استعملت في الفصيح من الكلام العربي، ويمثل الكلّ فصولا من علوم اللسان في النظر لهذه الكلمات؛ مثاله: كلمة(كريم)"...فالكريم معطاء والمعطاء كريم، ولكن صفة الكريم تأتي من فعل لازم، وصفة المعطاء تأتي من فعل متعد إلى مفعولين؛ لأن

[1]–ينظر: دور الترجمة ووظائفها في تعليم وتعلم اللغات الأجنبية، محمد نبيل النحاس الحمصي، مجلة جامعة الملك سعود، م15، اللغات والترجمة، (1423هـ/2003م)، ص1–4.

الكريم يعبر عن الخلق الثابت الذي لا يتوقف على حدث في زمن محدود، ولكن المعطاء يفعل أفعالا تجعله موصوفا بالمبالغة ..."[1].

وهذا يمثل تفسيرا بيانيا، لما يمكن أن تشرح به الفروق الدقيقة بين المعاني الذهنية، ولا أدل على ذلك ما استنبطه الفقهاء وأهل العلوم من القرآن العظيم الذي أنزل بلسان عربي مبين.

ب-أثره على الإبداع ومجال التأليف:

ومسألة الفروق اللغوية تبرز الوظائف البيانية للغة العربية، فالكُتَّاب مثلا وهم أبرز مظهر لاستعمال الملكة اللغوية؛ لا يقتصرون على توظيف اللغة على صعيد منطق نظري للغة؛ بقدر ما ترتبط هذه الوظائف بالحياة وضروبها، بل حتى في التعبير عن العلوم[2].

ومنه كان مجال التأليف هو من ينقل لنا الألفاظ من وضعها العام؛ إلى الوضع الأدائي والاستعمالي، وهنا يمكن أن نفهم مميزات ملكات الإبداع والنبوغ والعبقرية وغيرها؛ وقد تناولت الدراسات النفسية المعرفية سيكولوجية التفكير والإبداع؛ بطريقة تجريبية؛ إلا أن هذه الأوجه والدلالات والتخصيص الذي يضيفه المؤلف للألفاظ تتجاوز منطق الحصر والتقعيد[3]؛ لأنها تجربة إبداعية فردية؛ وهي تخضع للشعور والنفس والعقل جميعا.

ولنا مثال مشهور عن ابن المقفع(106هـ-142هـ) وما اتَّسم به أسلوب الكتابة عنده من خصائص ضمنية وتلميحية مشخصة على ألسنة الحيوانات؛ وكتاب البخلاء للجاحظ(150هـ-255هـ) ففيه تصوير لحياة عصره من صفات أخلاقية ذميمة؛ وكتابه الحيوان؛ الذي يعدُّ ضربا من الكتابة تبرز فيها مستويات ثقافية متعددة؛ ويُظهر فيها الجاحظ الحياة العربية، والحياة في أصناف الموجودات، وحياة الأمم الأخرى.

---

[1]-أشتات مجتمعات، عباس محمود العقاد، ص47.

[2]-بنظر: فقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك، ص318-320.

[3]-وهي دراسة العلاقة بين منطق التفكير والقصد ومنطق اللغة؛ مرتبطة في ذلك بما يتمثله الإنسان في ذهنه عند توجهه إلى الكون؛ تمثل تيارات من الفلسفة كالقصدية لهوسرل، والتداوليات المعرفية، والعرفانيات المعاصرة في علم النفس.

ناهيك عن كتب الرحلات؛ التي تصف بدقة المشاهدات ودقائق السفر والملاحظات التي ترتبط بالمشاعر والانطباعات[1].

ثانيا : وظائف الأداء البياني للكلام العربي :

1-الوضع العام وسنن العرب:

بلغ هذا المبحث عند النحاة والبلاغيين شأنا خطيرا ، وعالجه اللغويون القدامى ضمن مصطلح" الوضع الجماعي والاستعمال"، ونعني به سنن العرب في كلامها؛ من تخصيص أو حذف أو توسع ومجاز وغيرها من القضايا التي تهتم بالاستعمال الذي يعزى إلى الكلام أو الجملة بعبارة النحاة[2].

والاستعمال اللغوي يخضع لعدة ملكات؛ منها الملكة النحوية، والملكة البلاغية اللفظية، وملكة تأليف الكلام ؛ وهي في مجملها تخضع للوضع العام في سنن العرب في كلامها وهو مبحث فصَّل فيه علماء الفقه وأصوله استنباط الأحكام من الخطاب الشرعي؛ وفي فهم دلالات النص وتفسيره.

2-ثماره (التطبيقات اللغوية):

ومن أهم ثمار هذه المباحث؛ قضايا التطبيق اللغوي، ونعني به أوجه التصرف في كلام العرب وأساليبهم؛ وتطبيق علماء النحاة والتفسير للزمخشري(ت497هـ-533هـ) والرازي (ت606هـ) نظرياتهم على الخطاب الشرعي؛ من خلال بيان علاقة الكلام بالفهم والتفسير؛ وبالنفس وغيرها من القضايا [3]، .فقد"... تجد أنواعا من الخطابات تشترك في استعمال

---

[1]-ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية؛ ص319-320، من بين ما ورد عند الجاحظ عن التصوير والتدقيق اللغوي" التقويم والتنقير والتنتيف (للرغيف) ونشيش اللحم لصوته حين القلي".

[2]- ينظر: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، سلسلة علوم اللسان عند العرب،(3)، ص26-32، وفقه اللغة للثعالبي، القسم الثاني.

[3]-ينظر: اللغة والمعنى، مقاربات في فلسفة اللغة، دليل محمد بوزيان وآخرون، ضمن مقال لغة الخطاب الصوفي الإشارة والرمز "محي الدين بن عربي" شارفي عبد القادر، ص83، منشورات الاختلاف، العاصمة- الجزائر، ط1، 2010، وبين نقطة مهمة في الدلالة التي هي للوضع العام وقوة اللفظ، والدلالة التي يفيدها الإبداع الفردي.

وحدات لسانية معجمية خاصة بهذا اللسان أو ذاك، وتستند إلى القواعد التركيبية والنحوية والصفية لهذه الوحدات، إلا أنها تتميز في ما بينها تبعا للقيم الدلالية المستندة لتلك الوحدات وذلك ما يعطي للخطاب هويته التي ميزه عن غيره"[1].

واصطلح عليها اللغويون القدماء فيما يعرف بالوضع والاستعمال أو سنن العرب في كلامها، وهو الاستعمال الخاص للغة ضمن أعراف تلك الأمة ومقوماتها، وفي المفهوم المعاصر يطلق على النظام اللغوي الجماعي العام (القواعد النحوية والصوتية والتركيبية والدلالية المعجمية) في مقابل مصطلح الوضع والاستعمال الإبداعي للغة الذي يمثل الكلام، ثم انتقل إلى تسمية هذه المقابلات بالنص والخطاب والقصدية، ونحن نرى أن بؤرة هذه الإشكالية المعرفية لا تنفك تتصل بتلك النقطة حول مصطلح العرب القدماء(الوضع والاستعمال).

كما أن الاستعمال اللغوي يبرز وعي القدماء بعلاقة اللغة بالمتكلم وكيفية تحصيل المعاني والملكات عبر مستويات أعلى في النظر إلى البيان، وتتلخص في: تفسير النصوص، والتحليل البلاغي، والتحليل المنطقي، والتحليل النفسي، أو التحليل العلمي [2].

عندما نطلق تسمية تحليل بياني بهذا المصطلح فإننا سوف نذهب إلى أكثر من ذلك في الشرح والتفسير والتحليل والتأويل والتدبر وغيرها من الألفاظ المعروفة في باب البيان، في مقابل تسمية التحليل اللغوي، الذي يتوقف على مستويات نحوية وصوتية وصرفية ومعجمية دلالية بلاغية، وفيما نعتقد أن هذا الاقتراح سوف يقلص الفجوة المنهجية للفصل بين اللغة وما يتعلق بها من استعمال ونفس وعقل وذهن وكون وغيرها.

[1]–اللغة والمعنى، دليل بوزيان وآخرون، ص83.

[2]–سنوضح في الأجزاء الموالية بمثال يشرح لنا التحليل البياني للنص وآلياته الإجرائية عند كل من الإمام عبد القاهر الجرجاني، والزمخشري..

يلخص التحليل البياني كل ما يمس اللغة(الملكة اللغوية) في جانبها الثابت، والقواعدي المتعلق بشرح الكلمات المعجمية وتوضيح أسرار نظمها في التركيب، وتجلية أبعاد أخرى لهذا النظم النفسية والبلاغية والعلمية والمعرفية وحتى المصطلحية.

3-البيان العربي بين الجاحظ والجرجاني:

فإن كان ما تقدم حديثا عن منطق اللفظ العربي ووظائفه البيانية انطلاقا من أبنيته وأوزانه، وعلاقته بالاشتقاق، ومطابقة الدلالات بعضها بعضا وفق نظام محكم، فإن منطق الكلام يحتكم إلى عدة اعتبارات، بلغ وأجاد فيها كثير من علمائنا منهم على سبيل التمثيل لا الحصر، عبد **القاهر الجرجاني** (ت 471هـ) [1]، في كتابيه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز، فقد بلغ من التنظير ما بلغ مبينا نظم الكلام وعلاقته بالذهن والتصوير وأساليب العرب في تأليف الكلام، دامجا النحو ومنطق اللغة في نظريته المشهورة " نظرية النظم"، انطلق من البيان القرآني مستشهدا بالشعر وهي في مفهومها العام " توخي معاني النحو فيما بين الكلم .

وهذا بعد أن بيَّن **الجاحظ(150هـ-255 هـ)** في مؤلفاته مقوِّمات البيان اللساني العربي ضمن نظرية شاملة تعرف الآن بالنظرية البيانية أو المدرسة البيانية؛ تناول الباحث محمد الصغير بناني مشروع البيان عند الجاحظ في أربع قضايا؛ وهي مسألة تحريم البيان، ومسألة تفصيل الصمت على الكلام، ومسألة المراء، ومسألة تفضيل الإيجاز عن الإطالة، وهي مسائل أسهب فيها الكاتب لا يسع المجال لذكرها؛ وفي كتابه المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة؛ سمى مدرسة الجاحظ بالمدرسة البيانية وعمل فيه على بيان مفهوم مصطلح(بيان) ومصطلح(تبيين)، إضافة للبلاغة ضمن رؤيتين هما؛ رؤية صوفية في تفسير مطابقة الأحوال للكلام، ونظرة لسانية حديثة في شرح الدلالة اللفظية والإشارية والرمزية والأسلوبية.[2].

---

[1]-ينظر: نظرية البلاغة العربية، دراسة في الأصول المعرفية، أحمد سعد محمد، مكتبة الآداب، القاهرة-مصر، ط1، 2009، ص 57-104.

[2]- من ضمن أهم المؤلفات في هذا المنحى، والتي اهتمت بدراسة الجاحظ ومشروعه البياني ومقاربته بالنظرة اللسانية الحديثة : النظريات اللسانية والبلاغية عند العرب، محمد الصغير بناني، دار الحداثة، بيروت-لبنان، ط1 ، 1987،

أ-مرتكزات البيان عند الجاحظ ومميزاتها:

يمكن أن نميز أهم مرتكزات البيان عند الجاحظ؛ بإبراز صفات الملكة اللغوية عند العرب وعند غيرهم من الأمم؛ انطلاقا من وصف البيان العربي وأدائه القائم على الفطرة والبديهة والارتجال، في مقابل الأداء الذي يحمل الوصف العلمي، والعبارة المنطقية، ومقومات البلاغة ووسائلها في التأثير في الجمهور؛ لذلك كان منهجه شاملا وإنسانيا بما قدمه من مقارنات، وأمثلة ونصوص وتصورات نظرية عن اللغة والنفس والمجتمع وغيرها؛ ناهيك عن الخبرة المعرفية وتوسع نظره، واستعماله للكلمات القرآنية وتوظيفه لها في مشروعه البياني.

ب-مرتكزات نظرية النظم عند الجرجاني وخصائصها :

-مرتكزاتها:

ترتكز نظرية النظم عند الجرجاني(ت471)"...قال الشيخ الإمام رحمه الله : العلماء أطلقوا على تعظيم شأن النظم، وتفخيم قدره، وأن لا فضل مع عدمهن ولو بلغ الكلام في غرابة معناه إلى ما بلغ، فلا بد من بيان حقيقته فيقول:

ليس"النظم" إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه "علم النحو وتعمل" على قوانينه وأصوله"[1]ص164/نهاية الايجاز.

وقد جعلها في ثلاثة فصول:

- حقيقة النظم.
- معنى وحقيقة القانون العلمي الكلي.
- في أقسام النظم.

ص188-197، والمدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، محمد الصغير بناني، دار الحكمة، الجزائر،2001 ص17-24.

[1]- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الرازي (ت606هـ)، تح: نصر الدين الرحاجي مفتي أوغلى، دار صادر، بيروت-لبنان، ط1، 2004، أوضح مفهوم نظرية النظم، واختصرها، ص164-168.

يرجع المشتغلون في مجال البحث البلاغي إلى أهمية نص الإمام الفخر الرازي في تعريف واختصار نظرية النظم عند الإمام عبد القاهر الجرجاني [1] على عدة دوائر كما اصطلح عليها وهي :

- دائرة المعنى: إرجاع اللغة إلى الصفات النفسية؛ من خلال القول بالقصد، وعلاقته بالتفكير والتأليف الكلامي.
- دائرة النحو: قواعد اللسان العربي الفصيح.
- دائرة البيان النبوي الشريف: اللسان العربي المبين المفصل للوحي.
- دائرة الإعجاز: فوق طور البشر، وهو القرآن العظيم ونظمه.

-ثمار النظرية ومفاهيمها الإجرائية:

لذلك فإن ثمرة هذه النظرية مثلما يذكر ابن خلدون (732هـ-628هـ) هي اكتساب **ملكة بيانية ذوقية**؛ وهي كيف يمكن لصاحب ملكة العربية أن يفهم دقائق وأخص الإشارات الناتجة عن النظم وعلاقتها بالفهم؛ وعليه وباستعمال منطق النحو واللغة وموازنة ذلك كله بالشعر العربي الفصيح، حاول إثبات أوجه هذا البيان المعجز وهو البيان القرآني، وكان من طبق هذا النظرية الزمخشري (467-525هـ)، في كتابه الكشاف، ومحصلتها استيفاء الشروط اللفظية في مطابقة الكلام منطوقا ومفهوما لمقتضى الحال[2].

إنَّ قضايا الإعجاز اللغوي والقرآني قد شغلت الكثير من الدارسين العرب قديما وحديثا، بدءا من عهد الفطرة والأداء البياني مرورا بمحطة الجاحظ، ونظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني، التي طبقها الزمخشري في كتابه الكشاف، ثم صياغتها في أصول ومبادئ عند السكاكي، إلى غاية اكتمال المنهج عند كلّ من مصطفى صادق الرافعي، والعقاد، وأمين

[1]- وينظر: شرح دلائل الإعجاز الإمام عبد القاهر الجرجاني(471هـ)، محمد إبراهيم شادي، دار اليقين، المنصورة-مصر، ط1، 2010، ص104-109، وص529، وص455.

[2]- ينظر: نظرية البلاغة العربية دراسة في الأصول المعرفية، أحمد سعد محمد، الفصل الثاني حول مبحث الدلالة وتأسيس نظرية البيان.

الخولي؛ إلاَّ أنّه ينبغي الإشارة إلى نقطة مهمة، وهي اتصاف هذه المؤلفات بالجدل والمناظرات، الأمر الذي أبعدها عن زمن الفطرة والحس اللغوي عند العرب، والشروط التي بيَّناها بداية الفصل فيما يتعلق بالملكة اللغوية في عهد السليقة.

ونحن نرى أن هذه المؤشرات كانت من بدايات النظر في البيان العربي، والقول بالملكات عبر: الفهم والاستنباط، والتحليل، البحث في الأساليب العربية انطلاقا من الموازنة بين هذه الأخيرة والشعر الفصيح

ولنا مثال يوضح التحليل البياني ومعنى منطق اللغة والنحو: يقول الجرجاني شارحا أسلوب الوصل في الآية القرآنية: ﴿ **مَا هَـٰذَا بَشَراً إِنْ هَـٰذَآ إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ** ﴿٣١﴾ ﴾ (يوسف/ 31)"...ومداخل في ضمنه من ثلاثة أوجه: وجهان هو فيهما شبيه بالتأكيد، ووجه هو فيه شبيه بالصفة"، 1-شبيه بالتأكيد: إذا كان ملكا لم يكن بشرا، 2-والمراد من الكلام أن يقال إنه ملك، وأنه يكنى به عن ذلك، 3-شبيه بالصفة، نفى عنه البشرية وأثبت له جنس غيره(أي حين تسأل فإن لم يكن بشرا؟ ، فيأتي التأكيد إن هذا إلا ملك كريم)[1].

وفي السياق ذاته نمثل لتفسير الزمخشري بوصفه وجها أخر للفهم والشرح والتفسير والتأويل لبداية سورة الضحى" ﴿ **وَالضُّحَىٰ**﴾ **(الضحى/1)** المراد بالضحى: وقت الضّحى وهو صدر النّهار حتى ترتفع الشمس وتلقي شعاعها. وقيل: إنّما خصّ وقت الضّحى بالقسم لأنّها الساعة التي كلَّم فيها موسى عليه السلام وألقي فيها السحرة سجّدا، لقوله: ﴿ **وَأَنْ**

[1]- ينظر بتفصيل أدق: شرح دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني(471هـ)، محمد إبراهيم شادي، ص314-315.

﴿يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحىً﴾ **(طه/ 58)** وقيل أريد بالضحى النهار بيانه قوله: أن يأتيهم بأسنا ضحى في مقابلة بياتا..."[1].

" لقد أقسم ربنا بالضحى وبالليل إذا سجى أنّه لم يودعه ولم يقِله كما زعم أهل الكفر.إن القسم بهذين الشيئين لهما ههنا دلالة خاصة-كما قيل-فإنَّ الضّحى يمثل نور الوحي وإشراقه، وإن الليل إذا سجى يمثل انقطاعه وسكونه، فإن الدنيا من غير نور النبوة وإشراقة الوحي ليل مظلم وظلام مطبَق"[2].

4-الخصائص العامة المنطقية والنحوية في الاستعمال الكلامي :

أ-معرفة اللغة:

نتيجة البحث في البيان القرآني، بيَّن علماؤُنا منطق اللسان العربي المبين، وعلاقته بالنحو، وعلاقته بنظم الكلام وتأليفه، وكيفية تحصيل الملكات الذهنية والخيالية والفهم والتأويل والتفسير وغيرها.

فالنحو على حد ما يشير إليه السيرافي" منطق مسلوخ من العربية، والمنطق نحو لكنه مفهوم باللغة، ..."[3].

وهنا نفهم نظرية الجرجاني بفهم المعاني من منطق النحو واللغة في التأليف والنظم؛ والأغراض المعقولة والمعاني المدركة لا يوصل إليها إلا باللغة الجامعة للأسماء والأفعال والحروف، وهذا لا يكون إلا بمعرفة اللغة ونظمها[1].

---

[1]-تفسير الكشاف، الزمخشري (467-525هـ)، تح: خليل مأمون شيما، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط3، 1430هـ-2009م، ص1208.

[2]- على طريق التفسير البياني، فاضل صالح السامرائي، جامعة الشارقة- الإمارات -العربية، ج1، 2004، 110/1.

[3]-الإمتاع والمؤانسة، لأبي حيان التوحيدي، تح: أحمد أمين وأحمد الزين، ص125، الليلة الثامنة، ولقب بالجاحظ الصغير، وهو من أكثر من قرأ للجاحظ وفيه المناظرة الشهيرة بين عالم النحو السيرافي والمنطقي الكبير يونس بن متى، ينظر في هذا الصدد: دفاتر فلسفية، إعداد وترجمة، محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، دار بوتقال، الدار البيضاء-المغرب، ط4، 2005، ص82-85.

وشارك في هذا معرفة سنن العرب في كلامها وتوسعها في معانيها ؛ من التقديم والتأخير والفصل والوصل في هذا اكتشاف النموذج الأمثل في تأليف الكلام انطلاقا من النظر في تحليل الكلام العربي، أما الآن فيبحث في تأليفه على مستوى الذهن والسيالة العصبية[2]، وهي ترجع إلى مقاصد المتكلم في الأخير وكيفية التعبير عن أغراضه بالمصطلح النحوي، وغيرها من الاستعمالات الدقيقة في نظم البيان العربي.

ب-فهم البيان واستعمال الملكات الذهنية(استخدام المعرفة) :

يقول الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز متحدثا عن الكناية"...هذه مسألة كنت عملتها قديما، وقد كتبتها ها هنا لأن لها اتصالا بهذا الذي صار بنا القول إليه، **قوله تعالى:**﴿ ۞ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۞ ﴾ **(ق/37)**، أي لمن أعمل قلبه فيما خلق القلب له من التدبر والتفكر والنظر فيما ينبغي أن ينظر فيه ، فهذا على أن يجعل الذي لا يعي ولا يسمع، ولا ينظر ولا يتفكر كأنه قد عدم القلب من حيث عدم الانتفاع به، وفاته الذي هو فائدة القلب والمطلوب منه كما يجعل الذي لا ينتفع ببصره وسمعه لا يفكر فيما يؤديان إليه، ولا يحصل من رؤية وسماع ما سمع على فائدة، بمنزلة من لا سمع له ولا بصر."[3].

-فهم النص واستعمال الحواس:

ومسألة فهم النص القرآني وتفسيره فيها خلاف مثل مبحث المجاز والحقيقة؛ وقد عقد ابن جني بابا في اللغة أهي مجاز أم حقيقة؛ لأنَّ من فسَّر القلب بالعقل له أدلته ونظرته لهذه المسالة؛ وهي متشعبة في القول بالحقيقة والمجاز وأصناف الاستعارة والتشبيه وغيرها من أساليب الكلام العربي الفصيح.

---

[1]-ينظر: الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، ص123.

[2]-للوقوف على بداية التأليف في مسألة سنن الكلام العربي، ينظر: فقه اللغة وسر العربية، القسم الثاني من الكتاب.

[3]-شرح دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني(ت471هـ)، محمد إبراهيم شادي، 393، ، وقد قمنا بإكمال الآية.

-الفهم المنطقي واستعمال الإجراءات اللغوية:

عقد ابن جني بابا سمَّاه شجاعة العربية متطرقا إلى طرق الفهم والتحصيل والمقاصد من ذلك" اعلم أن معظم ذلك إنما هو الحذف، والزيادة، والتقديم، والتأخير، والحمل على المعنى، والتحريف"[1].

وفي الحذف قال:" قد حذفت العرب الجملة، والمفرد، والحرف والحركة. وليس ذلك إلا عن دليل عليه. وإلا كان فيه ضرب من تكليف الغيب في معرفته

فأمَّا الجملة فنحو قولهم في القسم: والله لا فعلت، وتالله لقد فعلت،.وأصله : اقسم بالله، فحذف الفعل والفاعل، وبقيت الحال –من الجار والجواب–دليلا على الجملة المحذوفة "[2].

وعلى هذه الملاحظات في وصف الملكة العربية بما هي بيان وعلاقة كل ذلك بالفهم والتحصيل ضمن منطق النحو واللغة، فالجرجاني من هذا المنظور بيَّن مفهوم القلب بدل العقل، انطلاقا من فهمه لنظم الكلام الذي جاءت فيه هذه اللفظة.

والدلالة على هذا تحصل من النحو والنظم؛ وعلاقتها بالذهن والفهم؛ و"للقلب" نفسه أسس بين العلماء قديما؛ حول أصل المعرفة أهي في القلب أم العقل؛ وهو خلاف بين العقليين والمحقيين، لا يسع المجال لذكره إلا على سبل الاستئناس.

والذي ذكره الجرجاني يفهم منه قول ابن جني في باب شجاعة العربية، حين تحدَّث عن التحريف قائلا "قد جاء هذا الموضع في ثلاثة أضرب: الاسم والفعل والحرف."[3] .

---

[1]–الخصائص، ابن جني، تح: هنداوي، 140/2.

[2]– الخصائص، ابن جني، تح: هنداوي، 140/2.

[3]–الخصائص، ابن جني، تح: هنداوي، 202/2. **والآية قوله سبحانه وتعالى:** ﴿ **قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا** ﴾ **(طه/95).**

*الاسم : ما غيره القياس منه : نحو قولهم : نمر–نمريّ.

*الفعل : نحو قولهم : ظَلَلْتَ: ظَلْتَ.

*الحرف : تخفيف ربَّ وإنَّ نحو **قوله سبحانه وتعالى** ﴿ ۝٣ **إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَا عَلَيْهَا حَافِظٌ** ۝٤ ﴾**الطارق/4)**.

ثالثا: مستويات التحليل البياني :

1–إجراءات نظرية ومعرفية :

أ–مستوى الإتقان:

استعملنا مصطلح البيان هنا لما أفادنا المفهوم من إجراءات نظرية ومعرفية؛ تتمثل في أن البيان يشكلُّ كلَّ ما يتعلق باللغة نحوا ووصفا وتركيبا ودلالة ومعرفة؛ كما يتضمن ما هو خارج عن اللغة ومنطقها إلى ما يدخل في البيان عند الإنسان؛ من ملكات نفسية وعقلية؛ وآلات جسمية استعداديه، وهذا ما ينبه إلى نقطة مهمة في مستويات البيان وتحصيله إلى درجة الإتقان؛ ونعني الإتقان هنا القدرة على الفهم والتفكير؛ والقدرة على التصرف في الكلام بحسب مواقف الحياة.

ب–التعبير عن الخبرة الضمنية(ومسألة تحصيل المعرفة):

لأن البيان في أصله تعبير عن الخبرة الضمنية عند الإنسان؛ التأكيد على أن هناك جانب نفسي، ضمن تفسير الملكة الغوية، التي تعود إلى أحوال المتكلم ومقاصده، ومواهبه الربانية، المتمثلة في التفكير والتذكر والتحليل والفهم والقياس والمقارنة والتلخيص والحفظ، وغيرها من المصطلحات في التراث اللغوي العربي[1]؛ وهذه الخبرة الضمنية في حقيقتها مجردة إلا ما يدلنا عليها من أقوال الإنسان وأفعاله وسماته وغيرها مما يربطه بالوجود؛ تتمثل الخبرة

[1]– ينظر: العمل الديني وتجديد العقل، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، ط2، (الدار البيضاء–المغرب)، 1997 ص400.

الضمنية في استعمال الحواس؛ مثل الذكر والتفكر، وهي قدرات تتجاوز مباحث تنظيرها إذا قارناها بالواقع والاستعمال؛ فاللغة من منظور (الانجاز والبيان)، قمة التداول التي تجعل لكل عبارة دليل عملي.

وما يستعمله المتحدث أو المتعلم يفوق بكثير ما ننظره وما نصفه في هذه الملكة اللغوية بوصفها وسيلة البيان الأولى عند المتكلم؛ وعلى هذا يشكل على أصحاب التأويل الوقوف على المقاصد لـ" أنَّ الطريق إلى حقائق التخاطب فيه ما ليس في غيره من شعب اللغة، ففيه التبليغ، وتبليغه نشأ فيه من المعاني مشتركة بين ذوات مختلفة، وفيه التدليل وتدليله يجعل من كلِّ قول دليلا على مدلوله يطلبه الغير في نفسه أو في أفقه، وفيه التوجيه وتوجيهه يبث في الأقوال قيما تستنهض همة الغير للعمل، فيكون كل أصل اللغة الإنسانية أصلا تبليغيًّا تدليليًّا توجيهيًّا ولو كان لفظا واحدًا لا غير، فقد يقدر في الذهن ما ليس له تحقق في العين".[1]

وعليه يمكن أن نستثمر ما نصفه عن الملكة اللغوية بخصوص منطقها اللغوي، أو ما يخص مستويات التبليغ؛ أو ما تتصف به النفس من تحصيلها للمعارف، و ما تخزنه من خبرة اجتماعية أو علمية...

فقدرة المتكلم أو الإنسان على التبيين، يتجلى فيما يدمجه من تلك المعرفة المتعلقة بمنطق اللغة، والملكات النفسية؛ والاستعدادات الجسمية. وهي تفاعل وسائل الإدراك كالسماع ؛ والبصر والحس وما ينتج في الأخير من ملكة في التبيين؛ أي ما يفهمه، وكيف يبلغه وماذا يبلغ؛وهنا تكمن فلسفة التحصيل والإدراك للعلوم والمعرفة عند الإنسان.

[1]– ينظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، ط2، ، ص27.

2-مستوياته:

أ-القصد والوصف:

ويشمل ما يمكن أن ننتجه من وصف للملكة اللغوية، ضمن مستواها الذي يخضع لمنطق اللغة ونحوها، يقول **ابن جني** مبينا مكانة السماع بالأذن، والمشاهدة في الحال عن بيان القصد.."وبَعْد فالحمالون والحماميون، والساسة والوقادون، ومن يليهم ويعتد منهم يستوضحون من مشاهدة الأحوال ما لا يحصّله أبو عمرو من شعر الفرزدق، إذا أخبر عنه، ولم يحضره ينشده، أولا تعلم أن الإنسان إذا عناه أمر فأراد أن يخاطب به صاحبه، وينعم في تصويره له في نفسه استعطفه ليقبل عليه؛ فيقول له: يا فلان، أين أنت، أرني وجهك، أقبل علي أحدثك، أما أنت حاضر، ياهناه. فلو كان استماع الأذن مغنيا عن مقابلة العين، مجزئا عنه لما تكلف القائل، ولا كلف صاحبه الإقبال عليه، والإصغاء إليه، وعلى ذلك قال :

العَيْنُ تُبْدِي الذِّي فِي نَفْسِ صَاحِبِهَا مِنَ العَدَاوَةِ أَوْ وِدٍّ إِذَا كَانَا"[1]

ب-النقل والمحاكاة:

وهذه المشاهدة التي يريدها هي عين ما يمكن أن يحققه البيان، من وظائف في ضوء وصف الملكة اللغوية التي لا تتوقف على النقل والمحاكاة بقدر ما هي نتيجة أسباب ومقاصد تقع مع صاحب الملكة تترجم لغويا مصحوبة بما أشار إليه ابن جني من المشاهدة والاستماع وأساليب الاستعطاف وغيرها.

جـ-الإشارة والذوق:

وتحيط بملكة البيان عند المتكلم؛ وقد سمَّاها الجاحظ بالإشارة وفي موضع آخر النفع والنجاعة، وسمَّاه ابن خلدون بالذوق البياني؛ أي فهم الكلام منقولا وليس مشاهدا بخصائص دقيقة مثل الإشارات في التركيب، وقد تضمن ذلك في مبحث الإعجاز القرآني.

[1]-الخصائص، ابن جني، تح: هنداوي، 261/1.

ومنطق اللغة هو النحو والصرف، منتزع من البيان العربي، فإن لم يكن للعربي علم بهذه المصطلحات النحوية؛ فله معرفة ضمنية بها؛ لذلك كان النحاة يقولون ومنهم ابن جني؛ إننا ننقل ما يريدون؛ وما سمعناه؛ أو قول الخليل؛ إن العرب نطقت على سجيتها وهو البيان العربي، وقام في عقولها علل أي أسباب ورود هذا التركيب بهذا التأليف وفق مقاصدهم.

وكلما ابتعدنا عن حال ومشاهدة الأحوال بالوصف للملكة اللغوية؛ ابتعدنا عن المراد الذي جاء للبيان العربي؛ والكلام بصفة عامة؛ واحتجنا إلى إشارات وأدلة لنتبين المقصود؛ وعليه قام مبحث البلاغة ليقنن كيفية تحصيل هذه الإشارات التي تفيدنا في بيان الملكة؛ إلا أن خصائص البيان ضمن نحوها وصرفها ،يبين بوضوح ما أرادت العرب في كلامها؛" وهذا الفارق الدقيق بين الصيغ في الفعل والاسم والدلالة هو منطق اللغة الذي يفهم بالقياس، كما يفهم بالسماع والتوقيف"[1].

3-منطق اللفظ وأسلوب التضمن(الخبرة الضمنية) :

مثلما تطرقنا للمنطق اللغوي والنحوي للملكة اللغوية بما هي بيان عربي؛ فإن أحد أسباب تحصيل المعاني وفهم مراد المتكلم هي الكلمات أو المفردات العربية، وعدَّ أحمد أمين أنه ما بقي لمجتهد اللغة أن يجتهد فيه كما ذهب السيد سعيد الأفغاني في حديثه عن إحياء القياس في ترجيح معنى دون آخر قصد الاستفادة من البيان القرآني؛ ضمن ما تحتاجه الأمة الآن من أسماء للمكتشفات والعلوم والآداب؛ واصطلح عليه "**أسلوب التضمين**".

أ-منطق اللفظ:

-الحس اللغوي :

تتجلى أهمية البحث في الحس اللغوي في مسألة القول بالتفسير، ودرجاته وصفاته، وذلك عندما ابتعد العهد بنا عن خصائص البيان العربي وكلماته[2]، وهو مبحث لطيف إذا تمَّ

[1]-أشتات مجتمعات، عباس محمود العقاد، ص48.

[2]-ينظر : أشتات مجتمعات، عباس محمود العقاد ص34.

تطبيقه في كيفية تهذيب الحس اللغوي عند المتعلم، أو حتى عند المراحل الأولى من التحصيل، لأنَّ فيه تربية للذائقة من خلال تحسس العلاقة بين الحروف ومعانيها، وعلاقتها أيضا بالأذن.

يقول أحمد أمين (1886م-1954م) وعند تحري هذا الباب نراهم يحاكمون أوّلا صوت المسموع بالأذن، ثم ينقلونه إلى المبصر بالعين، ثم ينقلونه إلى المحسوس بباقي الحواس الخارجية، ثم إلى المعقول بالعقل، فمثلا لو(تتبعنا) نظرنا إلى كلمة (حس)وتتبعناها وجدنا أن المصدر الأصلي(حس) كان صوتا سنيا تخيلوا أنه يسمع عند الحس أي المس باليد، ثم انتقالا من الإحساس باليد إلى الإحساس بغيرها فسمّوا كل ما يشعر به(باليد ثم انتقلوا إلى الإحساس باليد إلى الإحساس) محسوسا وسموا الآلات التي يحس بها حواس، ثم أطلقوها على العلم الحادث من الحواس، وعلى اليقين الحاصل من العلم بها، واشتقوا أحس بالشيء إذا أدركه بحاسته، ونقلوه إلى أحسست بالشيء أي أيقنت به. ثم نزعوا هذا الصوت السيني فجعلوه مرة(حسا) ومرة (لمسا)ومرة(مسا)...وتارة يلحظون ما بين الحرف والمعنى من مناسبة فيلحظون في الحاء آخر الكلمة دلالة على الاتساع والانتشار:(ساح، باح، صاح، شرح، مرح)، والكلمة المبدوءة بالشين على التشتت والتفرق مثل(شن، شطر، شعث، سع)...والمبدوءة بالغين على الغموض(غمض، غاب، غار، غطس، غم...[1]

وذكر أحمد أمين وظائف عديدة للقياس[2]؛ ومن بين تلك الفوائد للقياس:

- استنباط قاعدة.
- معرفة المجهول من المعلوم من خلال قياس المجهول على المعلوم من الأفعال والمصادر.

[1]-ينظر: فيض الخاطر(مقالات أدبية واجتماعية)، أحمد أمين، مؤسسة هنداوي، القاهرة-مصر، ج10، دط، 2012، 38/10-39.

[2]-المرجع نفسه، 37/10.

- القياس على أوزان معينة لم تذكر مثل: أسماء الحرف والمهن؛ نجار وحداد على وزن فعال.
- الاعتراف بالمولد والدخيل؛ وعده عربيا: مثل (الوزائع) و(الضائب)، ومثل (المقيدة) التي تعني مذكرة الرجل يكتب فيها ما يمر به من تذكرة لنفسه.
- يلحظون في الشيء معنى من المعاني، فيسمى باسم مشتق من الكلمة التي تدل عليه؛ مثل الدار، سميت لكثرة الدوران فيها.
- القول في وضع العرب للغتهم؛ من خلال مفهوم المحاكاة لابن جني، ووضع ذلك للاستفادة من الأغلاط التي وردت في المعاجم، ومنشؤها مثل خطأ التحريف والتصحيف أو النقل عن ألثغ أو غيره.

ب- تقويم التفكير:

-أسلوب التضمين:

أما فيما يخص التضمين[1] الذي يعد ضربا من رياضة ذهنية يقوم على الترجيح؛ فهو" أن يؤدي فعل أو ما في معناه مؤدى فعل آخر أو ما في معناه، فيعطي حكمه في التعدية واللزوم، وفي مجمع اللغة العربية أنه قياسي لا سماعي بشروط ثلاثة:

- تحقيق المناسبة بين الفعلين.
- وجود قرينة تدل على ملاحظة الفعل الآخر ويؤمن معها اللبس.
- ملاءمة التضمين للذوق العربي. ويوصي المجمع ألا يلجأ إلى التضمين إلا لغرض بلاغي.

[1]-لقد لخص الجاحظ كل ذلك في عبارة دقيقة عند حديثه عن تعريف البيان، وسنأتي لذكره بحول الله تعالى في موضعه؛ أما فيما يتعلق باستثمار هذه الرؤية فيظهر ذلك في : الرياضة الذهنية، تقريب المقاصد والمعاني إلى الذهن، فهم كلمات القرآن العظيم والابتعاد عن التأويل الخاطئ.

ومن أمثلته في القرآن الكريم: **قوله سبحانه وتعالى** ﴿ ۞ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝١٤﴾ **(البقرة/13)**ضمن (خلا) معنى انتهى.

و**قوله تعالى** ﴿ ۞ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١٥ ﴾ **(البقرة/14)** ضمن (يمد) معنى (يزيد)..."[1].

يمكن أن نخرج بخلاصة مفادها، أن هذه المحاور– فيما يتعلق بمنطق اللغة وأثره في نمو الملكات عند العرب ووظائف الأداء البياني العربي– تعطينا صورة واضحة لخاصية الفطرة والارتجال عند العرب في عهد السليقة العربية، وهذا يؤدي بدوره إلى بيان الخصائص العامة للكلام والعبارة البيانية التي لا تنفصل عن الملكات عند المتكلم ولا تتناقض، الأمر الذي يجعلها مادة مفيدة للاستنباط واستخراج العلوم منها، كما تعطينا محاور هامة فيما يخص التحليل البياني للكلام وعلاقته بالتفكير والفهم والقياس، ناهيك عن التصور العام لخاصية الكلام أو اللغة والإبداع.

خلاصة الفصل:

إنَّ طبيعة الملكة اللغوية أردنا بها حدودها النحوية والصوتية والبيانية؛ وهذا أقرب منهج يمكن من خلاله أن نصفها به؛ لذلك فهذه القواعد في نظر القدماء أخص بهذه الملكة للناطقين بغيرها مثلما هو معروف في تراثنا اللغوي، وربما الأمر مختلف الآن في ميدان التحصيل والاكتساب الذي يحاول إبعاد النحو(القواعد) لتوجهات لسانية معاصرة ضمن النظرية الفطرية والعقلية وحتى المعرفية.

[1]–في أصول النحو، سعيد الأفغاني ، ص120، نقلا عن مجلة مجمع اللغة العربية، 33/1.

الفصل الثاني: تحصيل الملكة اللغوية عند الجاحظ من خلال مفهوم البيان والتبيين

المبحث الأول: الأسس الفطرية للتحصيل والتعليم عند الجاحظ

المبحث الثاني : مبادئ التحصيل في تعريف البيان عند الجاحظ

المبحث الثالث: أبعاد التصنيف ودورها في تحديد الملكة اللغوية وعلاقتها بالملكات الأخرى

تمهيد :

لعلَّ أوَّل ما نمهد به الكلام حول الجاحظ(150هـ-255هـ)[1]، ضرورة التنبه إلى هذا العالم المتبحر؛ الذي يمثل حقبة غير بعيدة عن بيان القرآن العظيم؛ والبيان النبوي الشريف؛ والكلام العربي؛ أي عهد السليقة العربية.

الأمر الذي يوضح لنا فكرة مهمة وجوهرية تتمحور حول المصطلحات الدقيقة في مؤلفاته بخاصة الحيوان، والبيان والتبيين؛ وهذه المصطلحات قريبة إلى عهد الفصاحة العربية في عنفوانها. إضافة إلى استعمال الجاحظ لمصطلح البيان والتبيين، والذي سوف نرسل فكرتنا حوله بوصفه لبّ كتاباته، مستخلصين أهم أفكاره فيما يخصُّ علاقة البيان بالملكة اللغوية.

على كلٍّ فإنَّ الجاحظ سيعدُّ ركيزة البحث فيما بعده على حد قول أحمد أمين"...فقد جرت على منواله ، وحذت حذوه فالمبرد تلميذه قد تأثر به في تالأيفه، والكتب ألفت بعد كعيون الأخبار والعقد الفريد فيها شيء من روح الجاحظ وإن دخلها شيء من الترتيب والتبويب"[2].

---

[1]- وجدنا بعض الاختلافات في نقل سيرة الجاحظ في عدة دراسات وربما يرجع السبب إلى اختلاف المحققين وإلى الطبعات المنقولة ؛ وعلى ذلك فإن مختصر ما نقل في ترجمته أن الجاحظ هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب، ينتسب إلى كنانة بالولاء، ولد في البصرة سنة 150هـ أو سنة 163، وتوفي فيها سنة255هـ، يقول فيه عبد السلام هارون شيخ المحققين "فالجاحظ إمام فذ من أئمة البيان في العربية، وهو زعيم للبيان العربي في قوته وأسره، وفي دقته وصحته، وحلاوته وجماله وفنه...كان في العصر الذهبي للأمة العربية : عصر هارون والمأمون، والعلوم والآداب والفنون يومئذٍ تزخر بها معاهد البصرة وبغداد والكوفة، عاصر ثلة من المؤلفين منهم؛ من معمر بن المثنى(110-209هـ) وكذلك أبو الحسن عليّ بن محمد المدائني(135-225هـ)، وهشام بن محمد الكلبي الكوفي(100-206هـ)، ومن مصنفاته : الحيوان، والبيان والتبيين، ودلائل النبوة، و كتاب الطفيليين والبخلاء، ويذكر أنها خرجت عن زهاء ثلاثمائة وستين مؤلفا في ألوان شتى من المعرفة، ضاع جلّها إلا قليلا، وقد سلك الجاحظ في مصنفاته مثلما يذكر عبد السلام هارون طريقة لم يكن همه فيها الجمع والحفظ والرواية، وإنما كان كده أن يبتكر وأن يطرف، وأن يخلُق للناس بديعا، يراجع مزيدا من التفصيل : الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(150- 255هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، المجمع العربي منشورات محمد الداية، بيروت -لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط3، 1969، ج1، ص3-13.(بتصرف)، ويراجع أيضا : البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح: درويش جويدي، المكتبة العصرية صيدا، بيروت -لبنان، دط، 2003، ج1، ص7، والجاحظ دائرة معارف، فوزي عطوي، دار الفكر العربي، بيروت-لبنان، ط2، 1998، ص11-17.

[2]- ينظر: ضحى الإسلام، أحمد أمين، مطبعة الاعتماد، ط1، 1932، جامعة مصر، طلية الآداب 392/1.

تتمثل في الكتابة الاستطرادية، والموسوعية في اللغة والادب عند كل من المبرد في الكامل، والفروق اللغوية، وفن صناعة الشعر كذلك؛ وذلك لما اتسمت به كتاباته بطريقة موسوعية جامعة عكست ثقافة الفكر والأدب والعلوم وغيرها في عصر العربية الزاهي وهو العصر العباسي.

وهذا إن دلَّ على شيء فإنمَّا يدل على ملكة الرجل في حد ذاتها وما اكتسبه من اطلاع واسع لأصناف البيان اللسانية المتمثلة في البيان القرآني والحديث الشريف وكلام العرب شعره ونثره؛ وهذا النوع من الخطاب اللساني البلاغي والأدبي والفكري يوضح بدقة علاقة الملكة اللغوية عند الإنسان بباقي الملكات وهي الفهم والتأمل والاستدلال، وضربا من الحكمة تمثل الجانب الإنساني للفكر عند البشر، ولا تضع حواجزا للمعرفة بقدر ما تروم إلى بناء مستمر لها، وتمتدّ إلى الحوار بين الإنسانية التي لها مصير واحد وإن عزلتها الأقاليم والدول، وهذا كلُّه يوظفه الجاحظ في كتبه حوارا وجدلا ونظرا وبحثا عن أصول المعرفة الإنسانية وسبل تحصيلها وإدراكها وهو مما تتسم به الكتابات الخالدة المتجددة القراءات بمرور الأزمان.

المبحث الأول : الأسس الفطرية للتحصيل والتعليم عند الجاحظ

أولا: -أصولها ومنابعها:

1-المقدمات/الأوليات:

ليس من اليسير حصر آراء الجاحظ حول فكرة أسس التحصيل والتعلم، نظرا لموسوعية المؤلف وموسوعية كتبه، وهذا يمثل أحد أهم خصائص الكتابة العربية في العصر العباسي، إلا أننا التزمنا بما ترسمه أفكار هذه الدراسة وإشكاليتها وهي بيان حدود الملكة اللغوية بين النظر والتحقيق الفعلي الفطري، وهذه مسألة سوف نراها في تعريف الجاحظ للبيان بعامة والبيان العربي بخاصة، مؤسسا لأهم خطوط الأداء الكلامي وأصنافه وحدوده، وغايته ودوره في الاجتماع الإنساني، وغيرها من المفاهيم التي سنشير لها في هذا المبحث.

إذا نظرنا إلى فلسفة التعلم والتحصيل عند الجاحظ فإنَّ أول ما يتبادر إلى أذهاننا المقدمات التي يريها لنا الجاحظ في هذا الكون؛ وهي تشمل الإنسان والكون والحيوان والنبات والجماد وجميع العناصر من ماء وهواء ونار؛ ويرى الجاحظ في أبسط هذه الأشياء أول المعرفة وبدايتها وفطرتها، التي ليس عليها سلطان الاختيار إلا ما استجلبه فكرنا بالنظر والتدبر والتأمل والتفكير، وما في وسعنا أن نحصله ونتعلمه منها إلا بوصفها بداية للتعرف في هذه الموجودات لأنها بداية الحركة أيضا والتسخير بيننا؛ أو لنقل بداية الحوار الذي سوف يشكل معرفة أبسط ما نملك منها التفكر فيها وقد عجز الإنسان وهو قد صار بجهد منها" الثاقب الحس، الجامع القوى، المتصرف في الوجود، المقدم في الأمور، يعجز عن عفو كثير منها ".[1]

[1]-الحيوان، الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون،36/1.

"وكيف فتح لها من باب المعرفة على قدر ما هيأ لها من الآلة، وكيف أعطى كثيرا منها من الحس اللطيف، والصنعة البديعة، من غير تأديب وتثقيف، وغير تقويم وتلقين، ومن غير تدريج وتمرين، فبلغت بعفوها وبمقدار قوى فطرتها، من البديهة والارتجال ، ومن الابتداء ما لا يقدر عليه حذاق رجال الرأي وفلاسفة علماء البشر بيد ولا آلة"[1].

وهذا إن قابلناه بما يكون للطفل في مراحل العمر الأولى وجدناه يتعلم ويكتسب من المكان والطبيعة والزمان؛ وأقدر ما يكون صنيعه فيها تفاعله معها ومظاهر ذلك التفاعل من حركة ونطق ومشاعر وجدانية؛ وغيرها مما لا يحد بحدود وهو الرأي الذي يقول به بعض العلماء الآن في التربية؛ يعني توجه الإنسان بفطرته نحو ما هو موجود له ومنفعل له ومسخر، يظهر أن مفهوم الجاحظ لهذه الأوليات أوسع بكثير إذا قارناه بما هو مقرر في أسس الاكتساب والتعليم المعاصرة، وهذا ما يميز النظرة البيانية العربية، فالجاحظ هنا يستلهم المفهوم القرآني انطلاقا من الوصف الدقيق الذي يقدمه لمفهوم الفطرة والبدايات" فالتنظيم مثلا" هو نزعة فطرية تولد لدى الأفراد بحيث تمكنهم من تنظيم خباتهم وعملياتهم المعرفية في بنى نفسية(psychological structures)..."."؛ والحقيقة أن مصطلح(بنى) ينسحب على كثير من المفاهيم المتعلقة بالملكات النفسية، منها التفكير، والفهم، والتذكر، والحفظ وغيرها؛ وهي مفاهيم معاصرة في مقاربة النشاطات النفسية عند الإنسان.[2]

[1]–الحيوان، الجاحظ، 36/1.

[2]– معجم المصطلحات التربوية والنفسية، شحاتة زينب النجار، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 2003، ومبادئ علم النفس التربوي، عماد عبد الرحيم الزغلول، جامعة مؤتة، دار الكتاب الجامعي، الإمارات العربية، ط2، 2012، ص181.

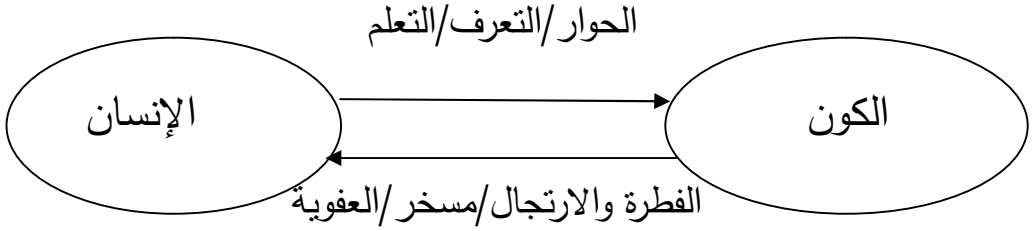

مخطط(1) يوضح أصول ومنابع المعرفة

2-الحركة/السلوك:

وهذه الحركة والسلوك موجودة في جميع موجودات هذا الكون وهو لب التعلم الذي يكشف عن بداية الإنسان في التعليم؛ ذلك أن النفس تمر بمبدأين عند الجاحظ هما : الحركة والسكون؛ والأفعال كذلك ومن هنا يبرز خصائص النفس في التعلم؛ وهذه نقطة نعالجها في العنصر الموالي.

3-خصائص التعلم :

يقول الجاحظ" ثم جعل الإنسان ذو العقل والتمكين، والاستطاعة والتصريف، وذا التكلف، والتجربة وذا التأني والمنافسة، وصاحب الفهم والمسابقة، المتبصر شأن العاقبة، ومتى أحس شيئا كان كل شيء دونه في الغموض عليه أسهل، وجعل سائر الحيوان، وإن كان يحسن أحدهما ما لا يحسن أحذق الناس متى كان أحسن شيئا عجيبا، ولم يمكنه أن يحسن ما هو اقرب منه في الظن وأسهل منه في الرأي، بل لا يحسن ما هو اقرب منه في الحقيقة.فلا الإنسان جعل نفسه كذلك ولا شيء من الحيوان اختار ذلك، فأحسنت هذه الأجناس بلا تعلم، ما يمتنع إلى الإنسان التعلم"[1] .

وهذا الكلام على محدوديته قد جمع لنا أهم وأدق خصائص النفس البشرية والملكات النفسية والذهنية والشعورية، وعلاقتها بالكون وسائر الأجناس كالحيوان مثلا، ويمكن أن نستخلص أهم ما يشير إليه الجاحظ:

[1]-الحيوان، الجاحظ، 1/36-37.

في أنَّ النفس لها من الملكات ما لا يملك الإنسان الاختيار في إدراكها إلا ما تهيئ له آلاته الجسمية وملكاته العقلية والفكرية والشعورية من أن تتعلم ضروب المعارف وتحسنها بما تملكه من الاستطاعة والإرادة؛ وفي كل ذلك نظائر من ضروب الحيوان الخالية من الاختيار وهنا ينبه الجاحظ على قضية معرفية وعلمية دقيقة وهي العفوية.

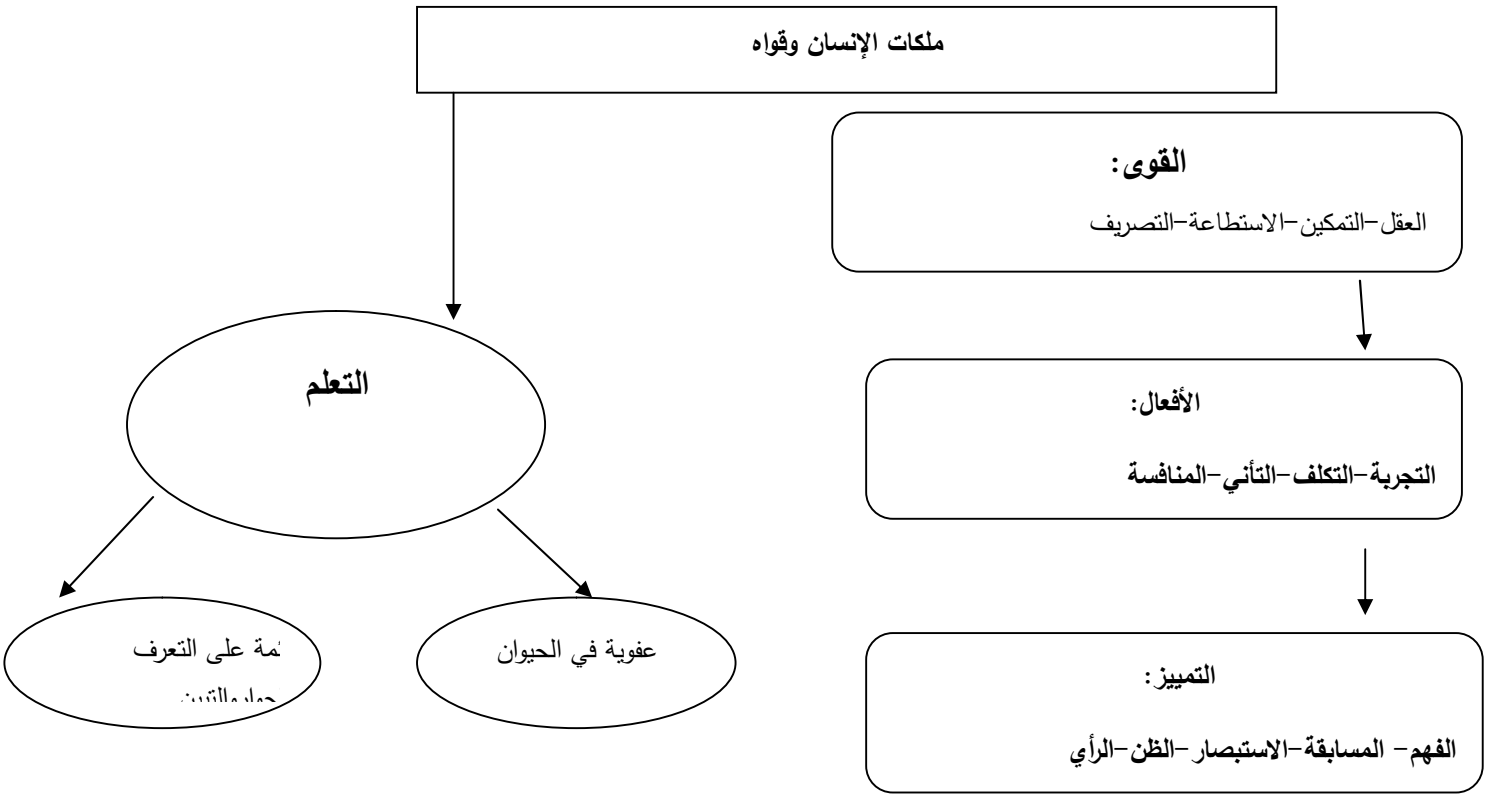

مخطط(2) يلخص كلام الجاحظ فيما يتعلق بالملكات عند الإنسان وخصائص أفعالها

4–قوى الإنسان : قوى الإنسان وسبل التحصيل والاكتساب

إنَّ هذه المواهب والملكات التي عدَّها الجاحظ من التعريف السابق ينبئ عن وعيه بها تجربة ونظرا؛ ونعني بذلك أنَّ الجاحظ قد نظر إلى سلوك كلّ من الإنسان والحيوان مستخلصا قيمة مهمة وهي حسن العمل؛ وتتخذ درجات بقدر ما يخرجها من سكونها إلى الحركة والعمل والفعل[1] مثل التجربة والتأني والمنافسة والفهم والمسابقة والتأمل كذلك؛ ويقابله

[1]–ينظر: كيف تفسر الملكة في مقدمة ابن خلدون التغيرات والاجتماعية، رضا الطيب كشو، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، قسم الدراسات الدينية، أكتوبر 2016، ص19.على الرابط:

في نظره بسلوك الحيوان فلها سلوك عجيب، وقد دلت الدراسات المعاصرة أنَّ للحيوان وغيره من ضروب الكائنات منطقا في العيش؛ وكذلك في التعلم لتعيش؛ وهذا كله يفرق عند الجاحظ بشيء واحد هو الغاية من هذه القوى وحركاتها وسلوكها في جميع هذه الأصناف.

فيما يخص بسط نظريات التعلم وهي: نظرية الاشتراط لبافلوف، والارتباط لثيونديك، والنظرية الإجرائية لسكينر، والجشطالتية؛ يمكن أن نلخص هدف وتصور جميع هذه النظريات في : وصف سلوك الإنسان في التعلم، وصف البنية المنطقية الذهنية للإنسان وسيرورة تفكيره، وصف العلاقة بين قوى الحواس وتحصيل المعرفة، الاقتراب أكثر من ملكات الإنسان ووظائف هذه القوى ومدى مطابقتها للأدوات التجريبية والواقعية، وغيرها كثير يتطلب دراسة مستقلة، أما نظرة الجاحظ هنا فهي واضحة مثلما شرحنا سابقا.

5-غاية العمل بهذه القوى والملكات عند الجاحظ :

وهذه أولى درجات الحوار مع الفطرة (المقدمات والبدايات) ، يقول الجاحظ " ثم جعل الله تعالى وعز هاتين الحكمتين بإزاء عيون الناظرين، وتجاه أسماع المعتبرين، ثم حث على التفكير والاعتبار، وعلى الاتعاظ والازدجار، وعلى **التعرف والتبُّين**، وعلى التوقف والتذكر، فجعلها مذكره منبهة، وجعل الفطر تنشئ الخواطر، وتجول بأهلها في المذاهب.ذلك الله رب العالمين، فتبارك الله أحسن الخالقين"[1].

يوضح هذا المقطع من كلام الجاحظ؛ مسألة مهمة تتعلق بملكات الإنسان وكيف تشتغل، وعلى أصولها في الإدراك وعلى عملها، وكيف ينشأ الإبداع من محاورة المقدمات أو ما يسميه بالفطرة؛ فالملكات تنمو بالتدبر والتفكر والاعتبار والاتعاظ والتعرف والتبيّن. وهذه

4444 /https://www.mominoun.com/articles/ حيث يبين صاحب المقال التشابه بين ابن خلدون والجاحظ في القوة والفعل، أو الحركة والسكون، وينظر: نظريات التعلم، دراسة مقارنة، مصطفى ناصف وآخرون، عالم المعرفة، يناير 1983.

[1]-الحيوان، الجاحظ، 37/1.

المصطلحات المتعلقة بالملكات ليست مترادفه لدقه التخصيص الذي قدَّمه لنا الجاحظ انطلاقا من هذه العمليات. وفي المقابل سلوك الحيوان وقوى الإنسان، فيكون إذا عند جميع هؤلاء سبل التحصيل الأولى التي خُلقت النفس من أجلها إن كان إنسانا، أو حيوانا.

من هنا كانت تلك المواهب المتمثلة في البصر للنظر؛ والكلام للسماع والقراءة؛ وأما التفكير فيشمل ما يحصله الإنسان من هذا الحوار والنظر والتبصر وما يحصل من أفعال مقصودة هي من قوام التقويم وهو التوقف، ومن قوام التعلم والاستفادة وهو التذكر، وفي كل ذلك تأتي أسس الإبداع التي يسميها الجاحظ بالخواطر والمذاهب؛ وهي ما يمكن أن يؤسس منهجا ونظرية وطريقة في العلم والمعرفة[1]:

-قوام التقويم: (التوقف).

-قوام التعلم: (الاستفادة والتذكر).

وهذه المسميات على منطقها اللفظي إلا أن الجاحظ أحكم لنا بوصف علمي كيف يكون الحوار بالفطرة والتعلم والتحصيل وغيره مما هو عام إن خصص لا يسع هذه الورقة بسطه فتبارك الله أحسن الخالقين.

ونحن نرى أن الأساس الذي يمكن استخلاصه للتعلم والتعليم والتحصيل إنما يبدأ من مقدمات لينتقل إلى النتائج(أي التحصيل والفهم)، وغيره، فالرجوع إلى الفطرة ضرورة ينجم عنها الانتقال مما هو ملاحظ إلى ما هو مجرد فيما نعقله بإدراكنا وآلات الحواس، وما نترجمه من أفكار ونظريات، كذلك الأمر بالنسبة إلى تعلم اللغة وتحصيلها لأنَّ الأساس هو النطق ثم الكلام، ولأنَّ الفطرة بداية نشأة الإنسان قبل مراحل التعلم والاكتساب.

[1]-يحيل الجاحظ إلى مسألة دقيقة تتعلق برؤيته البيانية مثلما ذكرنا والتي يوظف من خلالها البيان القرآني، ونعني بذلك فكرة التذكر عند الإنسان، فبقدر ما نقرنها بالملكات النفسية الداخلية، إلا أن العناصر التي يذكرها فيما يتعلق بالمقدمات والدلائل والفطرة تعد ركيزة تنبيه هذه الملكات وتذكيرها.

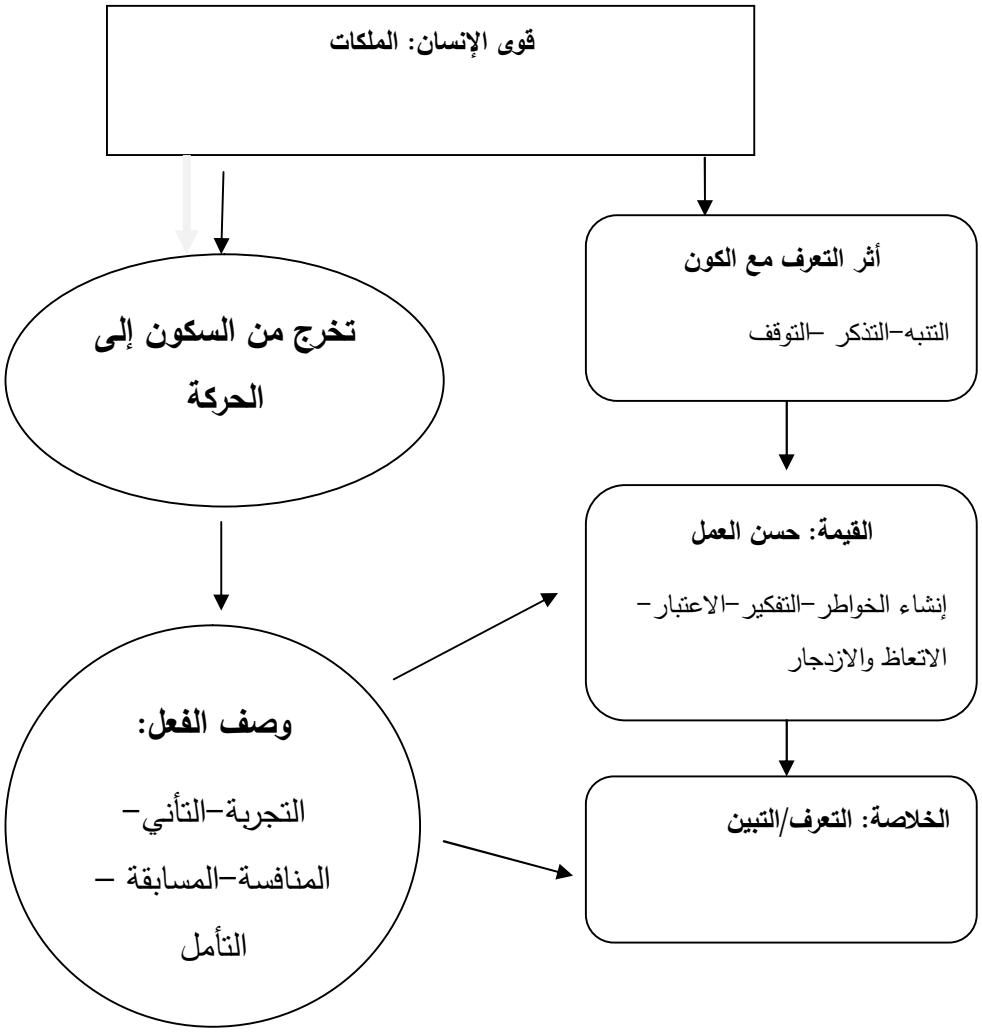

مخطط(3) يلخص مقالة فيما يخص قوى الإنسان وخصائص التعلم

ثانيا : الأسس النفسية والاجتماعية (تهذيب الملكات)

1–أهمية البيان والتبيين للمتعلم عند الجاحظ :

يقول الجاحظ": وإنما يمتنع البالغ من المعارف من قبل أمور تعرض من الحوادث وأمور في أصل تركيب الغريزة، فإذا كفاهم الله تلك الآفات وحصنهم من تلك الموانع ووفر عليهم الذكاء وجلب إليهم جياد الخواطر وصرف أوهامهم إلى التعرف وحَبَّبَ إليهم **التبيُّن**، وقعت المعرفة وتمت النعمة"[1].

[1]– البيان التبيين، الجاحظ، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، دط، دت، 293/3.

وهذا الوصف الدقيق عند الجاحظ يجعل اللغة خطابا اجتماعيا تحمل أبعادا كثيرة لا تنحصر في الكلام، وإنما ينسحب على مجالات عدة مثل الذكاء وإنشاء الأفكار والنظريات وغيرها من النعم الأخرى.

أ-العرب أمة بيان:

سمَّى الجاحظ العرب أمة بيان[1]، وهو ما تهيأ لها من قوة الملكة اللغوية، والفصاحة، ويذكر الجاحظ إنفراد العرب مما جمع لها من: الفطرة، والهداية والفتح والحس والعفو والبديهة والارتجال، والابتداء، والاقتضاب.

وعليه فإنَّ رأيه السابق لا ينفصل عمَّا يميز العرب في علاقاتهم ومقاصدهم وأغراضهم الاجتماعية؛ لأنهم[2] كانوا أمة بيان؛ والبيان لا يكون إلا ما تجود به النفس؛ ولا يرسل إلا إذا كان صورة للحياة الاجتماعية التي ميزت العرب قبل الإسلام وبعده؛ الأمر الذي يجعل الكثير من الباحثين يستصعب دراسة حياة الألفاظ وكلام العرب في أغراضها؛ وذلك لأنه ليس من المنطق وقد فصلنا في الفصل الأول أن نأتي على خصائص اللسان في عصر واحد، فضلا عن عصور وأحقاب هي من الغيب بما لا نشك فيه.

ب-البيان القرآني :

إلَّا أنَّ البيان القرآني قد ذكر هذه الحوادث الغابرة في الزمان، باللسان العربي المبين، ونحن نعلم حقيقة أن ألسنة الأنبياء عليم السلام؛ اندثرت لغاتهم وليس هناك إلا ما تحدث به البيان القرآني على ألسنتهم عليهم السلام يقول **جل في علاه** ﴿ ۞ **وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ يَّشَآءُ وَيَهْدِے مَنْ يَّشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ**

[1]- الحيوان،72/1، وفي الصفحة الموالية يقول:" وقد حبب إليهم الذكر الجميل والحكمة".

[2]-البيان والتبيين، الجاحظ، تح: جويدي، 425/3.

﴿ٱلْحَكِيمُ ۝﴾ (إبراهيم /4)[1]؛ وقد نقل لنا البيان القرآني خصائص وحوارات الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم؛ وهذا خبر قاهر مثلما يذكر الجاحظ، فالله تعالى أعلم بجميع النفوس؛ وأساس تهذيبها.

فالبيان القرآني قد عدل عن بعض الألفاظ؛ التي دارت على ألسنة العرب، وهذا إنما كان لما تفيده دلالتها وبيانها عن المقصود؛ مثل لفظة (البُرُّ) بدل (الشعير).

وفي سياق آخر تتجلى فكرة العدول عن ألفاظ في الكتابات التراثية الخاصة بالمحظور من الألفاظ، إلا أن هناك ندرة في الكتب المتخصصة في هذا النوع من التأليف المعجمي؛ الذي يفيد تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها[2]. وسمّى الثعالبي هذا النوع من الدراسة بالكناية: عما يستقبح ذكره بما يستحسن لفظه[3].

وهناك مجموعة من الأسباب التي تنطوي خلف هذا النوع من الألفاظ والنصوص؛ وهي أسباب عديدة منها النفسية والاجتماعية؛ ومثال ذلك: تسمية اللديغ بالسليم، والأعمى بالبصير؛ والمهلكة بالمفازة[4]؛ إلا القرآن العظيم حوى الكثير من هذه الأساليب في الكناية، وهي من خصائص التعبير البياني للقرآن العظيم[5].

---

[1]–البيان والتبيين، الجاحظ، 557/3.

[2]– ينظر: دراسات في اللسانيات التطبيقية، هايل محمد الطالب، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط1، 2017، 31.

[3]–ينظر: فقه اللغة وسر العربية، الثعالبي، ص291..

[4]–دراسات في اللسانيات التطبيقية، هايل محمد الطالب، ص46.

[5]–وشمل أيضا ألفاظ الكناية عن المواقف التي يتجنب المجتمع آنذاك ذكرها، وقد جاء القرآن ما يهذب تلك الأساليب يقول **سبحانه و تعالى:** ﴿ ۝ **هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ** ۝﴾ **(البقرة/187)**. واللسانيات التطبيقية المعاصرة من المنظور ذاته تدرس هذه المقاصد وعلاقتها بالمجتمع وهي كثيرة.

جـ-البيان والتصريف:

وللجاحظ نظرة نحسبها مستمدة من أسس البيان القرآني؛ وذلك حينما أعطى نظرة كلية وشاملة لمفهوم البيان وعلاقته بالنفس والمجتمع؛ وذلك في سياق حديثه عن ضرورة البيان للاجتماع وضرورة الاجتماع للبيان، وأصناف المخلوقات من إنسان ونبات وجماد" ووجدنا كون العالم بما فيه حكمة ووجدنا الحكمة على ضربين: شيء جعل حكمة وهو لا يعقل الحكمة، ولا عاقبة الحكمة وشيء جعل حكمة وهو يعقل الحكمة وعاقبة الحكمة.فاستوى بذلك العاقل وغير العاقل من جهة الدلالة، على أنه حكمة؛ واختلفا من جهة أن أحدهما دليل لا يستدل والآخر دليل يستدل، فكل مستدل دليل وليس كل مستدل دليلا، فشارك كل حيوان سوى الإنسان واجتمع للإنسان أن كان دليلا مستدلا، ثم جعل للمستدل سبب يدلّ به على وجوه ما نتج له الاستدلال، وسمو ذلك **بيانا**"[1].

" فالحق سبحانه وتعالى أعطانا العقل، ولكنه أبقى لبعض منا ولغير العاقل ما لا يستطيع أغلبنا أن يصل إليه، وأصبح الكلب الذي هو حيوان بهيم أعجم يستدل على أشياء لا نستطيع نحن أن نستدل عليها، لأنه لا يزال في عالم الحس فقط، بينما الإنسان أخذ جانبا من الحس وجانبا من العقل"[2].

فالفرق بين بيان الإنسان وبيان الحيوان والجماد هو العقل، لأنه طريق الاستدلال ووجه من وجوه النظر والتدبر والتأمل؛ ونرى الجاحظ يبين لنا شأن ملكة العقل وهي عمل الفكر في المادة؛ وهذه من أهم الأسس النفسية التي هي ملكة عند الإنسان.

---

[1]-الحيوان، الجاحظ، 33/1.

[2]-تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، أخبار اليوم، قطاع الثقافة والكتب، 06 أكتوبر، دط، دت، **ص689، الآية قوله تعالى:** ﴿ ﴿٤﴾وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَالسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَالأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ "﴾ **(البقرة/164).**

ثم نراه يبن لنا دون أن يهمل تفصيل غاية هذه الحكمة والملكات النفسية؛ يقول" وجعل **البيان** الدليل الذي لا يستدل تمكنه المستدل من نفسه واقتياده كل من فكر فيه إلى معرفة ما استخرن من البرهان، وحشي من الدلالة، وأودع من عجيب الحكمة"[1].

ويعدُّ طرحه من أدق ما تعرضه لنا الأبحاث المعاصرة حول الحوار والعلاقة بين الإنسان والموجودات[2] وسبل تحصيله للمعرفة لأنه ليس منفصلا عنها.

د-حاجات التحصيل :

ثم يقول في حاجات التحصيل عند الإنسان معرفة وبيانا ولسانا " ثم تعبد الإنسان بالتفكر فيها والنظر في أمورها، والاعتبار بما يرى، ووصل بين عقولهم وبين معرفة تلك الحكم الشريفة، وتلك الحاجات اللازمة، بالنظر والتفكير والتنقيب، والتنقير، والتثبت والتوقف ووصل بين معارفهم بمواقع حاجاتهم إليها، وتشاعرهم[3] بمواضع الحكم فيها **بالبيان**".[4]

وهذا **البيان** هو سبب الاجتماع بين الناس وتعارفهم وتواصلهم.

فدليل الإنسان عود على بدء إلى هذا البيان هو العقل ذو التفكر في خصائص هذا البيان في الحيوان والنبات والجماد، ويحيلنا إلى مبدأ خطير وهو " البرهان"؛ الذي يستنتجه صاحب العقل من الدلائل البيانية التي تتراءى للإنسان، وباستعمال الآلات كما يصطلح عليها أو المرافق أو الحواس التي وهبها الله سبحانه وتعالى له؛ يصل إلى معارف شتى انطلاقا من التدبر والتفكر والتأمل والاستدلال[5]؛ وهنا لا يصير الكون عبثا ومصادفة بقدر ما

---

[1]-الحيوان، الجاحظ، 33/1.

[2]- يراجع برؤية اجتماعية لغوية معاصرة : سوسيولوجيا اللغة لدى الجاحظ، البيان والتبيين نموذجا، أحمد مداني، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، ع: 18، جوان 2017، ضمن الصفحات: ص77-85.

[3]-هكذا جاءت لفظة(تشاعرهم) في نص تحقيق عبد السلام هارون لكتاب الحيوان، ويبدو مدلولها في سياق الكلام قريب إلى قول الشعر.

[4]-الحيوان، الجاحظ، 44/1.

[5]-للنظر في الفروق بين هذه الكلمات؛ يراجع: الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، ص75-84؛ وقد عمل على قراءة الجاحظ قراءة جيدة.

هو أساس نظر القلب وتدبره للأشياء المعنوية والحسية المادية؛ فالمعنوية مثل الرحمة، والسياسة، والمادية من بيع وشراء، وربح أو غيره من المتاع والحاجات النفسية.

وعليه فإنَّ أساس التحصيل وما يجاوره من مفاهيم تدرج في التعلم والاكتساب عند الجاحظ يتعلق بهذا الأساس الديني؛ وهو ما لاحظناه في استعماله مصطلح الاكتساب للنفس والمنشأ للسان[1].

يقول الجاحظ عن المنشأ" وإنما تهيأ وأمكن الحاكية بجميع مخارج الأمم لما أعطى الله الإنسان من الاستطاعة والتمكن، وحين فضله على جميع الحيوان بالمنطق والعقل والاستطاعة فبطول استعمال التكلف ذلَّت لذلك الجوارح ومتى ترك شمائله ولسانه على سجيتها كان مقصورا بعادة المنشأ على الشكل الذي لم يزل فيه"[2]؛ يظهر جليا رؤية الجاحظ للاستعمال القرآني لاكتساب النفس للعلوم والمنشأ للسان؛ وهو ما استعمله كذلك ابن خلدون في مقدمته؛ على أنه المصطلح المستعمل في اللسانيات الحديثة والتربويات والتعليميات؛ فمصطلح التعلم والاكتساب يكاد يقتربان في المفهوم؛ وتوظيفه في مجال تعليمية اللغات قد يترتب عليه نتائج لعل من بينها: العلاقة بين الفكر واللغة؛ وبين الصوت والعلوم والإدراك؛ وعلاقة النفس باللغة؛ وهو ما يبحث حاليا في بيان سريان النحو في السيالة العصبية؛ أو تشكل الكلمات في الدماغ؛ وكذلك التفكير الذهني

وهنا نقطة مهمة في خصائص النفس البشرية أشار إليها عند الحديث عن طريقتين للتحصيل والتعلم وهما:

---

[1]–ينظر: وقضايا ألسنية تطبيقية دراسات لغوية نفسية مع مقارنة تراثية، ميشال زكريا، دار العلم للملايين، بيروت–لبنان، ط1، 1993، الفصل الرابع حول نظريات الاكتساب اللغوي التي نلخصها في ثلاثة مصطلحات هي: السلوك والعقل، والمعرفة، أي اعتبار اللغة سلوكا مع النظرية السلوكية، واعتبار اللغة عقلا مع النظرية العقلية، واعتبار اللغة معرفة مع النظرية المعرفية التي درست مجمل أنشطة الإنسان في التحصيل والتعلم مدمجة ذلك مع البيئة؛ والفصل الخامس حول تأصيل هذه النظريات في التراث العربي ويمكن أن نجمل القول فيه إلى أهم أعلامها وهم: الجاحظ، وعبد القاهر الجرجاني، وابن خلدون، ص71–111.

[2]– البيان والتبيين، الجاحظ، 53/1.

-الخبر القاهر(القرآن العظيم) على لسان سيد العالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

-عمل الفكر في البيان الكوني ودلائله ليصل إلى القضية نفسها في الخبر القاهر.

2-المظهر الاجتماعي للبيان عند الجاحظ :

مثل عادة الجاحظ وبطريقة تأملية؛ يوضح لنا خصائص البيان الذي هو وسيلة التفاهم بين البشر وبين غيرهم من الموجودات مثل الجماد والنبات والحيوان؛ وأبرز لنا أهم خصائص هذا الفهم وأبعاده التواصلية بل والأبعاد الفكرية والإدراكية، أو لنقل أسس التعلم: وفيما يلي ملخص ما قاله الجاحظ في هذا المقام[1]:

أ-البيان في الجماد:

-الجماد من: الأجرام والأجسام وأجناس البهائم وضروب السباع.

-سبل الإنسان لفهمها: يكون بالعقل الثاقب، اللطيف، والنظر التام النافذ، والأسباب الوافرة.

-الصبر على مكروه الفكر، والاحتراس من وجوه الخدع؛ والتحفظ من دواعي الهوى.

ب-البيان بين الناس :

-الصبي أفهم عن الصبي(بالألفة والنزوع).

-العالم أفهم عن العالم (أي المستوى العلمي) .

-الجاهل والجاهل.

-الإنسان عن الإنسان أفهم، ولطباعه آنس؛ ومنه **قال سبحانه وتعالى** ﴿ ۝٦ **وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ** ۝٩ ﴾ (**الأنعام/9**).

[1]-ينظر: الحيوان، الجاحظ، 1/44-46.

وتعقيبا لما هو ملخص أعلاه؛ نجد أن الجاحظ يوضح مسألة مهمة وهي سبل الفهم والإفهام، وتحصيل العلم والمعرفة، ولنوضح أكثر فإن مقابلة الصبي بالعالم يبدو أمرا غير مألوف؛ الأمر نفسه بالنسبة للعالم والجاهل؛ فما بالك بين لغة وأخرى، بين إنسان وحيوان؛ وللجاحظ كلام بخصوص هذا التعليل نقله عن الهند؛ يردّ الاختلاف في اللغة إلى الحاجات[1].

وعلى هذا أعطى الجاحظ شأنا معتبرا لوسائل البيان التي سوف نفصل فيها انطلاقا من النظرة الشاملة لديه لأن حديثه عن البيان ومفهومه ووسائله في كتاب البيان والتبيين يختلف نوعا ما عما نجده في الحيوان.

-أصناف البيان: حدّدها في خمسة أشياء: اللفظ-الإشارة-الخط-العقد-النصبة(هناك اختلاف في الترتيب بين ما أورده في الحيوان هنا وما أورده في كتاب البيان والتبيين).

ثالثا: اختلاف أداء البيان اللساني باختلاف قوى الإنسان

مما لا شك فيه أن الجاحظ في كتابه البيان والتبيين قد بيَّن مسألة مهمة يدور عليها الاستعمال المصطلحي ل" البيان والتبيين" وقد ميز بين ثلاث صفات للبيان؛ فالأول هو بيان القرآن العظيم وهو فوق طور البشر، من النظم والتركيب؛ ثم بلاغة سيد الوجود سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في كلامه؛ ثم ما تميز به الصحابة رضوان الله عليهم ويليهم فصحاء العرب من التابعين والشعراء وغيرهم.

وقد وضح نظرة أخرى في تكوين الملكة اللغوية وتحصيلها بحسب قوى الإنسان؛ وبين مصطلح الكفاية وعلاقة ذلك بإحاطة الأنبياء عليهم السلام باللغات؛ وهي من الإشكاليات الناتجة عن الدراسات المترجمة الآن في حقل الدارسات اللغوية، وانعكاس التداخل بين تلك

[1]-ينظر الفكرة في: الحيوان، الجاحظ، 22/4، وفي : 289/5-290.

المفاهيم، وعلاقة الملكة بالبيان والقدرة والاستطاعة والاستعداد والمهارة والأخلاق، وعلاقة كل ذلك بالكفاءة والكفاية والأداء.

يقول الجاحظ: "لأن الإنسان، وإن أضيف إلى الكمال وعرف بالبراعة، وعمر العلماء؛ فإنه لا يكمل أن يحيط علمه بكل ما في جناح بعوضة، أيام الدنيا، واستمد بقوة كل نظار حكيم، واستعار حفظ كل بحاث واع، وكل نقاب في البلاد، ودراسة للكتب"[1]، وهنا نلاحظ نقل مصطلح علم وكفاية في عصرنا إلى حقل الملكة اللغوية وتحصيلها؛ وللجاحظ قول طريف في وصف علاقة اللغة بالمكان ووصف العالم المتقن للشيء " ...ولذلك قالوا:" فلان ابن بجدتها"[2]أي كأنه نشأ بتلك الأرض.

يقول الجاحظ بأنَّ فراغ البال من أهم ما يجعل البيان سليما، وهو اجتماع قوى الإنسان فلا يكون ذلك إلا للأنبياء عليهم السلام؛ وفي حديثه عن العلوم الرياضية والحسابية وغيرها لفت الجاحظ إلى أنَّ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قد جمع الله له من القوة وفراغ البال من هذه العلوم لما هو متوجه للهداية والرسالة[3].

1-قوة البديهة والارتجال عند العرب :

وقد رأى الجاحظ في ما قلناه سابقا فيما يتعلق بالبديهة والارتجال عند العرب خصائصا للبيان العربي يقول :"وكل شيء للعرب إنما هو بديهة وارتجال، وكأنه إلهام، وليست هناك معاناة ولا مكابدة، ولا إجالة فكرة، ولا استعانة. وإنما هو أن يصرف وَهْمُه إلى الكلام، وإلى رجز يوم الخصام، أو حين يمتح على رأس بئر، أو يحدو ببعير، أو عند المقارعة والمناقلة، أو عند صراع أو عند حرب...فتأتيه المعاني أرسالا، وتنثال الألفاظ عليه انثيالا، ثم لا يقيده على نفسه ولا يدرسه أحدا من ولده. وكانوا أميين لا يكتبون، ومطبوعين

[1]- الحيوان، الجاحظ، 5/ 200.

[2]- البيان والتبيين، الجاحظ، تح: عبد السلام هارون،3/ 294.

[3]-ينظر: البيان والتبيين، الجاحظ، تح : عبد السلام هارون، 4/32-33.

لا يتكلفون، ...."[1]، وكلامه يشرح نفسه، فقد فصل لنا الخصائص المتعلقة بالأداء البياني، وصوره ومجالاته، وشروطه.

2-صفة بلاغة سيد الوجود محمد صلى الله عليه وسلم:

يقول الجاحظ في أبلغ ما انتهى إليه في وصف كلام سول الله صلى الله عليه وسلم"فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة، وشيد بالتأييد: ويسر بالتوفيق. وهذا الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام، ومع استغنائه عن إعادته: وقلة حاجة السامع إلى معاودته..."[2].

3-الإيجاز ودرجات التلقي :

واستكمالا للأفكار السابقة فإنَّ الجاحظ يذكر لنا خاصية أخرى في فهم الكلام، وتحصيله، بما يبين غايته ووسائله واختلاف أوجه الناس في تلقيه:

"...وليس بإطالة ما لم يجاوز مقدار الحاجة، ووقف عند منتهى البغية، وإنما الألفاظ على أقدار المعاني، فكثيرها لكثيرها، وقليلها لقليلها، وشريفها لشريفها، وسخيفها لسخيفها.والمعاني المفردة **البائنة** بصورها وجهاتها، تحتاج من الألفاظ إلى أقل مما تحتاج إليه المعاني المشتركة والجهات الملتبسة..."[3].

ويمكن أن نقسم هذا التعريف بحسب أوجه الكلام وطبائع النفس إلى:

أ-عامة اللغات والنفوس : تحتاج إلى المعاني المفردة البائنة بصورها وألفاظها، وتميل إلى الموجز دون الطويل، ولو كان ذا فائدة، وهذه صفات البيان العربي.

---

[1]-البيان والتبيين، الجاحظ، تح: درويش جويدي، 3/425-426، وكلمة(أرسالا) تعني أفواجا، و(يمتح) في مادة البيان العربي؛ من متح الماء أي نزعه، ومتح الدلو وبها أي استخرجها، أما كلمة(انثال) فهي من نثل وانتثل البئر أي استخرج ترابها.

[2]-البيان والتبيين، الجاحظ، تح: جويدي، 2/244-255.

[3]-الحيوان، الجاحظ، 8/6.

ب-الكلام الذي يضم المعاني الملتبسة، والجهات الملتبسة يكون لأصحاب ذوي الاستنباط؛ لذلك أعطى مثالا عن كتب المنطق التي تحتاج التفسير لمن طلب المنطق.

جـ-والفكرة الأولى خاصة بطاقة اللغات التي هي بالمنشأ والفطرة، وقوى النفوس المستقبلة وهي على جبلتها[1].

4-صعوبات تعلم اللغات وحق الاجتهاد في اللغة :

أ-تعلم اللغة بين التحصيل والتنظير :

أفرد الجاحظ نصا دقيقا يصف الأحوال التي يكون عليها تعلم اللغات، والبراعة فيها" واللغات إنما تشتد وتعسر على المتكلم بها، على قدر جهله بأماكنها التي وضعت فيها، وعلى قدر كثرة العدد وقلته، وعلى قدر مخارجها، وخفتها وسلسها، وثقلها وتعقيدها في أنفسها... والجملة أن من أعون الأسباب على تعلم اللغة فرط الحاجة إلى ذلك.(وعلى قدر الضرورة إليها في المعاملة يكون البلوغ فيها، والتقصير عنها)."[2]

وهذا يشير إلى جملة من الفوائد العلمية والمعرفية، فالتنظير للغة أقل أن يكسب المتعلم اللغة، لأنَّ الأداء أعقد بكثير مما ننظره حولها، كما أن لانتفاء شروط البيان العربي مثلا التي تحدث عنها الجاحظ، مبرزا صرف أوهام العرب إلى إجادة الكلام وقوة البديهة، يبِّن هنا المعرفة اللغوية، فهي لا تنفك تنفصل عنها وذلك بضرورة القواعد والنحو لتحصيل الملكة اللغوية.

ب-جودة التحصيل :

كما يرى أنَّ هناك جوانب عديدة ومظاهر تكون فيها جودة تحصيل الملكة اللغوية، وهي الجانب التعاملي والاجتماعي من جهة، والجانب التعليمي والكتابة من جهة، ويبرز الجاحظ

[1]-ينظر: الحيوان، الجاحظ، 8/6.

[2]-الحيوان، الجاحظ، 290/5.

مستوى الحاجة في تفسيره **الآية قوله عز وجل**﴿ ۝٣١ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٣٢ ﴾ (**البقرة/ 31)**، ولا يجوز تعريف الأسماء بغير المعاني، –وقلت : ولولا حاجة الناس إلى المعاني، وإلى التعاون والترافد، لما احتاجوا إلى الأسماء،.(و)–على أنَّ المعاني تفضل الأسماء والحاجات تجوز مقادير السمات، وتفوت ذرع العلامات..."[1].

5–درجات العلم(والكفاية والإحاطة) :

يقول الجاحظ" وما أشك أن عند الوزراء، في ذلك ما ليس عند الرعية من العلماء، وعند الخلفاء ما ليس عند الوزراء، وعند الأنبياء ما ليس عند الخلفاء، وعند الملائكة ما ليس عند الأنبياء، والذي عند الله أكثر، والخلق عن بلوغه أعجز، وإنما علم الله كل طبقة من خلقه بمقدار احتمال فطرهم، ومقدار مصلحتهم."[2].

ويعلل ذلك بأن " الإنسان وإن أضيف إلى الكمال وعرف بالبراعة، وغمر العلماء؛ فإنه لا يكمل أن يحيط علمه بكل ما في جناح بعوضة، أيام الدنيا، واستمد قوة كل نظار حكيم واستعار حفظ كل بحاث واع وكل نقاب في البلاد، ودراسة للكتب"[3] .

لقد استطاع الجاحظ أن يوظف مفهوم البيان في شرح الأسس الفطرية للتحصيل، والأسس النفسية والاجتماعية، وقد وصف العرب بأنهم أمة بيان، وذكره خصائصه، مركزا على البديهة والارتجال عند العرب، وعلى صفة الإيجاز التي تعدُّ أكبر محور في وصف

---

[1]–الحيوان، الجاحظ، 201/5–202.

[2]–الحيوان، الجاحظ، 201/5، وفي شرحه للآية : قال عن سيدنا آدم عليه السلام في الآية الكريمة: ﴿ ۝٣١ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٣٢ ﴾

(البقرة/31)، علم مصلحته في دنياه وآخرته، ثم أعقب ذلك مجموعة من الآيات تتحدث عن قدرة الله تعالى وتمكنه على خلقه.

[3]–الحيوان، الجاحظ، 200/5.

الملكات عند الإنسان بعامة، والملكة اللغوية بصفة خاصة، كما لفت إلى دور الحاجة في تحصيل اللغة، على أن التنظير للغات وتحصيلها يبعدها أكثر عن طبيعتها وهذا ما لاحظناه في محور الإيجاز وخصائصه.

المبحث الثاني : مبادئ التحصيل في ضوء تعريف البيان عند الجاحظ

أولا–مفهوم البيان :

هذا المبحث تفصيل لفكرة الجاحظ حول البيان العربي، سوف نبين من خلاله تحليلا لغويا ولسانيا أقسام تعريف مصطلح (البيان)، وفيه سوف نبرز بحول الله تعالى درجاته وخصائصه وغايته، وهذا كله لنميز نظرة علمائنا للملكات عند الإنسان ومبادئ إحيائها، بما يقدم من أسس ومبادئ تحصيلية عامة كالخبر والذكر والاستعمال، وأخرى خاصة؛ أهمها فهم الكلام وفصاحته، وما يطرأ عليه من العجمة في حال الملكة اللغوية الثانية، إضافة إلى فكرة الجاحظ حول اضطرابات البيان، ومصادر وصفه، وطرائق معالجته.

يعدُّ كتاب البيان والتبيين آخر ما ألف الجاحظ وجمع فيه كلَّ أفكاره ومباحثه؛ ويضمُّ هذا الكتاب جملة من المعارف تجمع طائفة من أنواع الخطب المشهورة عند العرب والفصحاء.

كما علَّق معظم العلماء والمحققين والباحثين؛ فسمُّوه دائرة معارف في البلاغة والفصاحة واللسن والعارضة [1]؛ ولذلك سوف نبين من خلال تعريفه للبيان والتبيين أهم أسس ومبادئ تحصيل الملكة اللغوية في صيغتها المعرفية وحدودها النفسية والصناعية.

1–أقسام التعريف:

يمكن أن نقسم التعريف إلى أقسام بحسب ما يأتي عليه الجاحظ في ذكر أهم المفاهيم والخصائص والوسائل المتعلقة بالبيان والتبيين :

أ–خصائص المعاني في النفس البشرية :

" قال بعض جهابذة الألفاظ ونقاد المعاني : المعاني القائمة في صدور العباد، المتصورة في أذهانهم، المتخلَّجة[2] في نفوسهم، المتصلة بخواطرهم، والحادثة عن فكرهم مستورة خفية

---

[1]–ينظر: الجاحظ دائرة معارف، فوزي عطوي، ص27.

[2]–جاءت هذه الكلمة في الطبعتين اللتين اعتمدنا عليهما، من تحقيق عبد السلام هارون ودرويش جويدي، لكتاب البيان والتبيين، وتعني كلمة(المتخلَّجة) المتحركة.

وبعيدة وحشية ومحجوبة مكنونة وموجودة في معنى معدومة لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه، ولا حاجة أخيه وخليطه، ولا معنى شريكه والمعاون له على أموره وعلى ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره"[1].

ويصف الجاحظ بدقة حصول المعاني في النفس ويمكن أن نتبين في تلك المصطلحات وشرحها، ما يقيم علاقة ترتيبية دقيقة ثم نرى فيما بعد علاقتها بالملكة اللغوية .

-صدور العباد: وعاء الملكات.

-متصورة في الذهن: صور المعاني من المحسوسات وغيرها في الذهن، وله عمليات معقدة سنتناولها في جزء ابن خلدون بحول الله تعالى.

-متخلجة في نفوسهم: الإحساس.

-المتصلة بخواطرهم :

-الحادثة عن فكرهم : والتحصيل من هذا القبيل حركة الفكر نحو الموجودات والمنظور فيها؛ ويكون من النظر في القلب والصدر ويشملهم التدبر.[2]

فاللغة بالمنظور الحديث للاكتساب والتعلم تتحدد ضمن سؤالين مهمين هما: اللغة إما عادات وإما نظام من القواعد يتشربها الإنسان، وهذه أسئلة ناتجة عن تاريخ تطور الأفكار

[1]-البيان والتبيين، الجاحظ، تح: درويش جويدي، ج1، ص56، سوف نعتمد بحول الله تعالى على تحقيق درويش جويدي فيما يخص البيان، على أننا لم نجد اختلافا كبيرا بينه وبين تحقيق عبد السلام هارون.

[2]-لمزيد من التفصيل ينظر كلا من: الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ص84، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، الفيومي، ص612.

في النظر إلى ماهية اللغة، وعلاقة اللغة بالعقل، أو فيما يسمى في البلاغة علاقة اللفظ بالمعنى أو الروح باللفظ[1].

وإذا نظرنا إلى هذا الترتيب وجدناه برهانيا منطقيا؛ ومعرفيا بحيث قدم ما يحصل في النفس انطلاقا من هذه الأوصاف؛ إلا أننا إذا رتبناها وجدناها من آخرها إلى أولها وهي المعاني القائمة في الصدور.

2-أثر الحواس والاستعمال في إظهار هذه الملكات :

يقول الجاحظ" إنَّما تحيا تلك العاني في ذكرهم لها وإخبارهم عنها واستعمالهم إياها"[2]، فلنا هنا صورة دقيقة عن أثر الذكر والخبر والاستعمال في حياة هذه المعاني؛ وكأنَّها ولدت من جديد؛ وعلى حد تقريبنا يمكن أن نستخلص أسس التحصيل والتعليم التالية :

أ-**الذكر**: هو زيادة الرسوخ لهذه المعاني والحالات والهيئات النفسية والأفعال، بما فيها النطق والكلام.

ب-**الإخبار**: يتعلق بالعلم والمعلومات؛ وله في كتابه الحيوان بيان تفصيل عن أصول الأخبار والعمران، البشري، واحتياج الناس لوسائل الخبر والبيان لاحتياجهم إلى الاجتماع[3].

من هنا نفهم بوضوح الشأن الكبير الذي يعطيه الجاحظ للخبر اللساني، وقد ميز الخبر القرآني وسماه بالقاهر؛ واستبعد أن يترجم القرآني لأسباب عديدة منها مميزات الخبر، وما يقع له من خصائص مستمدة من اللسان ذاته.

---

[1]- وكذلك: أسس تعلم اللغة وتعليمها، براون دوجلاس، تر: عبده الراجحي، وعلي شعبان، دار النهضة العربية، بيروت، 1994، ص27.

[2]-البيان والتبيين، الجاحظ، تح : درويش جويدي، 56/1.

[3]-ينظر: الحيوان، الجاحظ، 44/1، وسوف نتحدث إن شاء الله بدقة عن موضوع تداخل اللغات في المسألة المتعلقة بالترجمة وسماها الجاحظ .(الضيم).

جـ-الاستعمال : وفيه يشير الجاحظ إلى علاقة المعاني بضروب الحياة، ومنها الزمان والمكان، وجميع شؤونها من صناعة ومهنة وعلوم؛ وقد عبر بأسلوب دقيق عن تعمير الإنسان ومبادئه التي من أهمها: القوام والتسخير، والإمتاع وزيادة الآلة[1].

وله كلام يشرح فيه خروج هذه الملكات (القوى) من الحركة إلى السكون؛ يقول الجاحظ **عن طبيعة الملكات** "قد زعم كل أناس أن كل إنسان فيه آلة لمرفق من المرافق، وأداة لمنفعة من المنافع، ولا بد لتلك الطبيعة من حركة وإن أبطأت ولا بد لذلك الكامن من ظهور؛ فإن أمكنه ذلك بعثه، وإلا سرى له كما يسري السم في البدن،و(نمى) كما ينمو العرق؛ كما أن البذور البرية، والحبة الوحشية الكامنة في أرحام الأرضين، لا بد لها من زمان الحركة، وما التفتق والانتشار في إبَّان الانتشار وإذا صارت الأمطار لتلك الأرحام كالنطفة، وكان بعض الأرض كالأم الغاذية..."[2].

وعليه يتبين لنا أن المنفعة الحاصلة تكون بآلات المعرفة عند الإنسان؛ وهو هنا يتحدث عن ملكات الإنسان بوجه عام؛ يبين لنا مفهوما دقيقا يفصّل البيان الذي هو الظهور من الكمون[3] ومن القوة إلى الفعل عبر الحركة والأسباب والزمان؛ نجد صنيع هذه الفكرة عند ابن خلدون؛ فهو يجعل ملكات الإنسان كلها من القوة إلى الفعل؛ مثل ملكة اللسان، إلا أن الفارق بين النظر إلى اللغة قديما وحديثا يختلف نوعا ما، فقد كان لأسئلة تشومسكي الجوهرية المعروفة حول طبيعة المعرفة اللغوية التي تصب في الإنتاج والإدراك ضمن طبيعة الملكة اللغوية وكيفية استخدامها أثر بالغ في مسار البحث عن اللغة في الدماغ عند اللسانيين من بعده.

---

[1]-البيان والتبيين، الجاحظ، 56/1.

[2]-الحيوان، الجاحظ، تح : عبد السلام هارون، 1/ 202، وسياق كلام الجاحظ يظهر مقابلة الصورة بين ظهور الملكات وقوتها وصورة انتشار النبات في الأرض وبين صورة النمو عند الإنسان كذلك.

[3]- ينظر: اللغة والدماغ، كاثرين بايلز، تر: عبد الرحمن طعمة، مجلة فصول، مجلد-25، 2017، ، ص5.

وفي حديث آخر يعرض في أسباب هذا الخروج والإبداع والأداء، بالتركيز على الدافع والغايات من التعلم والتحصيل، يقول:"...ولذلك صار الحساب أخف على بعضهم؛ وطلب الطبّ أحب إلى بعضهم. وكان النزاع إلى الهندسة، وشغف أهل النجوم بالنجوم. وكذلك أيضا ربما تحرك بعد الكبرة، وصرف رغبته إليه بعد الكهولة، على قدر قوة ذلك العرق في بدنه، وعلى قدر الشواغل له وما يعترض عليه...وتجد حرصهم على قدر العلل الباطنة المحركة لهم ثم لا تدري كيف عرض لهذا هذا السبب دون الآخر بجملة من القول، ولا تجد المختار لبعض هذه الصناعات على بعض يعلم لم اختار ذلك في جملة ولا تفسير، إذ كان لم يجر منه على عرق، ولا اختاره على إرث"[1] .

والمعروف أن الغايات تسبق الوسائل؛ وهو بذلك يحاول أن يبحث عن الاستعدادات الباطنية للإنسان؛ وقدرته على ركوب تلك العلوم والمعارف.

فطبيعة الملكات بما فيها ملكة اللغة أو الكلام في نظر الجاحظ؛ هي **خروج من قوة إلى فعل**؛ والحال أن اللغة كغيرها من العلوم والمعارف التي يحصلها الإنسان؛ وهذه مسألة مهمة تبين لنا جزءا من إشكالية تحصيل المعارف عند الإنسان والطرائق الموصلة إلى ذلك؛ والآن يحاول العلم أن يكتشف الطبيعة البيولوجية في كيفية عمل هذه الملكات في الإنسان؛ وتأثرها وعلاقتها باللغة ؛ إلا أنها تبقى مقاييس بيولوجية لا نعلم منها إلا الرغبة والدافع والموهبة مما يذكره الجاحظ هنا؛ وكأن هذه القوى مجهولة الأسباب[2]؛ إلا ما ظهر منها مثل الحساب والطب والكلام وغيره :

- **القوة.**
- **الظهور.**
- **الدوافع والرغبات.**

[1]–الحيوان، الجاحظ، 202/1.

[2]–على أن المبدأ القريب عنده هو سكون النفس وحركتها.

- **الزمن والمكان.**

في مقابل نظرة الجاحظ؛ نجد من المعاصرين من اهتم بالطبيعة البيولوجية للملكة اللغوية وفي بعدها المجهول النفسي والوراثي العصبي؛ لانقاكر بفكرة مهمة تتمحور حول مبدأ الطبيعية" أي لا وجود لفصل بين الإعراب والمعجم والصرف فكل منهم يدركه الذهن مرة واحدة بصورة متوازية" [1]؛ إذ إنَّ الطبيعية ستقرب نموذج النظرية من الظاهرة اللغوية المعقدة أكثر، وليست مجرد بناء نظري ليس على صلة بالواقع ومستويات الإدراك، أو تجربة الإنسان الآنية.

ولا قوالب تملؤها التجارب الفردية، إذ يؤكد على خاصية أخرى في عمل هذه الملكة اللغوية وهي خاصية الاسترسال، ليبيّن الطبيعة الخاصة لأنظمة الإدراك التي يتميز بها البشر.وتعني اللغة عند لانقاكر أنَّها مسترسل من الأبنية الرمزية، وكل الوحدات اللغوية ما كان معجما أو صرفا أو تركيبا وحدات رمزية تربط بين قطب دلالي وفونولوجي لا فصل بينهما[2]. والنحو عند لانكاقر" ليس توليديا ولا بنائيا وليس عددا من الخوارزميات تعطي من دخل ما خرجا هو عدد من الأقوال المقبولة "[3] .

إنَّ الأساس المعرفي في الطبيعة البيولوجية للملكة اللغوية عند المعرفيين وجوهر فكرته يتمثل في أنَّ أنظمة المعرفة البشرية على علاقة تفاعل مع أنظمة الملكة اللغوية، وأساسها جسدنة العقل أو الذهن البشري ، تتشكل اللغة بالأساس من إدراك مقولات الجسد، والفضاء، والزمان، والمكان، وأنظمة الثقافة والأنثروبولوجيا؛ مثل الحركات، والألوان، والموسيقى وما إلى ذلك.

[1]- نظريات لسانية عرفنية، الأزهر الزناد، الدار العربية للعلوم، دار محمد علي للنشر، ومنشورات الاختلاف، دط، ص99.

[2]- مدخل إلى النحو العرفاني، عبد الجبار بن غريبة، دار ميسكلياني، زغوان، تونس، ط1، 2010، ص36-45.

[3]- نظريات لسانية عرفنية، الأزهر الزناد، ص115

3-أثر الذكر والإخبار في تقريب المعنى للفهم والعقل :

أ-اللغة والذات الإنسانية:

إن كون اللغة هوية هي ارتباطها بالذات الإنسانية، والإنسان لا يعيش بمفرده وسمي بذلك نسبة للأنس[1] وهذا من أرجح التفاسير على معناها؛ كما أن هناك أبعاد أخرى لهذه الملكة والهوية، فهي جزء من الماضي، وهو -أي الإنسان-في تكوينه له من الملكات الداخلية والنفسية المتعددة، مثل الفهم والتفكر والنظر والتدبر والتذكر وغيرها؛ من العمليات العقلية المجردة، التي لا ينفك الإنسان يستعملها في حياته اليومية وفي جميع شؤونه باختلافها؛ ولكثرة تعقيدها سواء ما بينه وبين أقرانه أو ما يسمعه ويحكيه أو ما يتذكره فهو دائم محتاج لأن يفهم ويبن ما في عقله.لذلك فإن الجاحظ ركز على أهم ما يربط هذه الأمور جميعا، وجعلها في الذكر والإخبار والاستعمال، التي توضح ما خفي من المشاهد الغيبية والحاضرة ؛ والبعيدة والقريبة، وهي في الحقيقة ثنائيات للمتكلم والمستمع، فيما يسمع أو يبصر، أو يتحرك فهو يحصل هذه الملكات بهذه الخصال.

ب-صور المعاني في الذهن ووسائل بيانها:

ثم يقول " وهي تلخص الملتبس وتحلّ المنعقد وتجعل المهمل مقيدا والمقيد مطلقا والمجهول معروفا والوحشي مألوفا والغفل موسوما والموسوم معلوما وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة وحسن الاختصار ودقة المدخل يكون إظهار المعنى".[2]

المتمعن في كلام الجاحظ هو المتلقي الذي يقرأ باطن هذه الألفاظ الدقيقة؛ فأسلوبه برهاني عقلي يبدو في ترتيبه للمقدمات وصولا إلى النتائج، وعليه فإننا نفهم عنه أنَّ العقل يطلب دليلا في الأمور الخفية والمجردة، وحسب الجاحظ فإنَّ طلب الحقيقة يكون بالخبر القاهر(الوحي)، ويكون بطلب الدلائل على الحقائق المخفية، وما دام المقام هنا" المعاني"،

[1]-ينظر: الحيوان، الجاحظ، 45/1.

[2]-البيان والتبيين، الجاحظ، 56/1.

فإن السامع وهو يستمع للمتكلم إن كان حاضرا؛ أو يقرأ له إن كان كتابا إنَّما يعرض له في كلامه الذي سمعه أو قرأه بحواسه وأدركه بعقله وفهمه؛ جميع ما ذكره الجاحظ حول" الذكر" ، و"الإخبار"،والاستعمال"، وبعبارة أخرى نعدُّ هذا الطرح شرحا لعملية الإبداع، والفنِّ بعامة، نظرا لما قدمه من أوصاف دقيقة لصور المعاني في الذهن.

والفكرة الأخيرة هي التي تؤسس له التداولية في اللسانيات المعاصرة" التي تبحث عن استعمال اللغة في مواقف الحياة ضمن مجال الخطاب والتواصل[1]؛ على أنَّ طرح الجاحظ يبدو، أعمق وذلك من خلال ذكر الخبر وخصائصه، والدلائل الكونية، ولا ينحصر الأمر في اللغة وبيانها، لأنها تبقى جزءا من تعقيد هذا الاستعمال أو التعمير بمصطلح الجاحظ.

إنَّ أوَّل من وضع المقابل العربي للمصطلح الأجنبي:" Pragmatique" الباحث المغربي المفكر " طه عبد الرحمن" حيث يقول:" قد وقع اختيارنا منذ 1970م، على مصطلح " **التداوليات**" مقابلا للمصطلح الغربي "براغماتيكا"[2].

فالدلالة الاصطلاحية ل: التداولية أو التداوليات أو البراغماتية أو الوظيفية أو السياقية هي:" دوال متواترة في اللغة العربية في مقابل كلمة" Pragmatique" اليونانية المشتقة من "Pragma" وتعني الحركة والفعل" Action"، بيد أنَّ مصطلح التداولية، يظلُّ أكثر استعمالا وشيوعا بين الباحثين"[3]؛ على أنّ الجاحظ اختار مصطلح(استعمال) الذي يدل على الزمان والمكان، وعلى أحوال الإنسان وصوره الذهنية؛ والأفعال التي يعتبر فيها ويقوم بها.

---

[1]–والتداولية فرع من علم السيمياء التي تدرس ماهية العلامات في المجتمع ودلالاتها وأغراضها؛ وبالنسبة للمتكلم واللغة فهي تدرس مقاصد العقل والفرد ضمن مجال أفعال اللغة. وفي هذا المقام يعطينا الجاحظ ثلاث صور تتعلق بالمتكلم واللغة والمخاطب أو المجتمع ككل؛ ويضيف عنصرا آخر وهو الضمير؛ أو الغيب الذي لا يتواجد في نظرية السيمياء أو التداولية؛ لأن النظريات هي نتيجة خلفية معرفية ومنهجية معينة؛ ترجع في تبنيها الأفكار والرؤى حول أي ظاهرة مهما كانت معنوية أو علمية.

[2]– ينظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، ص28.

[3]– ينظر: التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، دار كنوز المعرفة،ط1، 2016، ص13.

وأوَّل ظهور للتداولية كان مع السيميائي شارل موريس الذي أشار إلى" أنَّ دراسة السيميوزيس أو صيرورة التدليل" Simossis" لها ثلاثة مستويات هي: التركيب والدلالة والتداولية وأوضح أنَّ هذه الأخيرة تبحث في العلاقة بين العلامات ومؤوليها"[1]، وتنهض التداولية بمعيَّة الخطاب فهي تستقطب" اهتمام نظريات الخطاب والتأويل لانشغالها بالبحث عن قوانين ضبط شروط الاستعمال اللغوي في المقامات المتنوعة وإيجاد آليات تحليل الخطاب وفهم مقاصد المتكلمين، فالتعبير الأوسع للتداولية هو أنَّها دراسة الفعل الإنساني القصديّ"[2].

ويختص التعريف بمجال التخاطب والتواصل في كون التداولية" تعنى بدراسة المعنى كما يُعبَّر عنه المتكلم أو (الكاتب) ويؤوّله المستمع أو القارئ"[3].

وفي محراب هذا التفاعل والتداول تبني العلاقة فيما نعتقد على حضور الذوات المشاركة في الخطاب، فحضور الضمير" أنا" و "أنت" هو المفعّل الحقيقيّ لمعرفة الظرف السياقيّ الماديّ لذلك الحدث الخطابي؛ لكن لو قابلناه بمصطلحات الجاحظ وربطه الاستعمال بالخبر والذكر لألفيناه يبين لنا ابعادا أخرى تتعلق بنظ المعرفة في مفهومها الشامل؛ أي طرائق المعرفة من الوحي(الخبر والنقل)، وتنبه الملكات بالذكر والاستعمال الذي يجلي خصائص هذه المعاني للعقل البشري.

و مع ذلك فإن الجاحظ دائما يشير إلى ذلك الشيء المخفي الذي سماه(الضمير)، في اللغة والخطاب والكون؛ وبتعبير معاصر يسعى المخاطَب أو (القارئ) لإرجاع غرابة المعنى من الخطاب إلى مستوى يلائم الأعراف اللغوية السائدة وهذا ما يبرّر حضور التأويل[4].

---

[1]– التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، ص15.

[2]– الوظائف التداولية للتخاطب السياسي وأبعادها الحجاجية، نور الدين أجعيط، عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن، 2016، ص11.

[3]– التداولية (أصولها و اتجاهاتها)، جواد ختام، ص17.

[4]– ينظر: التلقي والتأويل(مقاربة نسقية) ، محمد مفتاح، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1994، ص218.

جـ-القرآن العظيم وتجلية المعاني:

وعليه فقد مهَّد الجاحظ بمقدمة يذكر فيها خصائص المعاني؛ ثم يبرز أسباب تحصيل هذه المعاني؛ مع درجات تمكن المتكلم من إبراز تلك الدلالات عن المعاني والمعارف والمعلومات؛ ليصل في الأخير إلى تعريف البيان الذي نطق به القرآن وتفاخرت به العرب، وتفاضلت به أصناف الأعجام.

ثانيا : وجه التحقيق في البيان

1-درجات البيان وخصائصه :

وفيها يقول الجاحظ" وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة وحسن الاختصار ودقة المدخل يكون إظهار المعنى، وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح وكانت الإشارة أبين وأنور، كان أنفع وأنجع، والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله تبارك وتعالى يمدحه ويدعو إليه ويحث عليه. وبذلك نطق القرآن. وبذلك تفاخرت العرب وتفاضلت أصناف الأعجام"[1].

وهذا لا يتعلق بمتكلم اللغة فقط؛ بل يتكلم عن نقطة أساسية في تحصيل الملكة اللغوية، بالنسبة للغة الأم، أو اللغة الثانية؛ وهي" **النجاعة والنفع**"؛ ونعني بذلك ما يشرحه ابن خلدون[2] حول المتمكن من الملكة اللغوية مبينا أن المتمكن من اللغة الأم إنَّما يصل إلى درجة الذوق البياني؛ وهنا يلتقي مع الجاحظ حول مسألة الفهم بل والفهم العالي للمعاني الخفية للكلام؛ وسماها الجاحظ بالإشارة الخفية التي لا يصل إليها إلا أهل **حسن البيان.**

[1]-البيان والتبيين، الجاحظ، 56/1.

[2]-يسميها ابن خلدون بملكة الذوق البياني، ويسميها الجرجاني بإدراك خصائص النظم وإعجازه ويسميها الجاحظ في هذا المقام ؛النجاعة والنفع والنور؛ والقرآن من حيث المعجزة دال ومدلول في الوقت نفسه؛ أي متحدة المنهج والمعجزة، يخاطب فيه ملكات النفس البشرية لأن خالقها هو الله، بما فيها الضمير الذي يقول عنه الجاحظ أنه لا يدرك إلا بالوسائل التي فصلنا فيها.

والقرآن جمع ما ذكره الجاحظ سابقا من خصائص البيان، لأنَّ الإنسان للإنسان غفل لا يصل إلى معنى صاحبه إلا ببيان اللسان؛ ولأنَّه مثلما يذكر" الإنسان عن الإنسان أفهم، وطباعه بطباعه أنس...**قال عزَّ وجلَّ لنبيه الكريم عليه الصلاة والسلام**﴿ ۝ **وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكاً لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ** ۝ ﴾ **(الأنعام /9)**[1]."

2-غاية البيان : الفهم والإفهام :

يتحدث الجاحظ في القسم الثاني من تعريف البيان إلى عدة مسائل تتعلق بأصناف الدلائل؛ وغاية البيان.

يقول الجاحظ"والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان ومن أي جنس كان ذلك الدليل. لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام فبأي شيء بلغت الأفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع"[2].

علاقة هذا التعريف بالتعريف الأول؛ هي علاقة الخاص بالعام؛ فهو يتدرج ليعطي لنا مفهوم البيان؛ ومتى كانت الغاية هي الفهم والإفهام من البيان؛ سواء البيان باللسان أو غير اللسان ؛ فإنه سيحيلنا إلى مستويات تختلف باختلاف وسائل البيان التي سوف يفصل فيها فيما بعد هذا التعريف.

والرابط بحسب فهمنا لهذا التعريف الذي يربط الدليل العام؛ والدليل اللساني مثلا؛ هو "**الضمير والحجب**"، وهنا يشير إلى مستوى من مستويات تحصيل الملكة اللغوية وما ينتج في أثناء الكلام من ترجمة للأفكار عما في الضمير.

[1]-الحيوان، الجاحظ، 45/1.

[2]-البيان والتبيين، الجاحظ، 56/1.

وهناك تعريفات عديدة لمفهوم الدليل؛ ويدرس الآن ضمن علوم الدلالة؛ ومن أهم ما يمكن أن نستخلصه وما يفيدنا هنا؛ أن كون العلم بالشيء يلزم عنه العلم بشيء آخر؛ فقدرة الدليل وعلاقته بالذهن تتعلق بانتقاله مما سمع إلى معان أخرى؛ ثم ما ترتبط به هذه المعاني من علاقات تتعلق بالذكريات والأحوال الماضية وغيرها وهو ميدان خصب للعلوم النفسية وعلم نفس الملكات كذلك؛ أما ميدان علوم المعرفة اللسانية؛ فإنها تدرس تلك الملكات وعلاقتها بالتحصيل والاكتساب عند الإنسان، وسوف نشير إليه في موضع الحديث عند ابن خلدون[1].

3-الفهم و والفصاحة والعجمة :

يقول الجاحظ" والفصيح هو الإنسان، والأعجم كل ذي صوت لا يفهم إرادته، إلا ما كان من جنسه.ولعمري نفهم عن الفرس والحمار والكلب والسنور والبعير كثيرا من إرادته وحوائجه وقصوده"[2].

أ-الفصاحة واللغة:

وفيما يتعلق بالملكة اللغوية وعلاقتها بهذا الدليل الذي من خصائصه أنه يكشف لك المستور؛ واللغات كما يفهمها الجاحظ هي تقطيع الأصوات في الهواء، ولا يفهم دلالات تلك الأصوات إلا صاحب اللسان نفسه.."والصوت هو آلة اللفظ وهو الجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف.ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلاَّ بظهور الصوت.ولا تكون الحروف كلاما إلاَّ بالتقطيع والتأليف"[3] .

[1]- ينظر: التعريفات، الشريف الجرجاني، ص 173، ومحاضرات في علم الدلالة، نصوص وتطبيقات، خليفة بوجادي، بيت الحكمة، العلمة-الجزائر، ط2، 2012، ص18-23.

[2]-الحيوان، الجاحظ، 32/1.

[3]-البيان والتبيين، الجاحظ، تح: جويدي، 58/1، وينظر: الحيوان، الجاحظ، 32/1.

ب-اختلاف اللغات:

ويشرح الجاحظ العلاقة بين الفهم والعجمة بكلام دقيق ينمُّ على دقة النظر؛ ووعيه بمسألة اللغات واختلافها يقول" والإنسان فصيح وإن عبر عن نفسه بالفارسية أو بالهندية أو بالرومية، وليس العربي أسوأ فهما بطمطمة الرومي(من الرومي) لبيان لسان العربي.فكل إنسان من هذا الوجه يقال له فصيح، فإذا قالوا فصيح وأعجم فهذا هو التأويل في قولهم أعجم، وإذا قالوا العرب والعجم ولم يلفظوا بفصيح وأعجم فليس المعنى الذي يريدون، إنما أنه لا يتكلم بالعربية وأن العرب لا تفهم عنه"[1].

جـ-تعلم اللغات بين الإلهام والاكتساب:

يعدّ الجانب العملي للغة أصلا من أصول اكتشاف طريقة لتحصيل الملكة اللغوية؛ استماعا وفهما وتحدثا وقراءة وكتابة؛ ويشير في موضع آخر حين تحدث عن أول من نطق العربية وهو سيدنا إسماعيل عليه السلام؛ يبرز موقفه بأن الله هو من قذف في روعه العربية وألهمه إياها؛ مستدلا بنطق يحي عليه السلام الحكمة وهو صبي؛ وكذلك نطق عيسى عليه السلام متكلما في المهد؛ بل ويلهم الله نملة سليمان عليه السلام؛ والهدد؛ والنحلة مما هو مذكور في القرآن الكريم .

و يعتبر أن تعليم اللغات يسير وفق :

- الترتيب ؛
- والتدريب؛
- والتعليم؛
- والتقويم؛

[1]-الحيوان، الجاحظ، 32/1.

وهذا مما يرى في تحصيل الملكة اللغوية عند الأفراد العاديين دون غيرهم من الأنبياء والرسل عليهم السلام؛ وقد فسّر الجاحظ الآية، انطلاقا من المفهوم السابق في ذكره **الآية قوله عز وجل﴿ ۞ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَّشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَّشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۞ ﴾ (إبراهيم/4)**[1].

ثالثا: اضطرابات الكلام ومستويات التحصيل انطلاقا من رؤية الجاحظ البيانية:

لاضطراب الكلام وعلاجه عند الجاحظ محاور منها [2]:

1-فكرة البيان الشاملة عنده:

وهي تتمحور في جزئيتين: هما البيان العام الشامل في الكون في جميع الأصناف، الجماد، والإنسان، والحيوان، والنبات(كتاب الحيوان)، ثم البيان الذي كان ميزة للعرب، وأساسا في أداء الكلام والملكة اللغوية(كتاب البيان والتبيين):

يقول عن النملة" والقرآن يدل على أن لها بيانا وقولا ومنطقا يفصل بين المعاني التي هي بسبيلها؟ ... قال رؤبة بن العجاج:

وَلَوْ كُنْتُ عُلِّمْتُ كَلَامَ الحُكْلِ عِلْمَ سُلَيْمَانَ كَلَامَ النَّمْلِ

قال : ويقال في لسانه حبسة: إذا كان في لسانه ثقل يمنعه من البيان. فإذا كان الثقل الذي في لسانه من قبل العجمة قيل في لسانه حكلة. والحكل من الحيوان كله ما لم يكن له صوت يستبان به باختلاف مخارجه، عند حرجه، وضجره، وطلبه وما يغدوه،..."[3].

---

[1]-ينظر: البيان والتبيين،الجاحظ، تح: جويدي، 557/3، وفيها تحدث عن أول من نطق بالعربية، للوقوف على أصول المسألة وتفاصيلها لك أن ترجع إلى: المزهر في علوم اللغة، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، شرح : محمد أحمد جاد المولى بك وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، دط، 1986،33/1-35.

[2]-ينظر: الحيوان، الجاحظ، 383/4-401.

[3]-ينظر الحيوان، الجاحظ، 21/4.

2-العلاج:

يتقدم العلاج ملاحظة الجاحظ [1] للحالات التي يكون عليها صاحب الصم والبكم عند الإنسان والنعامة؛ موازنا ذلك بين الحالات المذكورة في القرآن العظيم، وما لاحظه في الإنسان والحيوان؛ من ذلك:

***الشارد النافر:**

لا يوصف بالفهم: **قوله تعالى** ﴿ ۝٨١ إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ ٱلْمَوْتىٰ وَلاَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ۝٨٢ ﴾ **(النمل/80)**.

***عدم الرجوع وعدم العقل، والإدبار:**

قول الله تعالى: ﴿ ۝١٧٠:صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ ۝١٧١﴾ **(البقرة /171).**

* وهناك علاج بالدعاء في عقدة سيدنا موسى عليه السلام **وقال الله تعالى على لسان سيدنا موسى عليه السلام:** ﴿ ۝٢٥ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ۝٢٦ يَفْقَهُواْ قَوْلِى ۝٢٧ ﴾ **(طه/26-27)**، ومعجزات الله في يحي وعيسى وسيدنا إسماعيل عليه السلام في نطق العربية، وذكر علاج التدريب ممثلا ذلك بتخلص الخطيب واصل بن العطاء من حرف الراء، أو ما يسمى باللثغة في خطبة واحدة[2].

3-الشعر:

يستشهد الجاحظ كثيرا بأشعار العرب، في وصف حالات الأصم والأخرس، والوقر وغيره من الأمراض؛ من ذلك :

[1]-يكن الرجوع إلى النصوص وهي كثيرة في هذا المقام، في الحيوان، الجاحظ، 4/383-401.

[2]- ينظر: البيان والتبيين، الجاحظ، تح : جويدي، 1/16.

-المصمتة التي لا يسمع صوت صداها: مقابلها جوفاء[1] :

واستشهد بقول زهير :

لَيْتَنِي خُلِقْتُ لِلأَبَدِ صَخْرَة صَمَّاء فِي كَبد

لَا تَشْتَكِي شَرَّ جَارَتَهَا خُلِقَتْ غَلِيظَةَ الكَبد

-**الوقر**: ثقل الأذن مثاله صوت الوغى أي الحرب عندما ترتفع الأصوات[2]:

واستشهد ببيت جُمْل بنت جعفر:

وَحَتَّى تَرَوا وَسطَ البُيُوتِ مَـــغِيرة تُصِيبُكُمْ بِالضَّرْبِ حَاشِيَةَ الذُّعْرِ

تَبِينُ لِذِي الشَّكِّ الذِّي لَمْ يَكُنْ دَرَى وَيُبْصِرُهَا الْأَعْمَى وَذُو الوَقر

وهذه الحالات تنبئ عن دقة الملاحظة عند الجاحظ، من جميع نواحيها وإدراك الأمراض وعلاجها نفسيا وتقويميا ولسانيا، أو اكتشافها مبكرا عند الطفل والإنسان، فهو هنا في درجة الخبير اللغوي، والله يزيد في الخلق ما يشاء.

يصف الجاحظ بنظرة الخبير تعريفه للبيان، وخصائص النفس البشرية، من خلال التركيز على جملة من الأوصاف وعلاقتها بالعقل والنفس، وعلاقة كل ذلك بالبيان، وهنا يعطينا ثلاثة مبادئ لعمل هذه المواهب وظهورها، وهي الخبر والذكر والاستعمال، وليس جزافا أن يذكرها لأن هذا التفصيل الدقيق السابق ينقل المستويات العملية التي يكون فيها الظهور والبيان، بما في ذلك اللغة، وهذا أكبر وصف علمي دقيق لخصائص هذه الملكات، والإبداع اللغوي والفني، لأنه أقرب إلى طبيعتها، من حيث الخاصية النفسية ومن حيث

[1]-ينظر: الجاحظ، 4/391-392.

[2]-الحيوان، الجاحظ، 4/392.

الاكتساب والتحصيل، ومن حيث التعلم كذلك ولأنَّ هذه الملكات في الأخير تنشأ وتتطور في نظره من السكون إلى الحركة.

المبحث الثالث: أبعاد التصنيف ودورها في تحديد الملكة اللغوية وعلاقتها بالملكات الأخرى

أولا: أبعاد التصنيف:

في ضوء النظرة الشاملة للجاحظ وما فصلناه سابقا حول مفهوم البيان؛ فإننا نراه هنا يربط أصناف البيان الخمسة بطريقة منطقية وعقلية بضروب الحياة وملكات النفس؛ حتى أدى ببعض الباحثين المعاصرين أن يصنفوا نظرته ضمن الرؤية السيميائية وتمثل قراءات الدارسين العرب حديثا قراءة تنطلق من منعطفات منهجية ومعرفية على صعيد اللغة والأدب والنقد، وأهم هذه المنعطفات على سبيل المثال: الانتقال من نحو الجملة إلى النص والخطاب، والحجاج، كذلك العودة إلى المداخل التواصلية النفسية والاجتماعية للغة، من خلال منهج البلاغة[1].

ربما لا يسع المقال لضبط تفاصيل هذه الفكرة، إلا أنَّ ما نخرج به في كون الدراسات اللسانية المعاصرة انطلقت من منهج لساني وصفي كيفي يفرد البحث في الدليل اللغوي وعلاقة الدال بالمدلول؛ وعلاقة الدليل بالمرجع؛ وهي كلها تتبنى فكرة دراسة اللغات دراسة شاملة وإيجاد العلاقات القائمة بين المستويات الصوتية والصرفية والتركيبة والدلالية، كما أنَّ الهدف هو إعطاء وصف شامل لمكونات اللغة؛ بصفة استقلالية وعلمية لأنَّ اللغة ملك الجماعة؛ أما الكلام فهو فردي.

[1]– نظر: ملامح التفكير السيميائي في اللغة عند الجاحظ، من خلال البيان والتبيين، رسالة ماجستير، جامعة ورقلة، الجزائر، 2009، ص45–81، و الجاحظ في قراءات الدارسين المحدثين، محمد عبد البشير مسالتي، جامعة سطيف2، 2013–2014، الكتابة ورهانات الإقناع، مقاربة تداولية لرسائل الجاحظ من خلال مفهوم التعدد، بشير دردار، رسالة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد–تلمسان، 2012–2013.

والمنهج اللساني السابق لم يدرس علاقة اللغة بالمجتمع والنفس وبالوجود ككلّ؛ فظهرت السيميائية تدرس هذه العلامات ودلالاتها في المجتمع؛ ثم اختصت التداولية[1] بكيف يمكن فعل الأشياء بالكلمات؛ ولهذا فإنَّ معظم المقاربات قد انطلقت من الأساس المنهجي في تحليل اللغات الإنسانية.

لا يمكن أن نضع حكما لهذا التصنيف الذي سوف نفصل فيه حتى نقف على تحليل هذه الوسائل البيانية؛ ويبدو أن مصطلح البيان والتبيين وفيما يوجهه صواب الحكم يلخص ما يتعلق بملكات الإنسان المعرفية بما فيها اللغة ؛ ونعني بذلك أن الجاحظ وبطريقة ذكية استطاع أن يعبر بالمصطلح الذي يستحيل معه أن نفرق منهجيا بين اللغة والعقل والنفس والمجتمع.

سوف نقف بحول الله على أبعاد هذا التصنيف؛ ونبين علاقته بالملكة اللغوية وملكات الإنسان عموما؛ وكيف يمكن تهذيب هذه القوى لتخرج من السكون إلى الحركة على حد تعبير الجاحظ.

1-أبعاد التصنيف النفسية والاجتماعية :

يقول الجاحظ"وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لانتقص ولا تزيد: أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الحال، وتسمى النصبة.والنَّصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف ولا تقصر عن تلك الدلالات"[2].

إذا اختلاف أصناف الدلالات لا ينحصر في اللفظ، فقد يكون دليلا لغويا وغير لغوي، والمعاني عند الجاحظ أعمّ من الأسماء يقول فيها" وأسماء المعاني مقصودة معدودة محصَّلة

[1]-للتفصيل في مسألة الانتقال المنهجي المعاصر في دراسة اللغة يمكن الرجوع إلى كتاب: نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلمات، جون أوستين، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب، ط1، 1991.

[2]-البيان والتبيين، الجاحظ، 57/1، على أن ما قاله الجاحظ في أن البعد في ذلك هو بعد منطقي، ينظر: الحيوان، الجاحظ، 6/6-5.

محدودة"[1]، وهذه إشارة مهمة عن وصف المستوى اللفظي للملكة اللغوية؛ وينطلق حاليا في دراسة منطق اللغة في الذهن على أساس هذا الحد الحسابي.

وجاء هذا التعريف للأصناف في كتابه الحيوان، عقب حديثه عن ضرورة البيان بوصفه سببا لاجتماع العمران، وحركته وإبداعه وغيره من قوام ومصلحة وارتقاء آلة. فهذه الأصناف موجودة عند الإنسان في رأي الجاحظ؛ عندما يربط الدلائل بالكون والحكمة والبرهان؛ سوف نبين فيما بعد أبعاد التصنيف الخاص بأقسام البيان عنده، ويبدو أن مفهوم الدلائل يختلف نوعا ما عن مفهوم النص، ونحن نرى أنَّ الأقرب لها هو الدليل، لأنّ النص في مفهوم البيان العربي يعني الظهور، وهذا لا يلتقي مع النصبة والإشارة التي ذكرها في تصنيفه[2].

أ-البعد النفسي والاجتماعي والخلقي للملكة اللغوية في ضوء هذا البيان عند الجاحظ:

إنَّ مسألة اللغة ليست بالأمر السهل ؛ فهي وسيلة حساسة بالنظر إلى ما يمكن أن تحدثه في العقل والنفس والمجتمع؛ فاجتماع هذه الأصناف في اشتراكها بالملكة اللغوية فيما نعتقد يوضح لنا كيف تعمل أو حدودها، ثم كيف يمكن تهذيبها وتحصيلها؛ يقول الجاحظ" ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبتها، وحلية مخالفة لحلية أختها وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة ثم حقائقها في التفسير وعن أجناسها وأقدارها وعن خاصّها وعامها وعن طبقاتها في السار والضار، وعما يكون لغوا وبهرجا وساقطا مطرحا"[3].

---

[1]-البيان والتبيين، الجاحظ، 57/1.

[2]-يمكن الاستئناس بـ: رسالة ملامح نظرية النص عند الجاحظ من خلال"البيان والتبيين"، بشرى بوشلاغم، رسالة ماجستير، جامعة فرحات عباس -سطيف(الجزائر)، 2010-2011، ولبيان المنهج والغاية ومادة النظرية اللسانية يمكن الرجوع إلى: اللسانيات، المجال والوظيفة، والمنهج، سمير استيتية، عالم الكتب الحديث، دار جدارا للكتاب العالمي، ط1، 2005، ط2، 2008.

[3]-البيان والتبيين، الجاحظ، 57/1.

وفي الحقيقة أن هذه الوسائل البيانية وإن كانت عامة في الكون؛ فهي جميعا تجتمع عند الإنسان؛ وهي تمثل كلا من الجانب النفسي، والخلقي، والاجتماعي، وغيره بل وحتى الجانب الحسابي الرياضي؛ والغيبي.

-تصوير اللفظ:

إنَّ قدرة صاحب البيان على التصوير باللفظ، قدرة لا تنحصر في التعبير والأداء، لأن غاية الكلام لها مقاصد وأغراض، ذكرها الجاحظ في التعريف(الكشف عن أعيان المعاني، و حقائقها، وأجناسها، وأقدارها، وخاصّها وعامها وطبقاتها في السَّار والضّار، وما يكون بهرجا، وما يكون لغوا وساقطا مطرحا).

-الضمير الباطني:

سياق تأليف كتاب البيان والتبيين؛ قائم على أساس جوهري؛ هو بيان خصائص البيان القرآني العظيم والبيان النبوي الشريف؛ ثم خصائص البيان البشري؛ كما أن البيان عنده قائم على فكرة "**الفهم والإفهام**" [1]، مستندا إلى الكلمة القرآنية" **البيان**"، وهذا الاستعمال انعكس على "**نظرية البلاغة**" كذلك؛ **وهي الوصول والانتهاء**[2]، وهو سؤال البلاغة كيف يمكن أن تنقل كلامك بالصورة التي هي في ضميرك فيدركها السامع؛" ويرمز إلى هذه اللغة برمز البديهة والمحسوس، ...هذا هو النظم، والبيان، والفصاحة.لا يمك أن تفهم جاذبية كلمة البيان، والفصاحة، والبلاغة بمعزل عن هذا الضمير الباطني الذي يبحث من خلال الكلمات عن الصدع الأثير في القرآن العظيم.."[3] ، ينقل تعريف علم نفس الملكات عن مصطلح

[1]– وما يدل على ذلك أنَّ القارئ للنصوص التي يشير فيها الجاحظ لمصطلح البيان يجدها تتعلق بمفهوم أعمق؛ مفهوم معرفي يلتقي فيه البيان مع الكون ومخلوقاته؛ ومفهوم لساني يتعلق بما يوجهه الدليل من معاني؛ وبما يحتويه من أساليب استدلالية حجاجية، فدل مثلما ينوه طه عبد الرحمن في هذه النقطة على أن البيان هو الإعراب عما في الضمير، وعلم البيان هو علم الإعراب عن البرهان، وهذا يدل على أن البيان لا يضيق على البداية والنهاية لما هو مكتوب، ولا على مجرد نظم للألفاظ بل يتعداه إلى البرهان والاستدلال، ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العلقلي، ص403-404.

[2]–ينظر: الصناعتين الكتابة والشعر، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تح: علي محمد بجاوي محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب، ط1، 1952، ص6-11.

[3]–اللغة والتفسير والتواصل، مصطفى ناصف، عالم المعرفة، مطابع الرسالة، الكويت، دط، 1997، ص105-106.

(ملكة) :" وملكات النفس هي قواها المختلفة، والملكة الخلقية هي تلك التي قال بها أصحاب علم نفس الملكات، في القرن 18، حيث ذهبوا إلى وجود ملكة للتمييز بين الخير والشر سماها بتلر(1692-1752) الضمير، وعلم نفس الملكات هو تفسير الظواهر العقلية بإرجاعها إلى نشاط قدرات معينة : مثل الذاكرة، والخيال، والإرادة، والانتباه وما شابه(فولف) : (1679-1754).[1]

ومنه نفهم دور البيان اللساني عند الإنسان، الذي ليس مجرد ظهور للألفاظ بقدر ما هو غايات ومقاصد يعبر بها عن نفسه ومن جهة أخرى آلة للإقناع والإفهام.

-الإقناع: تعليم البيان وتقويم اللسان

يقول الجاحظ: "وذكر الله تعالى جميل بلائه وتعليم البيان وعظيم نعمته في تقويم اللسان، فقال: ﴿ ۝٤ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٢ **(الرحمن/1-2) وقال** : ﴿ ۝١٣٧ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ۝١٣٨ ﴾ **(عمران/138)**.ومدح القرآن بالبيان والإفصاح، وبحسن التفصيل والإيضاح، وبجودة الإفهام، وحكمة الإبلاغ.وسماه فرقانا.وقال عربي مبين، **وقال:** ﴿" ۝١٠٦ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا ۝١١٣ ﴾ **(طه/10)**"[2].

ولهذا السبب أخَّر الجاحظ تعريف البيان الذي فصلنا القول فيه؛ حتى الصفحة 56؛ ليكون بيان القرآن مقدما على التعريف.

[1]- المعجم الفلسفي، عبد المنعم الحنفي، بيروت-القاهرة، ط1، 1992، ص281-282.

[2]-البيان والتبيين، الجاحظ، 1/ 12.

وقد وضَّح محمد العمري جدولا يضم مجموعة المؤهلات والصفات التي يتبوأها صاحب الإفهام(الإقناع)،انطلاقا مما انتقاه من مؤلف الجاحظ" البيان والتبيين"[1]، والحقيقة أن مدخل الحجاج وعلاقته باللغة في البيان العربي، يمتد في تصور شامل واسع على ما نشهده في الحجاج الأرسطي، وذلك لمنطق العرب في الفصاحة والاستدلال المتمثلة في الشروط ومتطلبات الملكة اللغوية التي وضحناها في زمن السليقة العربية، أي قوة البيان والفهم والإفهام.

ونشير إلى مسألة بالغة الدقة في أنَّ الجاحظ حين وصف صعوبات النطق وفق طريقة تجريبية سابقة لعصره، لم يكن وصفه اعتباطيا، بل ربطه بالوظيفة التي يتبناها الخطيب؛ وهذا من أدق ما نفهمه من الوظيفة النفسية والاجتماعية للملكة اللغوية؛ والآن أغلب العلاجات للأمراض النطقية هي علاجات نفسية وتهيئة اجتماعية[2].

-النجاعة والنفع في التحصيل :

يقول الجاحظ في موضع آخر"وقال تبارك وتعالى:"وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم، لأن مدار الأمر على البيان والتبيين وعلى الأفهام والتفهم.وكلما كان اللسان أبين وأنور كان أحمد كما أنه كلما كان القلب أشد استبانة كان أحمد. والمفهم لك والمفهم عنك شريكان في الفضل"[3].

ومفهوم النجاعة والنفع من أحدث الأهداف المسطرة التي تصبو مناهج التعليم بلوغها؛ " وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح كانت الإشارة أبين وأنور؛ وكان أنفع وأنجع..."[4].

---

[1]-لرؤية الجدول يمكن الرجوع إلى: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، محمد العمري، إفريقيا الشرق، 1999 بيروت-لبنان، ص198-199، وينظر في هذا الصدد: كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج المعاصرة، رسائله نموذجا، علي محمد علي سليمان، دار الفارس، بيرت، ط1، 2010.

[2]-ينظر: الأصوات اللغوية عند ابن سينا، عيوب النطق وعلاجه، نادر أحمد جرادات، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1، 2015، ص183.

[3]-البيان والتبيين، الجاحظ، 14/1.

[4]- البيان والتبيينن الجاحظ، 56/1.

وربط الجاحظ النجاعة والنفع والبيان باللسان والقلب، نقطة صائبة في درجات التحصيل ضمن وسائل البيان التي ذكرها؛ وقد حدَّد له الغاية بعد تحديد الخصائص وهي الفهم والإفهام؛ بالإضافة إلى الوسائل البيانية الأخرى مثل الإشارة ؛ وهي التي لا يمكن أن تظهر في طبقات الكلام إلا إذا أدركها السامع ولنقل بأنها شبيهة بما يمكن أن يحدثه تصرف الكلام من معاني في الذهن والخيال؛ لتحقيق مقصوده وغرضه.

فكانت الملكة اللغوية في عمق تحصيلها؛ تتوقف على هذه الخصائص الدقيقة؛ فإن انتفت هذه الشروط صار الكلام غفلا؛ وهو ما سماه الجاحظ، "**بالغفل**"، وربما يورد مرادفها بانتفاء الفهم.

2-تصوير الإشارة:

لم يفصل الجاحظ في هذه الصنف من البيان؛ لأنه تحفظ عنه وقال أنه من صناعة الكلام؛ وحسب استقرائنا فإن للمصطلح مفهوما آخر؛ أي البحث في خاص الخاص من المعاني حتى تصير في درجة الحدس، وهو ينتمي إلى مضمرات القول العميقة؛ واكتفى الجاحظ بالتمثيل لها ضمن إشارات أعضاء الجسم من العيون، واليد والأجفان وغيره مما هو معروف في نظم الشعراء العرب.

ويمكن أن نوظف هذا المصطلح بما يفيدنا في بيان خصائص الملكة اللغوية؛ وأبعادها الروحية والنفسية، حتى يمكننا أن نميز آليات العمل عندها.

أ-التواصل الروحي والنفسي والاجتماعي:

في نظر الجاحظ يحتاج البيان إلى أكثر من وسيلة ليحدث ذلك الاستئناس، الذي ذكره في طبائع البشر؛ وفهمهم عن بعض، فليست اللغة وحدها كفيلة بهذا، فالوسائل التي هي حركة الظهور، ولنقل ما في النفس من الطبائع والغرائز، لها أداء من حركات الجسم؛ وهي في الأخير دليل ضميره ونفسه، وقصده وإرادته، من العمل والفعل"وفي الإشارة بالطرف والحاجب، وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير، ومعونة حاضرة في أمور يسترها الناس من

بعض ويخفونها من الجليس وغير الجليس، ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص، ولجهلوا هذا الباب البتة"[1].

ومن أمثلة ذلك نقله عن بعض الشعراء:

وَعَيْنُ الفَتَى تُبْدِي الذِّي فِي نَفْسِ صَاحِبِهَا مِنَ المَحَبَّةِ أَوْ بُغْضٍ إِذَا كَانَـــــا

وَالعَيْنُ تَنْطِقُ وَالأَفْوَاهُ صَامِتَـــــــةً حَتىَّ تَرَى مِنْ ضَمِيرِ القَلْبِ تِبْيَانَا

وهذا من بين المهارات التي تعطي لها تعليمية اللغات وغيرها، شأنا لا يستهان به؛ وتسعى إلى تهذيبها، وصقلها، ويدخل ضمن السلوك والأفعال عند الإنسان؛ التي تعكس ما في ضميره المخفي.

ولو رجعنا إلى البيان النبوي الشريف لرأينا أضعاف هذه الإشارات ودلالتها في تغير سلوك الإنسان؛ وما يمكن أن تتميز به النفس البشرية؛ و قد جاءنا البيان القرآني[2] العظيم من ذلك ما يحتاج إلى دراسة مفردة في خفايا النفس البشرية؛ وما تعكسه هذه الأفعال من سلوك وإن لم تنطق؛ وهنا يتبين لنا شأن هذا الصنف من البيان في إعطاء صورة كذلك عن العلاقة بين البلاغة والجمال والمنطق، فاللغة وهيئة الإنسان، والمبالغة في كثرة الإشارات لها حضور عند الجاحظ، وقد بين في أكثر من موضع على أهمية اللباس وهيئة الخطيب وجماله وتأثيره على الجمهور والسامعين.

---

[1]–البيان والتبيين، الجاحظ، 1/57–58، إنَّ هذا المفهوم يبين بوضوح الدرجات والطبقات التي تكون عليها المعاني في النفس، والجاحظ لم يفصل فيها لأنها من صناعة الكلام مثلما يذكر .

[2]–من ذلك قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿ ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ﴿١٩﴾" الأحزاب/ 19)؛ وقوله عز وجل: ﴿٣٠﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣١﴾ "﴾ (محمد/31).

ثانيا : خصائص ملكة الكتابة عند الجاحظ (تصوير الخط):

ممَّا لاشكَّ فيه أن الجاحظ ونحن نتحدث عنه هنا، يملك ملكة الكتابة والقراءة؛ على ما نراه في مؤلفاته، وفنونه الاسترسالية؛ نجد أن الجاحظ اكتفى بذكر الآيات فقط التي تدل على تصوير الخط، لكن في مقابل هذا يذكر ابن عربي صفة القلم العلوي" الذي هو سلطان التدوين والتسطير،لأنَّ الوجود في نظره " كتاب مسطور، وكل حقيقة فيه متفردة هي حرف، وكل حقيقة مركبة هي كلمة"[1].

قد اختلف الكثير حول قصدية الكتابة [2]؛ عند ابن عربي، وفي قوله" إملاءات ربانيَّة"، وهذا ما يفسِّر أنَّ القلم العلوي هو السابق في الكتابة، فجاءت أقواله بأنَّ هذه المعارف الربانيَّة إنَّما هي إملاءات، كان على المتلقي أن ينفرد بحكمتها، وهي أن يكون منفعلا بالأوامر والمواعظ الربانيَّة. [3].

ويوظف المصطلح الآن في تعليم اللغات وفق النظرية العرفانية؛ على طريقة الذهن الاسترسالية في التفكير والتخطيط الذهني؛ وتحصيل المعلومات والمعارف، وذلك لما نتج من تجارب حول عمل العقل والأعصاب والنفس ووظائفها الفيزيائية والسيكولوجية المعرفية.

على كلّ فالجاحظ حينما يقدم لنا الجزء المتعلق بالبيان، فإنه يبين هوية هذا البيان بإرجاعه إلى حقيقة الكتابة الأولى؛ في قوله **جلَّ في علاه** : ﴿ **ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥** ﴾ **(العلق/1-5)**؛ وهذا مبدأ التعليم الأول كذلك؛ ويعطي لنا

[1]- المعجم الصوفي، سعاد الحكيم، دندرة- لبنان،ط1، 1981، ص923.

[2]- ينظر: تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة، آمنة بلعلى، دارالأمل، مدوحة- تيزي وزو- الجزائر، 2009 ، ص277.

[3]- يمكن الاستفادة من رؤية تأصيلية حول فكرة الكتابة عند ابن عربي وطريقته في الكتابة التي تأخذ أبعادا أخرى مثل المقاصد والغايات والهدف، ومرجعيتها إن كانت نظرا في الكتب أو في المخلوقات.

الجاحظ حقيقة علمية تعليمية في فضل القلم على تصحيح الذهن والكتاب، وفضل اللسان على تصحيح اللسان والكلام.

وتتميَّز وظيفة البيان الكتابية؛ في تجاوز الأزمان، والمكان، إلى تحصيل العلوم.

1-خصائص الكتابة:

إنَّ الكتابة بوصفها وسيلة تعليمية وتحصيلية مكانة معتبرة، لما تمده من خبرة عملية ونظرية في الآن ذاته؛ لا نشكُّ بأن أي خبرة لها أساس نظري كذلك" وقد يذهب الحكيم وتبقى كتبه، ويذهب العقل ويبقى أثره، ولولا ما أودعت لنا الأوائل في كتبها، وخلدت من عجيب حكمتها، ودونت من أنواع سرها، حتى شاهدنا لما غاب عنا، وفتحنا لها كل كل مستغلق كان علينا، فجمعنا إلى قليلنا كثيرهم، وأدركنا ما لم تدركه إلا بهم، ولقد خسَ حظنا من الحكمة، ولضعف سبيلنا إلى المعرفة وللجأنا إلى قدر قوتنا، ومبلغ خواطرنا ومنتهى تجاربنا لما تدركه حواسنا، وتشاهده نفوسنا، لقلت المعرفة وسقطت الهمة، وارتفعت العزيمة، وعاد الرأي عقيما، والخاطر فاسدا، ولكلَّ الحد وتبلَّد العقل"[1].

، وذكر نقطة مهمة تتعلق بسماع الكتب وفضلها، والكتاب عنده الذي كلما نظرت إليه وأعدت زادك في حسنه، وأوقفك على حده[2]؛ وهو يقول في الحيوان وأكثر من كتبهم نفعا، وأشرف منها خطرا، وأحسن موقعا، كتب الله تعالى، فيها الهدى والرحمة، والإخبار عن كل حكمة، وتعريف كل سيئة وحسنة..." [3].

ويمكن أن نستخلص مبادئ وأسس تعليمية فيما يخص أهمية الكتابة فيما يلي :

-**الخبرة النظرية والمعرفية:** وهي تجارب الغير وخبرتهم وآراؤهم ومحصول نظرهم؛ وجميع معارفهم تزكيها القراءة في الكتب.

[1]-الحيوان، الجاحظ، 86/1، وفي نسخة (لما حسن) بدل (لقد خسَّ)، ويذكر عبد السلام هارون أنَّ العبارتين صحيحتان،

[2]- وينظر: الرسائل الأدبية، لأبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ، دار التقوى، مصر، دط، 2018، ص150-151.

[3]-الحيوان، الجاحظ، 86/1؛ للملاحظة كلمة(كتبهم)، لم يرد فيها (الهاء) عين الكلمة، لكن ثبتناها ن خلال السياق الذي ورد في النص السابق لهذا النص.

-**قوة الملكات عند الإنسان:** تتشوف دوما إلى ما هو أعلم منها، وما هو أعقل منها كذاك، لذا فزيادة المعرفة بمدركات الحواس في تحصيل العلوم لا تقف عند هذا الحد، بقدر ما تتعلم من غيرها تجربة وخبرا.

-**تطوير الأفكار وتصحيح المنهج:** وهو ما تشهده المعرفة الإنسانية من تجدد مستمر، وقد يكشف لعقل قبلنا، ثم، يأتي زمان فيكشف به لعقل آخر ما هو أكثر فسبحانه خالق الأكوان والهادي إلى الصراط المستقيم.

2-شروط ملكة الكتابة النفسية والذهنية والمنهجية :

يمدُّنا الجاحظ بنظرة الخبير، والمقوم مجموعة من المبادئ تمكن المكتسب لها ملكة في التعبير عن معارفه وخبراته.

يقول الجاحظ" وينبغي لمن يكتب كتابا، ألاَّ يكتبه إلا على أن الناس كلهم له أعداء، وكلهم عالم بالأمور، وكلهم متفرغ له، ثم لا يرضى بذلك حتى يدع كتابه غفلا، ولا يرضى بالرأي الفطير؛ فإن لابتداء الكتاب فتنة وعجبا، فإذا سكنت الطبيعة وهدأت الحركة، وتراجعت الأخلاط، وعادت النفس وافرة، وأعاد النظر فيه، فيتوقف عند فصوله توقف من يكون وزن طمعه في السلامة أنقص من وزن خوفه من العيب".[1]

ويمكن أن نميز هذه الشروط بتوضيح أكثر فيما يتعلق بالواقع التعليمي :

أ-الشروط النفسية :

وتتمثل في العجب والفتنة؛ وأغلب الظن أن هذه الصعوبات تكون نتيجة تسرع النفس البشرية وهو ما يقصد بحركة الطبيعة؛ ومن الصعوبات كذلك عدم تصور ذهن المتلقي الذي سوف يكتب له؛ ويسمى الآن بالقارئ الضمني، والمتوسع في مقابل صاحب الرأي الفطير، أو المبتذل الذي لا ينقل آراء غيره ليستفيد منها ويناقش بها.

[1]-الحيوان، الجاحظ، 88/1، وللتفصيل أكثر يراجع: الرسائل الأدبية، الجاحظ، ص146-150.

ويعلق في موضع آخر مقاصد الكتابة بقوله"فما أكثر من يبتدئ الكتاب وهو يريد مقدار سطرين فيكتب عشرة، والحفظ مع الإقلال أمكن وهو مع الإكثار أبعد"[1]؛ وهي كلها جوانب ذاتية تتعلق بالنفس البشرية.

ب-الشروط المنهجية:

وللجاحظ رأي في علاج هذه الآفات أو الصعوبات التي تخترق طريق الكاتب؛ منها توقف الكاتب عند فصول ما يكتب، ومراجعة آرائه، والكتابة التي لا تتوقف على فهم وحيد(الكتابة الاستشكالية)، وهو ما سماها ب" الغفل"مقابل الرأي الفطير؛ ويمكن أن نفهم من قوله أن من أسباب الكتابة الدواعي العلمية والمنطقية التي تجعله يكتب ما يكتب.

جـ-مقاييس الفهم في مستويات الكتابة(مستويات القراء[2]):

ونلخص جملة ما قاله الجاحظ في كلامه في الجدول التالي :

أنواع القراء	ألفاظ الكتاب	عمل المؤلف
1-عامة الناس :المبسوط من الكلام والسهل 2-الخطباء: الكلام المرتجل الشفوي 3-القارئ المنطقي: أي صناعة القول والكلام ضمن ترتيب منطقي، ووفق مصطلحات معينة	1-ألفاظ الحشو 2-غريب الإعراب ووحشي الكلام 3-مصطلحات المنطق والعلوم 4-مصطلحات النحو	1-التهذيب 2-التنقيب 3-التصفية 4-حذف فضول اللفظ 5-إسقاط الزوائد

جدول(1) يمثل مستويات القراء والكتابة

[1]-الحيوان، الجاحظ، 89/1، وينظر: التقويم اللغوي في الكتابة والتفكير التأملي، أكرم صالح محمود خوالدة، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1، 2012،(فصل التعبير والتفكير).

[2]-سوف نبين بحول الله تعالى في الفصل الموالي، خصائص كلَ من العبارة البلاغية والعبارة العلمية المنطقية، وفكرة ابن خلدون تصب فيما قاله الجاحظ هنا كذلك، وهذا من أبرز ما يميز نظرية البيان العربي.

نستنتج من قراءة الجدول أن ألفاظ الكتابة هي التي تحدد لغة النص، والكتابة عامة تحدد القارئ المستهدف، وتحدد مستويات الفهم والتحصيل؛ ويرى الجاحظ أن علاج ذلك كله إنما يكون ب: التعود على ألفاظ النص ومصطلحات الكتاب، والتكرار، وزيادة المدارسة والاجتهاد[1].

3-تداخل اللغات(وتعلم اللغة الثانية: مصطلح الضيم) :

تتبوأ مسألة تحصيل(اكتساب) الملكة الثانية، مكانا هاما في قضايا تعليمية اللغات[2]؛ نظرا لعدة أسباب من بينها: أن المتكلم يستعمل اللغة بصفة عملية أكثر مما يستعملها أو يتحدث عنها نظريا؛ ونظرا لما تزخر به النظريات من وصف لساني عميق جدا؛ إلا أنه يبقى ملخصا في المعادلة الآتية وهي كيف يمكن توظيف هذه الخبرة النظرية لوصف الملكة اللغوية توظيفا عمليا؛ أي أداء واستماعا، وتحدثا، وقراءة وكتابة.

فيمكن للكاتب أو المؤلف أن يجيد ويتمكن من ملكة الكتابة أو التحدث في اللغة الأم، وللجاحظ رؤية ثاقبة تميز لنا الحالات التي تكون فيها تداخل هذه الملكات.

أ-تداخل الملكات ومصطلح الضيم :

فمستوى الترجمة لا يتوقف على تحصيل ألفاظ اللغة الثانية وتمكنه منها بل يلزم أن يجيد معرفيا وعلميا إن كان متخصصا أو عالما" ولا بدَّ للترجمان أن يكون بيانه في نفس الترجمة في وزن علمه، في نفس المعرفة، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها، حتى يكون فيها سواء وغاية.ومتى وجدناه قد تكلم بلسانين علمنا أنه قد أدخل الضيم عليهما؛ لأن كل واحدة من اللغتين تجذب الأخرى وتأخذ منها، وتعترض عليها.وكيف يكون تمكن اللسان منهما مجتمعتين فيه وإذا انفرد بلغة واحدة، واستفرغت تلك القوة عليهما، وكذا إذا تكلم بأكثر من لغة، على حساب ذلك تكون الترجمة بجميع اللغات وكلما كان الباب

[1]-ينظر: الحيوان، الجاحظ، 1/ 89-90.

[2]-إنَّ تحديد مساحة كل لغة عند المتعلم ليس بالأمر الهين، بل وكيف تأخذ الملكة الثانية مكانها من الأولى، وقد أرجع الجاحظ ذلك إلى قوى النفس التي وهبها الله سبحانه وتعالى للإنسان، أي الفطرة والارتجال، كما أن ارتباطها بالمعرفة والعلوم تعتبر مسألة آخر.

من العلم أعسر وأضيق، والعلماء به أقل كان أشد على المترجم، وأجدر على أن يحظى فيه، ولن تجد البتة مترجما يفي بواحد من هؤلاء العلماء"[1].

يشير الجاحظ إلى جملة من الشروط للتمكن من اللغة الثانية:

-العلم باللغة :

وهنا لا يقصد العلم بالألفاظ والتراكيب؛ بل بخاص الخاص الذي يتعلق بخصائص التراكيب في تلك اللغة وتعبيرها عن المقاصد؛ وهنا نوضح فكرة الخواص المعنوية أكثر وما تضفيه الكلمات من دلالات، ضمن تخصيص المعاني؛ أو تعميمها أو تصويرها بالتشبيه؛ أو أساليب نقل الخبر وغيره.

-مستويات التداخل : سماها بمصطلح" **الضيم**"، ويعرف في تعليمية اللغات "**بالتداخل اللغوي**"، فالجذب إن كان مجهول الكيفية فإنه يظهر واقعيا في التجارب لمن يتقن عدة لغات؛ كما يظهر الضيم في خصائص النطق لبعض المخارج، أو الحركات الإعرابية؛ أو تداخل معاني بعض الألفاظ وغيرها.

-الترجمة المتخصصة: وهنا يكون بإتقان العلوم ومعرفة مبادئها والمصطلحات المفتاحية؛ ومجالاتها.

ب-درجات الترجمة ومستوياتها :

هناك جهود معتبرة لتأسيس المدرسة البيانية عند الجاحظ في الترجمة،" إن هذه الأصناف التي طرحها الجاحظ وفصَّل في تحديدها وذكر ما ينفرد به كل صنف على حدة، ثم تكامل الأصناف معا في تحقيق الغاية المقصودة، كل ذلك من شأنه أن يفيد المترجمين في علاقتهم بمن يتوجهون إليه بالترجمة، من جهة، وكذلك النصوص المترجمة من جهة أخرى؛ بحيث يكون الإلمام بهذه الأصناف مقيدا إلى حدّ كبير في تجاوز مشكل الترادف بين اللغات؛ إذ إنَّ المرادف بهذا المعنى لا يعني بالضرورة وجود المرادف في اللغة الهدف، بقدر

[1]-الحيوان، الجاحظ، 77/1.

ما يمكن الاعتماد على ما يناسبه من الأصناف الأخرى وبخاصة الأيقونات البصرية التي ترفق الترجمة مما شائع في بعض الكتابات والترجمات، ما دام شرط الإفهام محققا"[1].

ولأنَّ الجاحظ يمثّل صورة الثقافات التي كانت في العصر العباسي، ولأنَّه قد كتب في مختلف العلوم والمعارف فقد كان ناقلا مبدعا، وليس ناقلا آليا؛ وهذا إن دل على شيء مثلما يقول عبد السلام هارون[2] فإنَّما يدل على سعة اطلاعه وإحكامه النظر فيما نقل من خبر أو معلومة؛ كما كان ينقل عن أرسطو صاحب المنطق كما سماه، وغيرها من الثقافات الهندية والصينية....

-ترجمة الكتب الدينية:

فصل الجاحظ بطريقة ملفتة خصوصية الكتب الدينية، وذلك لما يمكن أن يقع من تحريف لترجمة المعاني باللغة المنقول إليها؛ ويذهب إلى خصائص البيان العربي، الذي نزل به البيان القرآني العظيم، وملكة العرب في ذلك، وأسباب تفاهمهم وعاداتهم"، وهذا يقرب من قول الشافعي في تفصيله **ل(كلمة بيان)**، وأنواعها، ولسان العرب وخصائصه[3].

يقول ابن فارس في هذه المناسبة:"ألا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿ ۝٥٨ **وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ** ۝٥٩ ﴾ (**الأنفال /58**) لم تستطع أن تأتي بهذه الألفاظ المؤدية عن المعني الذي أودعته حتى تبسط مجموعها، وتصل مقطوعا وتظهر مستورها فتقول : إن كان بينك وبين قوم هدنة وعهد فخفت منهم خيانة ونقضا فأعلمهم أنك قد نقضت ما شرطت لهم، وآذنهم بالحرب فأنت وهم في العلم بالنقض سواء"[4]، وشرحه السابق يعدُّ لبّ خصائص البيان العربي؛ أي

---

[1]– الترجمة البيانية عند الجاحظ، محاولة تأسيس، خميسي لحسن، مجلة الإشعاع، مج07، ع: 02، ص110، عن فكرة علاقة الترجمة بالبيان..

[2]–ينظر: مقدمة التحقيق لمحمد عبد السلام هارون، الحيوان، ج1.

[3]–ينظر: الرسالة، الشافعي، ص41.

[4]–الصاحبي، لابن فارس، تح : السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة–مصر، دط، دت، ص17.

الإجمال والتفصيل أو فيما يعرف كذلك بالوصل والقطع، وغيره مما شرحه علماؤنا الأجلاء في النظم اللغوي.

-ترجمة الشعر:

ميزانه الوزن، فلا يترجم فإن ترجم ذهب ماؤه وجماله.

-ترجمة العلوم والفنون :

ويشترط فيها العلم بتلك المعرفة؛ مثل الطب أو الهندسة أو الحساب؛ وهذه أسبابها النظر والتعقل، فهي قضايا كونية مشتركة، وهي تتعلق بالتفكير أيضا؛ لأن من بين الأهداف في تعلم اللغة الثانية إنما يكون تحصيل ملكة التفكير بها[1].

ثالثا: الأبعاد المعرفية:

1-البعد الحسابي(التقني):

أ-حساب مادي:

ربط الجاحظ مفهوم العقد بالبيان، في ذكر مجموعة من الآيات القرآنية، دون تفسيرها، " فأجرى الحساب مجرى البيان بالقرآن..**لقوله تعالى:** ﴿۝١ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝٢ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٣ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٤ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٥ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٦﴾ (**الرحمن/1-5**).." أما في كتابه البيان فقد ذكر مجموعة من الآيات نذكر منها: قوله تعالى: ﴿۝٥ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ۝٦﴾ (**يونس/5**).

[1]-سوف نعالج ذلك بحول الله تعالى مع التوضيح في الفصل الخاص بابن خلدون؛ لأنَّ الجاحظ نفسه يذكر نقله عن أرسطو ويسميه صاحب المنطق، وكان على علم بترجمة العلوم في عصره، وقد وضح في أكثر من مناسبة، تقويمه للأفكار المترجمة، وإيراد ما يقابلها من نصوص البيان العربي، مثل الشعر وهو أكثره، والخطب وغيرها، يراجع مقدمة تحقيق كتاب الحيوان لعبد السلام هارون، ج1.

ويبدو أن الجاحظ يلفتنا بطريقة ضمنية للفهم الدقيق لكلمة الحساب، وغايته ومعانيه وعلاقته بملكة البيان قوله "لولا معرفة العباد بمعنى الحساب في الدنيا لما فهموا عن الله عز وجل ذكره الحساب في الآخرة...والجهل بالعقد فساد جل النعم وفقدان جمهور المنافع واختلال في كل ما جعله الله عز وجل قواما ومصلحة ونظاما"[1].

ب-حساب معنوي:

على أنَّ الجاحظ كان يفهم معنى الحساب والحسبان وهو أقرب إلى روح السليقة العربية، والبيان العربي، وأشرنا في بداية الدراسة إلى مفهوم الملكة في اللسان، التي من بين معانيها القوام والنظام، وهذه إشارة دقيقة لمعنى الحساب المعنوي، والحساب المادي.

جـ-الحساب والبلاغة :

ومن ناحية أخرى يشير الجاحظ إلى أنَّ البلاغة في الكتابة تختلف من ناحية النظر في رموز الحساب والرياضيات يقول :" ...لأن في أدنى طبقات الخط مع صحة الهجاء بلاغا. وليس كذلك حال الحساب..."[2]، وغالب الظن أنَّ ما يفهم من كلام الجاحظ اختلاف طبيعة كلٍّ منهما في التمثيل والتصوير وما يفهمه الناظر المبصر لهذه الرموز، فالكتابة تصور معاني الكلمات والرموز الحسابية تصور مقادير الأشياء الحسابية.

2-تكوين وتحصيل المعرفة في بيان النصبة:

هذا من بين ما انفرد به الجاحظ، بوصف النصبة والتي تعني عنده "الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد. وذلك ظاهر في خلق السموات والأرض، وفي كل صامت وناطق وجامد ونام ومقيم وظاعن وزائد وناقص."[3]، ممثلا ذلك بعدة أمور منها: ما يعتبره الإنسان في أسرار الجماد، وفي إعراب العجم من الحيوان، وفي جميع خلق السموات والأرض، ثم يقول:" وقال بعض الخطباء: أشهد أن السموات والأرض آيات دالات وشواهد قائمات، كل

[1]-البيان والتبيين، الجاحظ، 59/1.

[2]-رسائل الجاحظ الأدبية، ص146.

[3]-البيان والتبيين، الجاحظ، تح: درويش، 59/1.

يؤدي عنك الحجة ويعرب عنك بالربوبية موسومة بآثار قدرتك ومعالم تدبرك التي تجليت بها لخلقك فأوصلت إلى القلوب من معرفتك ما آنسها من وحشة الفكر ورجم الظنون فهي على اعترافها لك وذلها إليك شاهدة بأنك لا تحيط بك الصفات ولا تحدك الأوهام وأن حظ المفكر فيك الاعتراف لك."[1]

أ-وظائف الاعتبار:

سمَّى الجاحظ وابن وهب هذا المصطلح بالبيان[2]، وبيَّن له وظيفتين: وظيفة معرفية(الاعتبار أو النُّصبة)، والأخرى إقناعية، فالكون إن لم يجبك حوارا، أجابك اعتبارا. وقد يرد كثيرا هذا الاعتبار في القرآن لتوجيه زوايا الرؤية"إمَّا أن تتماثل أو تتباين، وهي في تماثلها أو تباينها، إمَّا أن توجد على مستوى واحد، أو على مستويين اثنين، وإن وجدت على مستويين اتّجهت اتّجاهات ثلاثة: إمَّا من الأعلى إلى الأدنى، أو من الأدنى إلى الأعلى أو من المساوي إلى المساوي".[3]

وقد كان الاعتبار عند أهل التصوف وأهل النظر، يقوم على أساس الاستشعار وبلوغ المقاصد من هذه الأمثال والظواهر، وربطها بالله تعالى، وهو التوجه الأول "العلم بالموجودات إلى العلم بمُوجدها، ثمَّ من العلم بالمُوجد إلى العلم بالموجودات..."[4] .

ويمثل الجاحظ في موضع آخر من كتابه الحيوان،[5] على ضرب أمثال للبعوض والنمل والذر، وهي من أصغر المخلوقات في نظر الإنسان، ولبيان القسم الضمني من الصورة[1] الذي يضربه المثل القرآني، توجَّه الجاحظ بتدبره ونظره لهذا المثل، طالبا من المتلقي أن يزن

---

[1]-البيان والتبيين، 60/1.

[2]-هذا المفهوم طبَّقه الجاحظ في كتابه الحيوان، والمفهوم المعرفي للبيان هو النظر والتأمل في الكون وأسراه وغرائبه، ينظر: البلاغة العربية(أصولها وامتداداتها)، محمد العمري، ص195.

[3]- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-بيروت، ط1، ص290.

[4]- العمل الديني وتجديد العقل، طه عبد الرحمن، ص157.

[5]-ينظر: الحيوان، الجاحظ، 9/6-10.

[1]-ينظر: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، دار الفارابي، بيروت-لبنان، ط1، 2001، ص450.

الحقائق بالحكمة خاصة قوة التمثيل ويوجه نظره إلى أبسط المخلوقات في قدرة الله تعالى، وقد يرد كثيرا هذا الاعتبار في القرآن لتوجيه زوايا الرؤية.

رابعا: مبادئ تحصيلية وتربوية أخرى :

1- منهج التدريب في تعليم اللغات(مهمة الخبير باللغة والمحلل) :

يفصّل الجاحظ في كتابه البيان والتبيين منهج العارف والخبير في وصف كل ما يعتري تعليم اللغات وتعليم اللغة العربية على وجه الخصوص، وإنما تميز هذا المنهج بعدة أمور استغنى في جميع الحالات عن التجريد والتنظير مكتفيا بإيراد النصوص الدَّالة والأمثلة الدقيقة التي يمكن للقارئ والمتطلّع عليها أن يستفيد من فصاحة التراكيب التي يوردها والأمثلة، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدلّ على النظرة الشمولية للجاحظ والتي تتجسد في فكرة بيان حقيقة اللغات، وما يتصل بها من أفعال، لا يدركها إلا الخبير الذي يزيد فهمه بفهم أفعالها، وما تحتويه من ملكات ضمنية عند الإنسان.

لذلك فإنَّ مراحل التعليم" بدءا من المدرسة الابتدائية ينبغي أن يتجه تعليم التعبير فيها إلى تمكين التلاميذ من القيام بجميع ألوان النشاط التي يتطلبها المجتمع وبذلك يكون الأساس الذي يقوم عليه تعليم التعبير هو ألوان النشاط اللغوي الوظيفي مثل المحادثة ، والمناقشة، وإعطاء التقارير، والمذكرات، والملخصات، وحكاية القصص والنوادر، وإلقاء الخطب والكلمات والأحاديث، وإدارة الاجتماعات"[1]؛ وقد يتفق هذا القول مع الجاحظ بوصف اللغة قوام الحاجة، وهذه الحاجات لا تقتصر على موقف معين أو حادث ما بقدر ما تمثل غاية الإنسان في التعمير والاستخلاف.

وفيما يلي إجمال لما ذكرناه بما يقتضي هذا العنصر من وجهة الجاحظ :

[1]-تدريس فنون اللغة العربية، علي أحمد مدكور، دار الشواف، الرياض، دط، دت، ص108.

أ-صعوبات التعلم وتقويم اللسان :

-عوائق البيان في الكلام :

في حقيقة الأمر أن الجاحظ عند حديثه عن مشاكل النطق عند الإنسان لم تنفصل فكرته عن مفهوم البيان والتبيين، وذلك لأنه كان يقيم مقابلة بين صورتين؛ تتمثل الأولى في الجانب النفسي المتمثل في التزيد والتكلف وغيرها، وتتمثل الثانية في الأمراض الخَلْقية عند المتحدث؛ وفي نظره أن الثانية أيسر قبولا عند الناس من الأولى، وهذا يوضّح فهم الجاحظ للكثير من الآيات القرآنية التي تذكر الصم والبكم وغيرها[1]؛ يقول " وأحدهما ألوم من صاحبه والألسنة إليه أسرع. وليس اللجلاج والتمتام والألثغ والفأفأة وذو الحبسة والحكلة والرتة وذو اللفف والعجلة في سبيل الحصر في خطبته والعي في مناضلة خصومه كما أن سبيل المفحم عند الشعراء والبكيء عند الخطباء خلاف سبيل المسهب الثرثار والخطل المكثار"[2] .

وقراءة لما ورد في نصّ الجاحظ نستطيع أن نلتمس سببين لعيوب النطق؛ أولهما بحسب الطبيعة؛ وثانيهما بحسب النفس؛ من هنا فإن معلم الملكة اللغوية يستند إلى معارف نفسية(التردد، والعجلة، والثرثار...) وإحيائية طبيعية(التمتام، والألثغ، والفأفأة، وذو الحبسة والحكلة، واللفف...) في فهم ظاهرة اللغة ومن ثمَّ يتبين لنا السبيل إلى معالجتها.

ويقول الجاحظ في علاج اللُّثغة: "فأما التي على الغين فهي أيسرهنَّ، ويقال إن صاحبها لو جَهدَ نفسَه جَهْدَه، وأحدَّ لسانه، وتكلف مخرج الراء على حقها والإفصاح بها، لم يك بعيداً من أن تجيبه الطبيعة، ويؤثِّر فيها ذلك التعهد أثراً حسناً... وكان إذا شاء أن يقول عَمْرو، ولعمري، وما أشبه ذلك على الصحة قاله، ولكنه كان يستثقل التكلُّفَ والتهيُّؤَ لذلك، فقلت له: إذا لم يكن المانعُ إلا هذا العذرَ فلستُ أشكُّ أنك لو احتملت هذا التكلُّف والتَّتبُعَ شهراً واحداً

---

[1]-وغالب الظن أن الدراسات التأصيلية انطلقت من الرؤى والنظريات المعاصرة في قراءة أمراض الكلام والنطق، ولذلك وجهنا الفكرة إلى مفهومها الرئيسي عند الجاحظ ضمن رؤيته البيانية العربية.

[2]-البيان والتبيين، ج1، تح: جويدي، ص15، اللجلاج هو المتردد في نطقه، والتمتام من يرد كلامه إلى التاء أو الميم، والألثغ من يميل لسانه من الميم إلى الثاء أو من الراء إلى الغين، أما الفأفأة من يردد الفاء، وذو الحبسة من لا يسمع قوله، والحُكْلة من الحُكْلِ، عادم الإبانة والإفصاح، وذو اللفف هو الذي إذا تكلم ملأ لسانه فمه، ينظر شرح هذه الكلمات للمحقق: درويش جويدي، في هامش الصفحة للمصدر نفسه.

أنَّ لسانك كان يستقيم.."[1]، ثم يردف مثالا توضيحيا يبين فيه معالجة هذه العيوب عند الخطباء والبلغاء[2].

-الوصف البيولوجي الإحيائي لما يحدث عند سقوط الأسنان أو بعضها؛ فهو يرى أن الفصاحة والبيان عند سقوط جميع الأسنان؛ أكمل من سقوط البعض وبقاء البعض الآخر.

ب-الأخطاء اللغوية التي يقع فيها متحدث العربية من الأعاجم وأثرها على الإفصاح[3] :

و يمكن أن نذكر بعضا من الأخطاء على سبيل الذكر لا الحصر :

-**قرب مخارج الحروف:** مثل حرف الحاء والهاء : حمار /همار.

-**اللكنة:** الأخطاء التي تتناول وضع الكلمات في سياق غير صحيح، أو أن تستعمل الكلمة في الجملة بشكل خاطئ؛ "أوفد زيادٌ عبيدَ الله بنَ زياد إلى معاوية، فكتب إليه معاوية: " إنَّ ابنَك كما وصفت {يعني يلحن}، ولكنْ قَوِّم من لسانه". وكانت في عُبيد الله لُكنةٌ؛ لأنه كان نشأ بالأساورة مع أمِّه "مَرجانة"، وكان زيادٌ قد زوَّجها من شِيرَويه الأسواريّ وكان قال مَرَّة: افتحوا سيوفكم"، يريد سُلُّوا سيوفكم"[4]، استعمل الكلمة في سياق غير صحيح.

جـ-مبدأ شيوع الألفاظ والحروف ودوره في بناء المعاجم والمناهج:

تستأثر اللغة النصيب الأوفر في حديثنا اليومي؛ بل لو هممنا أن نحصي عدد الأصوات والمفردات التي تدور بين الناس والتراكيب كذلك لأعجزنا الأمر؛ لأنها تحيا مع الناس كما أن الناس يحيون بها.

---

[1]- البيان والتبيين، الجاحظ، 31/1، و ينظر تفصيل الرؤية اللسانية التطبيقية المعاصرة في: علم اللغة التطبيقي في التراث العربي، الجاحظ نموذجا، جاسم علي جاسم، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج: 40، ع: 2، 2013، ص300-306.

[2]- ينظر: علم اللغة التطبيقي في التراث العربي، الجاحظ نموذجا، جاسم علي جاسم، ص300-308.

[3]-لم نجد أوفى شرحا مما كتبه الباحث جاسم علي جاسم في قراءة تراثية لعلم اللغة التطبيقي عند الجاحظ ، ينظر: المقال نفسه: ص308وما بعدها.

[4]-البيان والتبيين، الجاحظ، تح: عبد السلام هارون، 210/2.

"ولكل لغة حروف تدور في أكثر كلامها كنحو استعمال الروم للسين، والجرامقة للعين. ويقول الأصمعي: ليس للروم ضاد، ولا للفرس ثاء، ولا للسرياني ذال"[1].

لقد بيَّن الجاحظ أسس هذا العلم[2] بقوله".. يُزْعَم أن هذه الحروفَ أكثر تَرداداً من غيرها، والحاجة إليها أشدّ. واعتَبِرْ ذلك بأن تأخذ عِدَّة رسائلَ وعدة خطب من جملة خطب الناس ورسائلهم؛ فإنَّك متى حَصَّلتَ على جميع حروفها، وعددْت كل شكل على حِدَة، علمت أن هذه الحروفَ الحاجة إليها أشدّ".[3]

إنَّ أهم ما يمكن أن نصف به اللغات والعربية بصفة خاصة قضية التداول والشيوع؛ فلو أننا تتبعنا تسلسل اللغات لوجدنا أن الزمان والمكان عمل فيها ما يجعلنا نتعجب للتغير والتطور الذي يسري على مستوى ألفاظ اللغة وأصواتها وتراكيبها بل وحتى دلالاتها ومعانيها؛ ولا لشيء إلا لكون الفعل الخلاق في لسان البشر له القدرة أن يلد ما لا يحصى ولا يخطر على قريحة من المعاني والألفاظ، وهذه قدرة الله في خلقه سبحانه.

وقد تحدث السيوطي(849هـ-911هـ)[4] "عن الحروف الشائعة التي يكثر استعمالها عند العرب "وهي الألف والواو والهمزة".

-**الكلمات الشائعة مثل:** استعمال العامة للفظ الجوع في الحالات الميسورة؛ مع ورودها فصيحة في القرآن وقد استعملت في القرآن في موضع الجوع الشديد؛ الشيء نفسه بالنسبة لـ"المطر والغيث، واستعمال أسماع وأرضين بدل الألفاظ القرآنية؛ السمع والأرض.

---

[1]-البيان التبيين، الجاحظ، تح: عبد السلام هارون، 64/1، أما نص المحقق درويش جويدي، فذكر(دال) بدل (ذال)، ص49.

[2]-ينظر: علم اللغة التطبيقي في التراث العربي، الجاحظ نموذجا، جاسم علي جاسم، والحروف هي : الراء والياء واللام والألف ص305.

[3]-البيان والتبيين، الجاحظ، تح: درويش جويدي، 21/1.

[4]-ينظر: المزهر في علوم اللغة، السيوطي، ج1، ص328-329، وعلم اللغة التطبيقي في التراث العربي، الجاحظ نموذجا، جاسم علي جاسم، ص310.

د-النحو التعليمي:

ممَّا يلاحظ على كتابات الجاحظ أنه يكثر من رواية "الشاهد والمثل والخبر الصادق والتعبير البارع" والتي يراها أحسن من المسائل النحوية المتكلفة التي تشغل ذهن المتعلم وبخاصة الطفل؛ فهو يسير وفق منهج خاص يراعي فيه:

-أهمية المدونات والنصوص على التنظير على أنَّ خصائص البيان حاضرة عنده، ولا نعني انتفاء قواعد اللسان العربي، وإنَّما يعني منهج التجريد واستنباط القواعد في مقابل مادة البيان العربي؛ الذي هو أداء فعلي وحقيقة نفسية.

- ربط الملكة اللغوية بالتفسير والفهم والتأويل: وهذا من بين ما انفرد به بإعطاء خصائص التفكير، وصور المعاني الذهنية، وما يتعلق بها من اعتقادات، وأحوال، وكل ما يشمله الفعل عند الإنسان.

-ربط الملكة اللغوية بمجالات يومية للمتكلم(الحاجة).

2-خصائص المعلّم الخبير والمتعلم:

أ- المتعلم :

رفع الكفاءة اللغوية وتحسين مهاراته الحسية والسمعية والحركية والبصرية، وذلك من خلال أسلوب التدبر والتفكر.

ب-المعلّم الخبير:

ركَّز الجاحظ كثيرا على المتكلم؛ بوصفه منتج الكلام وناطقه؛ وقراءة عامة تجمع الخصائص التي ذكرها في :

-الخصائص النفسية والخُلقية:

مثل رباطة الجأش، الصدق والإخلاص.

-الخصائص العلمية والمعرفية:

الخصائص المعرفية؛ درايته بنصوص البيان العربي؛ مثل القرآن والحديث والكلام العربي؛ من شعر ونثر.

-خصائص التعمير والاستخلاف:

فقد عدَّ الجاحظ اللغة قضاء للحاجات الإنسانية، وشرطا من شروط التبليغ والتواصل؛ وآلة لكشف الستر عن المعنى دون الضمير؛ إلا أنّ القراءة اللسانية الحديثة والمعاصرة تركز على عدة مفاهيم لغوية اجتماعية منها: مفهوم الاتصال، وعلاقته باللغة، ومفهوم أو دور وظائف اللغة، والتنوع اللغوي، ولهجاته، والصراع اللغوي والطبقات الاجتماعية، والازدواجية اللغوية، وعلم أمراض الكلام. والحقيقة هذه مباحث اجتماعية لغوية معاصرة نشأت في ضوء التحول المنهجي من دراسة بنية اللغات وهيكلها إلى غاية ظهور اللسانيات التطبيقية، التي ركزت على الجوانب النفسية، والإجتماعية، والتربوية، وحتى التواصلية والاقتصادية، وهي قراءة تحتاج إلى التأصيل قبل التأسيس، حتى نميز المنطلقات النظرية لكل من الجاحظ حول ملكة اللسان، ودورها في البيان، ثم مقارنة ذلك بما هو معاصر؛ فنخرج بنتائج تعد مقدمات ضرورية يمكننا من خلالها تحديد المصطلحات ومفاهيمها دون إقصاء للسياق الحقيقي الذي نشأت فيه[1].

وهنا يمثل لنا أهم فارق بين النظرة الاجتماعية المعاصرة للغة، ونظرة الجاحظ وذلك من خلال مصطلح(البيان) يوضح مسألة خاصة بآلة البيان عند الإنسان وهي اللغة، وكشف أدق طبقات المعاني النفسية بل حتى أخص هذه المعاني وهي العلوم، وكيف يؤثر البيان في الناس، من خلال الاجتماع، وقد أعطى الجاحظ جهده لبيان معظم حدودها –اللغة–الإقناعية والتخاطبية والتواصلية دون فصل، اصطلح عليها(التعرف والتبين).

[1]– ينظر: الفكر اللغوي الاجتماعي عند الجاحظ في كتاب البيان والتبيين، رياض صالح بن إبراهيم الذيب، رسالة ماجستير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (1429–1430هـ).

-الخصائص اللغوية(آلة البيان):

وتمثل كما ذكر عبد السلام المسدي الخصائص أو المقاييس الأسلوبية؛ والحجاجية الاستدلالية؛ وهذا موجود في سائر كتبه، مثل الرسائل، والحيوان ، والبيان والتبيين.

وفكرة اللغة أخذت حظها في دراسة مهارات التواصل، فهي من الأساليب المعاصرة التي ينبغي أن يمتلكها المعلم في حديثه، حتى يصل إلى تحقيق هدفه من خلال التأثير الايجابي في المتعلم، وتعرف في وقنا الحاضر بهندسة التواصل البشري أو البرمجة العصبية اللغوية وفيه يبرز دور استثمار -الحواس الخمسة بالإضافة إلى ملكة الفهم والتفكير والتدبر وغيرها [1]؛ حيث يوضح المؤلف الهندسة التواصلية للغة انطلاقا من وظائفها النفعية والتخييلية وغيرها. فاللغة على حدّ تعبير طه عبد الرحمن لغة تخلق أشخاصا لا يفكرون بعقل واحد، بل هناك" العقل الحسي والعقل الخيالي والعقل الوجداني والعقل الذوقي والعقل الروحي ".

3-نوعية النصوص التي ركز عليها الجاحظ :

إنَّ انتقاء النصوص في العملية التعليمية بشكل عام يشكل صلبها، وقد وقعنا هنا على نصوص قائمة على أساس إنساني كوني، وجمهرة من الخطب البلاغية عند العرب؛ ويبدو أن الباحثين قد عللوا؛ اهتمام الجاحظ بنصوص الخطابة وشروطها؛ في مجملها، الاعتداد بالأسلوب الحجاجي والإقناعي؛ لما شاع من الفرق المذهبية آنذاك؛ مما يبيّن لنا طريقة الجاحظ في محاورة الآخر بأكثر من آلة، اللغة، والخَلْق، أي كل ما يرتبط بالواقع المعيش وتعقيداته.

ومن مزايا النصوص أنها لا تقوم على فصل الواقع عن القاعدة أو مثلما يعرف بالطريقة الاستقرائية(التي تبنى على أساس القاعدة بعد إعطاء أمثلة شارحة)،

---

[1]- ينظر: استراتيجيات التعليم، حسن حشاته، الدار المصرية اللبنانية، ، القاهرة-مصر، ط4، 2016، ص263-289 ؛ و دراسات في اللسانيات التطبيقية، حقل تعليمية اللغات، أحمد حساني، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون-الجزائر، ط2، 2009، ص68، وينظر: اللسان والميزان، طه عبد الرحمن، ص221.

4-الطرائق التعليمية :

الطرائق المعاصرة تميل لعدم فصل التعليم عن الواقع، وتروم لنقل أثر التعلم إلى الحياة بجميع مجالاتها، والتي يعيش فيها المتعلم ، ومن بين الطرائق التي استخلصناها ما يلي:

أ-التعليم النشط(التوقف والتنبه والتذكر):

وهو جزء من تطوير ما يعرف بالكفاءة أو تعامل المتعلم مع محيطه " والتعلم العرفاني هو بناء نشط للمواد العرفانية بصفة إستراتيجية انطلاقا من المعلومات من المحيط يولد منها المتعلم معارف جديدة يدمجها في المعارف السابقة المخزنة في الذاكرة"[1]؛ بل " ويضع افتراضات، ويتخذ القرارات، ويربط نتائج عمله بالبنية العرفانية، وينظمها خطيطات،"Sheema" نتائج ذهنية"[2].

ب-الطريقة الحوارية والنقاش(بالتعرف والتبين والحوار):

إنَّ المحتوى الحجاجي والاستدلالي للنصوص الذي يعتمد النقاش والحوار، يمثل إجراء شفويا ومعرفيا(مثل: القصة، المثل، الحكمة...)، بما هو بناء للفكر والترتيب المنطقي، في المقابل يمثل الحوار والنقاش ضربا من تقريب هوة الاختلاف وقبول الآخر.

جـ- الطريقة التأملية(بالخبر والذكر):

تهدف استراتيجيات التعليم والتعلم المعاصرة، إلى تنمية سبل التفكير[3]، وهو من الأساليب التربوية قبل أن يكون تعليميا، وقد بينت نصوص فلسفة الجاحظ القائمة على البيان ضمن عالم الإنسان الصغير سليل العالم الكبير المتمثل في السموات والأرض والمخلوقات.

د-طريقة الأحداث الجارية(الاستعمال/النصبة):

وتقوم على" ربط الدرس بحياة المتعلمين الواقعية من خلال الوقائع والأحداث التي يمرون بها بقصد استخلاص العبرة والعظة"[1]، وهذه الطريقة تجعل المتعلم جزءا لا يتجزأ من

1- العرفانية وبناء المعرفة، عبد الرزاق عمار ، دار سحر، تونس، (دط)، 2014، ص151.

2- المرجع نفسه، ص157، وقد بينا في المبحث الأول خصائص التعلم الفطرية وقوى الإنسان، وسبل تهذيبها وعلاقتها بالكون.

3- ينظر: إستراتيجية التعليم والتعلم الحديثة، حسن حشاتة، ص 208-213.

المجتمع الإنساني، وتساعده كذلك في تحديد ملامح واتجاهات المستقبل، بتفهمه مجريات وأحداث ماضيه و حاضره، وإيجاد حلول للمشكلات التي يتعرض لها[2]؛ والجاحظ في نصوصه التي يقدمها اهتم بالكثير من القضايا التي راجت مثل الشعوبية؛ والترجمة والفلسفة؛ والعلوم الإحيائية؛ إضافة إلى العلوم الإسلامية والتاريخ.

5-تكوين كفاءة ومهارة التحدث (لبّ نظرية الجاحظ في البيان):

اعتنى الجاحظ بمقتضيات الإبانة" كمال الآلة وإحكام الصيغة" ، وخصها في مجموعة من المبادئ والأسس وهي" الطبع والدربة ورواية الكلام، والعلم والمعرفة"[3]، وهذا الاعتناء بمقتضيات الكلام والإبانة، والمقام هو تعريف وظيفي راعى فيه جميع أطراف التحدث(المتكلم، الكلام، السامع)، ومما يميز نظرية الجاحظ تفطنه للكثير من القضايا المتعلقة بأمراض النطق والكلام، في تحليله للخطب المشهورة آنذاك؛ وهو بذلك عبقري زمانه ورائده عندما بيَّن تلك الأمراض وأسبابها وكيفية معالجتها.[4]

خلاصة :

- للجاحظ رؤية عالمية وإنسانية كلية عندما تحدث عن البيان والتبيين اللذين هما مظهر الملكة اللغوية عند الإنسان؛ وهذه النظرة تطلبت منه أن يكون ذا منهج يتسم بالشمولية التي يقتضيها اللسان العربي لسان القرآن العظيم الذي أرسل للعالمين.

-وما دام هذا حال الرسالة التي جاءت بلسان عربي مبين؛ فإن الغاية التي لها من أمرها بوصفها أداة التبليغ هي غاية تبيين المنهج الذي جاء به سيد الخلق محمد النبيّ الأميّ العربيّ؛ فهو وإن كان عربي اللسان فإن غاية الرسالة تقضي أن يكون التبيين شاملا وإنسانيا

---

[1] – إستراتيجية التعليم والتعلم، حسن حشاتة، ص63.

[2] -ينظر المرجع نفسه: ص74-76.

[3] – ينظر: التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس(مشروع قراءة)، حمادي صمود، منشورات الجامعة التونسية، 1981، ص208-233.

[4] – ينظر: رؤية الجاحظ لنشأة اللغة وأهم الأمراض اللغوية التي تصيب اللسان البشري-من وجهة مازن الوعر، ابن شتوح عامر، مجلة كلية التربية الأساسية لعلوم التربية والإنسانية، جامعة بابل، 2017.

وهذا ما دعا بالجاحظ أن يكون ذا نظرة كلية في بيان مسلك هذا اللسان من بلاغة وتعليم وعلم ومعرفة .

-فلو كانت نظرته متعصبة للسان العربي لكانت قاصرة عن تلك المعارف الموسوعية التي قدمها في مؤلفه البيان والتبيين؛ بل لجعل البيان مقتصرا على العربية وهذا ما نبه إليه في تعريفه لمصطلح البيان.

-النظرة الموسوعية ضرورية في تطعيم المناهج؛ التي نراها اليوم لا تتجاوز التقعيد والنحو والتجريد؛ بل إن الدول المتقدمة تقدم محتوياتها اللغوية بحسب كل مجال وبحسب كل طور وبحسب كل فئة وقد غاب عنا الآن وأسلافنا منذ قرون وهذا الجاحظ منهم يبين لنا أن تعليم الملكة اللغوية لا تحدها قائمة مفردات ولا مجموعة قواعد تجريدية؛ ولا أن تدرس لذاتها؛ فمنهج الجاحظ يعطينا صورة واضحة لحياة ملكة العربية آنذاك؛ وهي أن تكون لغة الدين، ولغة العامة والسياسة والعلم والفلسفة، وكل مجال من مجالات الحياة.

الفصل االثالث: تحصيل الملكة اللغوية بين حدود النظر ومقومات التحقيق عند ابن خلدون

المبحث الأول: الملكة اللغوية والفعل والسلوك وتقويم اللسان

المبحث الثاني:درجات وصف علوم اللسان للبيان العربي(حدود النظر)

المبحث الثالث: أوجه التحقيق في الملكة اللغوية وطرائق تحصيلها

تمهيد :

بداية وفي حدود اطِّلاعنا استوقفتنا مسألة تتعلق بارتباط مصطلح (ملكة) بمصطلح (لغة) الذي لم يظهر إلا عند ابن خلدون [1] في كتابه المقدمة، وغالب الظنّ أنَّ هذه المسألة تعود إلى محاولة شرح حدود الملكة اللغوية العربية عنده في ضوء نظرية البيان العربي؛ ونعني بالنظرية تمييزه لشروط الملكة اللغوية بما هي فطرة وقريبة إلى الطبع عند العرب، الأمر الذي فسَّر به ابن خلدون شروط البيان العربي وأوجه النظر فيه؛ عبر إعطاء خصائصه النظرية، وآلياته، ومصطلحاته، ومنطق خطابه، وأخيرا هدف هذا النظر؛ المتمثل في الحفاظ على شروط الفهم والأداء الفطري للغة العربية التي بها يتم فهم القرآن العظيم.

وعليه فإننا نرى فكرة ابن خلدون تصورا شاملا للملكة عند الإنسان، والملكة اللغوية بصفة خاصة؛ وهذا يفسّر وعيه ببيان شروطها ومتطلباتها، التي ستفسح المجال فيما بعد بتهذيبها، وكذلك تعليمها.

---

[1]– ولد ابن خلدون في تونس في غرة رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة، واسمه الكامل عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن جابر ابن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون، ونشأ في "تونس وشبَّ بها أعجوبة من أعاجيب العقل وسعة الاطلاع ودقة الملاحظة، ولي الكتابة والوساطة بين الملوك في المغرب والأندلس.ثم انتقل إلى مصر حيث قلَّده السلطان برقوق قضاء المالكية، ثم استقال من منصبه وانقطع إلى التدريس والتصنيف، فكانت مؤلفاته من أهم المصادر في الفكر العالمي.وأشهرها"كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" وهو كتاب يقع في سبعة مجلدات. وأعظم أجزائه وأشهرها الكتاب الأول المسمى "مقدمة ابن خلدون".

يمتاز أسلوبه بالأسلوب السلس البياني، المتسلسل لا تكلَّف فيه ولا سجع؛ نظرة المحقق للأحداث التاريخية، مزاولا بين النظر والنفاذ إلى الأعماق أو التحقيق في جميع مظاهر العمران، والعلوم والمعارف والصناعات والفنون، وكذلك التفهم الصحيح للعمران الاجتماعي، على هذه جميعا لا يمكن أن تخضع للقواعد والتقليد دون أن يكون الإنسان أساس الإبداع فيها، الذي هو وجه الفطرة في الكون وأصل العمران والاستخلاف. و هذا كان من أهم أسباب ترجمة مقدمته إلى لغات مختلفة، توفي ابن خلدون في يوم الأربعاء السادس والعشرين من شهر رمضان، سنة ثمانمائة وثمانية، ودفن بمقابر الصوفية بالقاهرة ، للاطلاع أكثر على سيرته يراجع كلا من: المقدمة، تاريخ العلامة كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ومن عاصرهم، من ذوي السلطان الأكبر، وهو تاريخ وحيد عصره، العلامة عبد الرحمن ابن خلدون المغربي، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت–لبنان، مج: 1، ط2، 1979، مقدمة الناشر، والتعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، عبد الرحمن بن خلدون، دار الكتاب اللبناني، دط، 1979، وكذلك شفاء السائل وتهذيب المسائل،أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن خلدون، تح : محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، بيروت–لبنان، ط1، 1996، ص27.(بتصرف)

إذا فابن خلدون أراد من خلال حديثه عن علوم اللسان العربي أن يفصل لنا أكثر روابط نظرية البيان العربي، ووضعها في طريق استثمار تعليمها للناطقين بغيرها، لا سيما وأنَّه نظر نظرة المحقق للوقائع التاريخية بما فيها مسألة اللغات، ولمس جوهر الإشكالية المتعلق بالإبداع والارتجال، وهذا الأخير لا تحدُّه الوقائع والقوانين ولا القواعد؛ لأنَّه خاص بكل عصر، و في كل عهد تتبيَّن فيه مذاهب النَّظر الإنساني والتأليف فيه.

المبحث الأول: الملكة اللغوية والفعل والسلوك وتقويم اللسان

أولا : حدود الملكة اللغوية :

في الفصل الأخير من كتاب المقدمة لابن خلدون المعنون تحت " تعليم العلوم"؛ انطلق ابن خلدون في تنظيره للملكة بصفة عامة والملكة اللغوية على الخصوص بتمييز الخصائص المميزة للفعل عند الإنسان والخصائص المميزة للنفس كذلك وعلاقتها بالعمران(المجتمع)؛ وبنى عمله إزاءها بكيفية تحصيلها واكتسابها للأفعال وتحصيل اللغة؛ وفي كل ذلك جانب مهم يطلقه ابن خلدون حتى يعطينا حقيقة الملكات عند الإنسان، وحقيقة عملها مع الخارج في الكون وغيره مما تنبه إليه ابن خلدون في كل جزئية تناول فيها إما تحصيل ملكة علمية أو ملكة لغوية أو ملكة خلقية. وحاصل ذلك كله البيان الذي هو عبارة عما في الضمير[1].

ومسألة إرجاع الملكة اللغوية إلى النَّفس عند ابن خلدون تنطلق في ضوء إبراز الاستعدادات النفسية والجسمية؛ وهذه الأخيرة تمثل جانب التمييز عند الإنسان، والذي يعدُّ أساسا لإدراك الأصوات اللغوية انطلاقا من درجات السماع الذي يتخذ أصل التعلم على العموم ويكون بالتدرج والنمو الجسمي لهذه المرافق والحواس.

ونحن نرى أنَّ ابن خلدون حاول أن يجسد فكرة التحصيل للملكة اللغوية، في صور ومصادر عديدة للتجميع والتمييز عند الإنسان، وهي نظرة مستمدة من البيان العربي عبر النصوص التي يستشهد بها؛ وهذه الصور هي العبارة والمشافهة والكتابة، و أيضا التعمير، لذلك عدَّها مبادئ أساسية في بيان الجانب التحصيلي للملكة اللغوية، لكن ما يميّز ابن خلدون في هذه النظرة عدم الخلط بين الملكة اللغوية وبين العلوم العقلية؛ وذلك لأنَّ الملكة

[1]- ينظر: المقدمة، ابن خلدون ، 1/1023- 1024.

اللغوية خاصية متعلقة بالإنسان، وحالات راسخة وكيفيات نفسية مجهولة الأسباب إلا ما يظهر في تفصيلها وهو البيان والعبارة.

ليست اللغة بصفتها المقطعية الصوتية؛ بمنفصلة عن الإنسان، فإن كان في عضو من أعضاء الجسم فهو عائد إلى هذه النفس في بدايتها. وهذه الخاصية هي التي أتعبت الفلاسفة واللسانيين عندما نظروا لها واضعين هذا الانفصال الذي انجر عنه إشكالات عديدة من بينها؛ النظرة الوصفية لمقاطع الكلام وأوضاعه اللغوية؛ والنظرة الاستنباطية التي بحثت في قوانين المعنى والدلالة انطلاقا من أساليب الكلام في التركيب.

لكن ابن خلدون لما تناول اللغة بوصفها ملكة من ملكات النفس قد أرجع لها حقيقتها النفسية؛ وفي الوقت نفسه أنها ليست طبيعة [1]ولا غريزة لأن طبيعة الملكات إنما هي أفعال ترد إلى النفس فإن كانت منطقا كانت منطقية وإن كانت فلسفة كانت فلسفية وإن كانت نحوا كانت ملكة نحوية؛ وإن كانت تصوفا كانت خلقية؛ وإن كانت لغوية؛ هنا تكون الملكة اللغوية بالمنشأ وتصير عبارة وبيان الإنسان عما في ضميره.

1-مفهومها:

يقول ابن خلدون : "اعلم أنَّ اللغات ملكات كلها شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان، للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام تلك الملكة ونقصانها وليس بالنظر إلى المفردات، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب. فإذا حصلت الملكة في تركيب الألفاظ المفردة بها عن المعاني المقصودة، ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام مقتضى الحال بلغ المتكلم الغاية من إفادة مقصوده للسامع، وهذا هو معنى البلاغة. والملكات لا تحصل إلا

[1]-ينظر مفهوم الطبع: مقاييس اللغة، ابن فارس، 438/3. مثلما رأينا عند الجاحظ سابقا، أنَّ الملكات تنشأ وتتطور من السكون إلى الحركة، ينظر: الحيوان، الجاحظ، 202/1.

بتكرار الأفعال، لأن الفعل يقع أولا ثم تعود منه للذات صفة، ثم تتكرر فتكون حالا. ومعنى الحال أنها صفة راسخة، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة"[1].

هناك ثلاثة أجزاء يوجبها التعريف :

أ-جزء يتعلق بحقيقة الملكة اللغوية: أنها نفسية؛ وتكون في اللسان .

ب-جزء يتعلق بوصفها تكوينيا: من خلال المراحل التي ترتب فيها، بدءا من المعاني والمقاصد؛ وصولا إلى قدرة التأليف والتركيب ثم الفائدة والتبليغ وهي غاية هذا الكلام.

ج-جزء يتعلق بتهذيبها: وهنا تكمن الرياضة؛ رياضة نفسية وذهنية وعقلية، تترتب عنها أحوالا ثم ترسخ تلك الأحوال إلى أن تصير أحوالا راسخة.

ومما سبق يتجلى لنا بوضوح نظرة ابن خلدون الشاملة، لأنه أرجعها للإنسان، وأهم ما يمكن أن نصف به الإنسان ما يملكه من استطاعة وقدرة وإرادة؛ وما يمكن أن يحدثه الفعل في سلوكه؛ وتبقى اللغة هي أحد مظاهر هذا الفعل.

2- الاستعدادات النفسية والجسمية:

يقول ابن خلدون: " فالمتكلم من العرب حين كانت ملكته ملكة اللغة العربية موجودة فيهم، يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم، في مخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم، كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها، فيلقنها أولا، ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك. ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم، واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة"[2].

يحدد لنا في نصه السابق أسس الرياضة وممارسة الكلام إلى غاية التمكن:

[1]-المقدمة، ابن خلدون، 1071/1.

[2]-المقدمة، ابن خلدون، 1/ 1071-1072.

أ-**السماع والمشافهة:** هي الأصل[1] في تحصيل الملكة اللغوية.

ب-**الحاجات التواصلية والمقاصدية :** وفيه تتجلى أهم مظاهر البيان التي يمكن أن يقوم عليها أساس الكلام.

جـ-**التلقين والتكرار:** ويضمُّ سماع الكلام في الخطاب وهو المشافهة والحضور؛ وفق المواقف في الحياة لا يتركها لحظة واحدة.

د-**النشء:** ويتعلق بالبيئة والزمن والانغماس اللغوي[2].

ثانيا : التمييز عند الإنسان :

الحديث عن الاستعدادات عند الإنسان، هو حديث لا يخلو من أمرين : أن توصف أفعال الإنسان، وهي مظهر متجليّ في جميع سلوكه من عمل وخلق وتعامل وكلام، وما شمله من درجات للبيان مثلما رأينا عند الجاحظ؛ ولبلوغ هذا البيان فإن ما يملكه من استعدادات نفسية وجسمية تخول له أن يقوم بهذه الوظائف في الحياة؛ حتى يندمج ويتكيف فيها، ويحصل علومه ومعارفه .

يقول ابن خلدون"فهو قبل التمييز خلو من العلم بالجملة، معدود من الحيوانات، لاحق بمبدئه في التكوين، من النطفة والعلقة والمضغة. وما حصل له بعد ذلك فهو بما جعل الله له من مدارك الحس والأفئدة التي هي الفكر. قال تعالى في الامتنان علينا: ﴿ **ثُمَّ سَوَّيهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالاَبْصَارَ وَالاَفْئِدَةَ** قليلًا **مَّا تَشْكُرُونَ**﴾ **(السجدة/8)** فهو في الحالة الأولى قبل التمييز هيولا فقط، لجهله بجميع المعارف. ثم تستكمل صورته بالعلم الذي يكتسبه بآلاته فكمل ذاته الإنسانية في وجودها. وانظر إلى قوله تعالى

---

[1]-ينظر في هذا الصدد: أهمية السماع في اكتساب اللغة وفي تعلمها قبل التمدرس، يحي علاق، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2010-2011؛ والحقيقة أنَّ ابن خلدون في هذه الرؤية يبين لنا بوضوح الاستعمال القرآني المتمثل في تقديم السماع بالنسبة إلى الكلام، وهذا يدل دلالة أخرى على حقيقة اللغة وتقديم مبادئ تهذيبها من غير السماع .

[2]- جاء في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، ص126-127، قول السيرافي النحوي ليونس بن متى المنطقي:"لأنَّ اللغة عرفتها بالمنشأ والوراثة، والمعاني نقرت عليها بالنظر والرأي والاعتقاب والاجتهاد...".

مبدأ الوحي: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ (العلق/ 1-5) "[1].

ومصطلح **التمييز** يلتقي في المعاجم اللغوية القديمة مع مفهوم التحصيل؛ وفي قوله تعالى: ﴿ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠ ﴾ (العاديات/ 10).

وهذه من الدلالات التي تلتقي كذلك مع **الاكتساب والتعليم** الخاص بتوظيف ابن خلدون لهذا المصطلح؛ إلَّا أنَّ المجال الذي وظف فيه علماؤنا القدامى مصطلح الاكتساب وغيره كان في المجال الديني ومنه وظف الآن في مجال تعليمية اللغات واكتساب اللغة، وعليه نفهم تداخل مصطلحات عديدة بين **الاستعداد والقدرات والملكات والكفايات.**[2].. وغيرها في التنظير لاكتساب اللغة وتعلمها؛ وتنطلق النظرية السلوكية بالقول بالفعل والمثير دون بيان هذا التمييز والتحصيل عند الإنسان الذي أشارت إليه الكتابات اللسانية العربية القديمة.

أمَّا الكفاية أو الكفاءة الآن بمفهومها فهي واسعة وشاملة لجميع المجالات والميادين بما فيها اللغة؛ والآن يبحث عن كيفية توظيف الإنسان لما يحصله من معلومات ومعارف[3].

1-تمييز الأصوات عند الإنسان :

الاستعدادات الجسمية والنفسية الموهوبة للإنسان المتمثلة في آلات الاكتساب من سمع وبصر وفؤاد إنما تكون عند الإنسان حتى يميز الأوضاع والكيفيات والهيئات التي يشير إليها

[1]-المقدمة، ابن خلدون، 1/847-848.

[2]-للتفصيل في الفرق بين الكفاية والكفاءة ينظر : العربية في اللسانيات التطبيقية، وليد العناتي، كنوز المعرفة، عمان-الأردن، ط1، 2012، ص171-206، ضمن مقال، كفايات الطالب الجامعي باللغة العربية-دراسة لسانية تربوية-في اللسانيات التطبيقية،

[3]-ينظر: نظريات التعلم وتطبيقاتها في علوم اللغة، اكتساب المهارات اللغوية الأساسية، عبد المجيد عيساني، دار الكتاب الحديث، القاهرة-مصر، 2012، ص107.

ابن خلدون في كلامه السابق؛ وقد ركز على السمع الذي يسميه" أبو الملكات"[1]، والحقيقة أن ابن خلدون يربط هذا التمييز بالتكوين والنمو الخلقي، إضافة إلى ذلك فإنَّ مرحلة السماع من أقدر المراحل على دخول الصبي مرحلة فهم معاني الكلمات المفردة، ثم الكلمات المرتبطة بالأحداث والأفعال، أو حتى الخيال.

وتمييز الأصوات من أصعب المباحث المعاصرة وذلك لارتباطها بالكلام الذي يختلف عن أصوات الحيوان، وتسمى بالتقطيع[2]، ولارتباطها بإدراك العلوم كذلك، والمعارف؛ أي بالتعقل والخيال والاستنباط، وهي لا تكتمل إلا في مراحل متقدمة من العمر عند الإنسان، وهناك اتجاهات عديدة في اللسانيات المعاصرة في بيان أهم مراحل السمع وارتباطه بالإدراك:

أ-**النظرة الوصفية (structures)** : وتتوقف عند مرحلة السماع أما مرحلة الدماغ وما يحدث في الذهن فلم تتكلم فيه إلا بوصفه صورة ذهنية للدال **mentale image)** **(sinifie** وصورة سمعية للصوت**(image acoustique)**[3].

ب-**النظرة الاستبطانية (Introspection)** : [4]وهي التي تدرس سيكولوجية التفكير وارتباطه بالفكر والعقل .

---

[1]-ينظر: المقدمة، ابن خلدون، 1056/1-1057.

[2]-ينظر في ذلك: الحيوان، الجاحظ، 70/1، ويسمى في اللسانيات الحديثة التمفصل المزدوج**(doble articulation)** تعليلا للوحدات اللغوية الدلالية، ويراجع في هذا الصدد كذلك : النظريات اللسانية والبلاغية عند العرب، محمد صغير بناني، ص 104 وما بعدها، والبيان والتبيين، الجاحظ، تح: درويش جويدي، ج1، ص58.

[3]- ينظر: محاضرات في اللسانيات بحسب النظام الجديد الليسانس والماستر والدكتوراه L.M.D، رابح بوحوش، دار العلق، عنابة-الجزائر،2015، ص 153 وما بعدها، بالنسبة للمصطلحات ومقابلاتها الأجنبية يمكن الاطلاع على كتاب: قاموس اللسانيات عربي-فرنسي، فرنسي عربي، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، دط، دت.

[4]-ينظر: اللسانيات التوليدية، من التفسير إلى ما وراء التفسير، نعوم تشومسكي، تر: محمد رحالي، ص16 (ضمن فكرة اللغة الداخلية واللغة الخارجية).

جـ-النظرة المعرفية (Cognitive): وتدرس كل ذلك مع ارتباط اللغة بالأعصاب والوراثة والعقل والمنطق.

2-درجات السماع والتعلم :

ارتبط السماع عند علمائنا قدامى بالاكتساب والتعلم، وهو يأتي في صفة تدرجية مع النمو الجسمي للإنسان والنمو العقلي؛ وما يلاحظ عند العرب في عهد السليقة؛ من وصف لتلك الملكات في تحصيل العلوم والمعارف إنما كان على ما يحصلّه الراوية من سماع الأخبار وحفظ الأشعار، وعلم الأنساب والأجناس؛ وهذا يعدُّ بالضرورة قياسا أيضا لما يعلمه هذا المتعلم.

إنَّ السمع أساس اكتساب العلوم عند الإنسان في نظر ابن خلدون، والعلاقة بين الصوت والدلالة اللغوية عند تمييزها؛ ارتبطت عند البيانيين القدامى ضمن ما يعرف ب: العجمة: وهي سماع الكيفيات للأصوات غير لغة الأم، أو بما يطرأ على السمع مثل الغفل : وهو الذي لا يفك دلالات اللغة تركيبا ودلالة ولا يميزها ولا يفصل فيها؛ وهناك ما يسمّى بالوقر، والأكنة وهي الأغطية ؛ **قال الله تعالى:** ﴿ ﴿٤٥﴾ **وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا** ﴿٤٦﴾ ﴾ (**الإسراء/46**) وغيرها من الكلمات المذكورة في القرآن العظيم.

وتتجلى علاقة ملكة السماع بالملكات الأخرى عند الإنسان مثلما نفهم من كلام ابن خلدون[1] في :

أ-الخبر والوصف: فهو فهم الإنسان لأوصاف الأشياء وتخيلها وإعطائها الصورة المناسبة لها.

[1]-ينظر: المقدمة، ابن خلدون، 1/1056-1057.

ب–تمييز الأصوات عن غيرها من أصوات الموجودات؛ فيتم فهم دلالات تلك الرموز الصوتية.

جـ–مدخل للإرادة والتفكر والتعقل والتأمل.

د–مؤدى لحركة النطق والكلام.

هـ–إدراك الخطأ من سماع التركيب والكلام؛ وذلك بالنظر إلى قدرة القياس التي يمتلكها في تقدير الأصوات، وتمييزها عن أصوات أجنبية للغة أخرى؛ وهذا ما تتميز به العربية من خصائص لمخارج حروفها، وصفاتها.

و–مدخل للانسجام النفسي، الذي تحدثه تلك الأصوات، ولهذا كان رومان جاكبسون (Roman Jakobson)ممن وضعوا الوظيفة الشعرية للغة، وهو الجانب التأثيري لها.

ثالثا: التجميع :

لم يحدِّد ابن خلدون طبيعة الملكة اللغوية، إلا من ناحية كونها صفات نفسانية وأحوال وكيفيات تعود على النفس بفعل ما، وترسخ بتكرار تلك الأفعال، التي تنشأ منها جميع الملكات عند الإنسان؛ وطرق هذا التجميع تختلف عند ابن خلدون وقد حددنا طرفا منها فيما يخص السماع والآن نأتي على ذكر ما ذكره من طرق للتجميع والتحصيل :

1–الكتابة:

الكتابة ملكة عند الإنسان، وهي بيان عما غاب في شكل رموز مثلما يذكر ابن خلدون، وهي الفعل الذي يتحدد باليد، وهنا نفهم إعطاء ابن خلدون شأنا كبيرا للفعل والسماع، والكلام، في حين تكون الكتابة والقراءة بالبصر متأخرة في المرتبة، وهذه المدارك التي حصَّل بها الإنسان العلوم والمعارف ذات طبيعة نفسية "...قد ذكرنا في الكتاب أنَّ النفس الناطقة للإنسان، إنَّما توجد فيه بالقوة . وأن خروجها من القوة إلى الفعل إنما هو بتجدد العلوم

والإدراكات عن المحسوسات أولا؛ ثم ما يكتسب بعدها بالقوة النظرية إلى أن يصير إدراكا بالفعل وعقلا محضا؛ فتكمن ذاتا روحانية وتستكمل حينئذ وجودها"[1].

فالفعل هو خروج من القوة يستلزم تجدد الإدراكات مثل الإدراك الذي يأتي من السمع والبصر وغيره، ويلزم عنه اكتساب ملكة أخرى هي ملكة النظر، والتعقل؛ فما هي هذه الملكة وما علاقتها بالملكة اللغوية؟

أ-دور الكتابة في اكتساب ملكة التعقل :

يركز ابن خلدون على صفة الكتابة في تحصيل الملكة اللغوية؛ وغالب الظن أن نظرته نظرة تأملية تبحث في أدق ما يميز هذه الملكات والأقرب لها فـ" الكتابة من بين الصنائع أكثر إفادة لذلك، لأنها تشتمل على العلوم والأنظار، بخلاف الصنائع. وبيانه أنَّ في الكتابة انتقالا من الحروف الخطية إلى الكلمات اللفظية في الخيال؛ ومن الكلمات اللفظية في الخيال إلى المعاني التي في النفس؛ فهو ينتقل أبدا من دليل إلى دليل، مادام ملتبسا بالكتابة وتتعود النفس ذلك دائما. فيحصل لها ملكة الانتقال من الأدلة إلى المدلولات؛ وهو معنى النظر العقلي الذي يكتسب به العلوم المجهولة، فتكسب بذلك ملكة من التعقل تكون زيادة عقل. ويحصل به مزيد فطنة وكيس في الأمور، لما تعودّوه من ذلك الانتقال"[2].

فحصول العلوم واكتسابها، يتم من الدوال إلى المدلولات، وهذه الدوال هي الحروف الخطية للكلمات، ثم إلى الألفاظ في الخيال إلى معاني النفس.

---

[1]-المقدمة، ابن خلدون،767/1، وينظر: نظريات التعلم في علوم اللغة، ص128-131، وينظر: التقويم اللغوي في الكتابة والتفكير التأملي، أكرم صالح محمود خوالدة، الفصل الثالث والرابع وملخص الفكرة أن التفكير التأملي يعتمد على تنظيم المعارف القديمة وما يضاف لها من جديد، أو ما يسمى بالبنيات الذهنية المجردة، ويأخذ نشاط الكتابة النصيب الأوفر من تحصيل المعلومات من أبسطها إلى أعقدها من خلال التفكير والتأمل، وللتفكير التأملي طرائق عديدة في التحصيل والتدريس، ومناهج مضبوطة.

[2]-المقدمة، ابن خلدون، 768/1.

وطرحه السابق يعدُّ نوعا من التأمل، لأنَّ الدوال قد تكون صورا كذلك؛ ومنه نفهم العلاقة بين النظر في الصور والنظر في الكتابة؛ فالتأمل الكتابي[1] خطي وترتيبي متدرج؛ يحتاج سرعة عالية، وقد يكون نطقها–أي الحروف والكلمات والجمل– له درجات كذلك وهذا ما يتناوله المحدثون حول صفات البصر وعلاقتها بالمبصر؛ وله علاقة بالفهم والاستنباط، والتدبر .

في حين تكتسب الصور صفة إجمالية؛ ترتبط بالخيال، وتأخذ أبعادا كثيرة بالفعل والمكان؛ ولو عبر عنها بالكلام والكتابة لصار ذلك أطول.[2]

وفيما يلي مخطط[3] يشرح لنا هذه العملية:

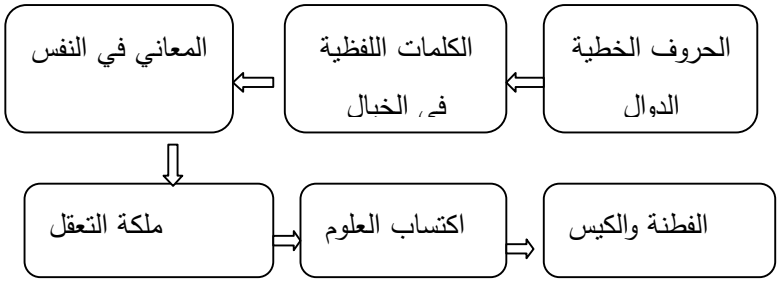

مخطط(4)يوضح دور الكتابة في تحصيل ملكة التعقل عند ابن خلدون

ب–ملكة التعقل في وجود عجمة اللسان :

تحدَّث ابن خلدون في أكثر من موضع على أنَّ الملكات وتحصيلها تكون لمن كان له تهيؤا بالفطرة للقبول، وذلك أن للنفس البشرية ألوانا تظهرها تلك الملكات؛ إن كانت صناعة أو علما أو كلاما" والسبب في ذلك أن الملكات صفات للنفس وألوان؛ فلا تزدحم دفعة.ومن كان على الفطرة كان أسهل لقبول الملكات وأحسن استعدادا لحصولها. فإذا تلونت النفس

[1]– يراجع بنظرة معاصرة: نظريات التعلم وتطبيقاتها، ص128–131. وفيه القراءة الصامتة والجهرية وغيرها....، ومن معاني كلمة (بيان) في لسان العرب: توسم، تأمل، كشف، ينظر : المبحث النظري في هذه الرسالة، ملدة(بين).

[2]– ينظر: اللغة والتفسير والتواصل، مصطفى ناصف، ص303–306.

[3]–قمنا بإنجاز هذا المخطط بالاعتماد على نص ابن خلدون السابق، تسهيلا للقارئ.

بالملكة الأخرى وخرجت عن الفطرة ضعف فيها الاستعداد باللون الحاصل من هذه الملكة، فكان قبولها للملكة الأخرى أضعف..."[1].

ويشرح ابن خلدون قضية العجمة وعلاقتها بالتفكير والبحث بطريقة دقيقة فاحصة، وقد وقعنا على أمور مهمة تفسر وتشرح العلاقة بين اللغة والفكر، فهل يحدث التعقل نفسه لصاحب الملكة الثانية؛ وهذا ما تحاول اللسانيات التطبيقية وتعليمية اللغات الإجابة عنه.

يقول ابن خلدون" والسرّ في ذلك أن مباحث العلوم كلها إنما هي في المعاني الذهنية الخيالية، من بين العلوم الشرعية، التي هي أكثر مباحثها في الألفاظ وموادها من الأحكام المتلقاة من الكتاب والسنة المؤدية لها، وهي كلّها في الخيال؛ وبين العلوم العقلية، وهي في الذهن. واللغات إنما هي ترجمان عما في الضمائر من تلك المعاني، يؤديه بعض إلى بعض بالمشافهة في المناظرة والتعلم، وممارسة البحث في العلوم لتحصيل ملكتها بطول المران على ذلك..."[2].

وفيما يلي مخططان [3]يشرح قول ابن خلدون فيما يخصُّ تحصيل الملكة اللغوية بالعبارة وبالخط؛ وعلاقتها بالملكات الأخرى:

[1]–المقدمة، ابن خلدون، 721/1، لم نجد في هذه الطبعة(لبنان 1979) الصفحة، فأكملناها من نسخة أخرى، فيما يتعلق بالجملة (ضعف وما بعدها)، يمكن الرجووع إلى: مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، دار ابن الجوزي، القاهرة– مصر، ط1، 2010، ص336.

[2]–المقدمة، ابن خلدون، 1051/1–1052.

[3]–المخططان توضيح فقط لنص ابن خلدون السابق، أردنا أن نبين فيه أسس التحصيل بالنسبة للملكة اللغوية؛ وتوظيف ابن خلدون لتلك المصطلحات الدقيقة في وصف طبيعة الملكات الإنسانية بما فيها اللغة.

-تحصيلها بالعبارة والمشافهة :

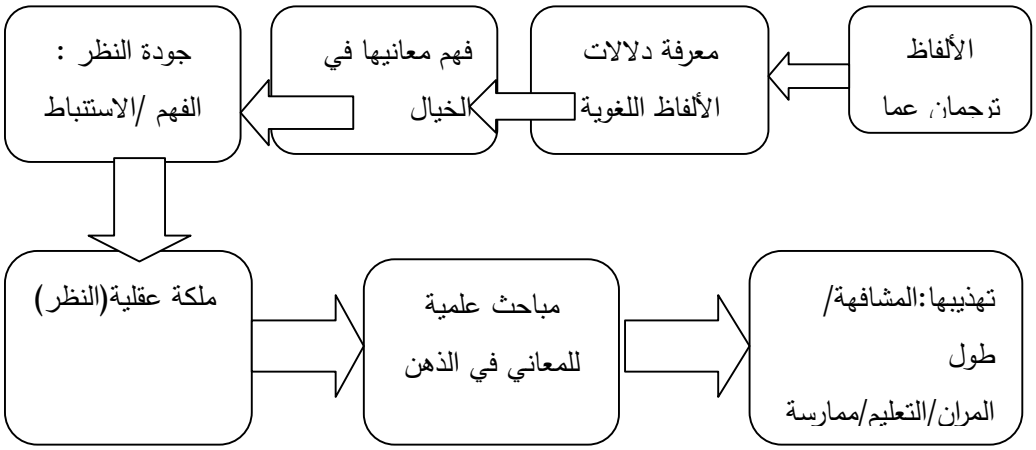

مخطط(5) يوضح تحصيل الملكة اللغوية بالعبارة والمشافهة

-تحصيلها بالخط والرسم :

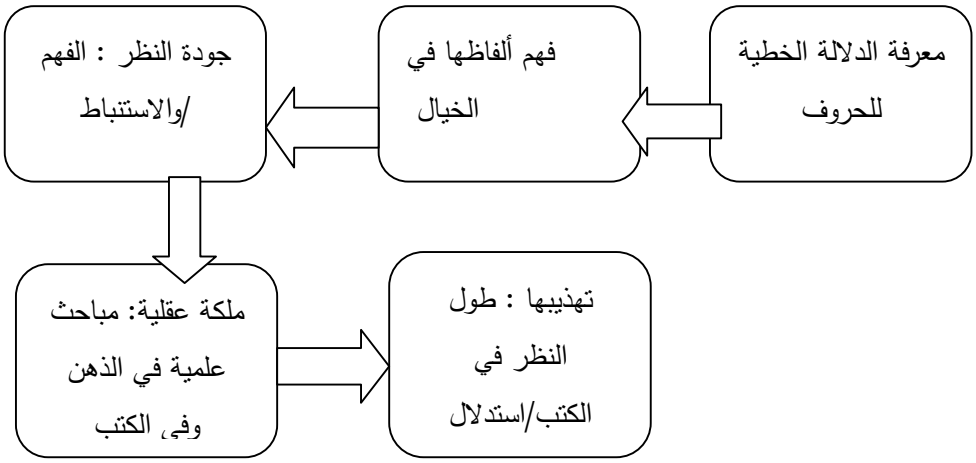

مخطط(6)يوضح تحصيل الملكة اللغوية بالخط والكتابة

وفي حال كانت الملكة اللغوية الثانية؛ فإنَّ تلك المراحل تصير صعبة ومعها تكون الألفاظ واللغات ختاما على الفهم ومعرفة دلالات الألفاظ، وفهم معانيها في الخيال، فضلا عن ممارسة البحث في مباحثها الذهنية.

2-النقل والعقل والتقليد[1]:

تطرقنا بداية الرسالة إلى تعريف مصطلح "الملكة "، وخلصنا إلى أنها كانت تعني في التراث المعجمي العربي" الخُلق"، أو فيما معناه (السلوك/الفعل/العمل)، وهذا يوصلنا إلى فكرة طرحها ابن خلدون في كيفية تحصيل الإنسان للصنائع، بما فيها ملكة اللغة، ويركز على نقطتين أساسيتين، في هذا الاستعداد النفسي المهيأ عند الإنسان لأن يكتسب العلوم والمعارف، بواسطة اللغة آلة البيان لهذه العلوم[2]

ترتكز النظريات المعاصرة في مفهومها للتعلم على عدة محاور منها، الجشطلتية والبنائية لبياجيه، والعقلية لتشومسكي، من خلال محاولة تفسير تلك المعلومات والمعاني المجتمعة في نفس الإنسان، وتسمى ب(البنيات المجردة والمنطقية الذهنية)، وهذا الوصف يبين حقيقة أخرى تتعلق بالبيان العربي، وتختلف عن هذا الرأي؛ وهي أنه لا يمكن الخلط بين تلك المعاني الذهنية والآلات المنطقية، وبين تحصيل اللغة، على اعتبار أنَّ ابن خلدون شرح العلوم العقلية في موضعها، وأفرد لتحصيل اللسان العربي فصلا بين فيه حدود النظر اللساني العربي وحدود التحقيق التي هي(الفطرة والارتجال) والسليقة:

*احتياج الإنسان لأبناء جنسه.

*المعاونة (المؤالفة)، أو المفاوضة (المنافرة).

ويكون مثلما فصلنا الفكرة عند الجاحظ؛ من أنَّ **البيان** أساس هذا التعاون والاجتماع والقوام،[3] وعن كيفية التجميع والاستفادة تكون إمَّا بالطبع أي التجربة فعلا وتركا؛ بحسب

[1]-في نسخة الطبعة جاء عنوان النص في طبعة المقدمة(العقل التجريبي)، ونحن هنا اخترنا المصطلح(تعمير)، لما يفيده في بناء المفاهيم عنده الخاصة بالعمران والتحصيل والتعلم.

[2]-للتفصيل يراجع: المقدمة، ابن خلدون، 1075/1، وصناعة الملكة اللغوية في الفكر العربي القديم-الأسس والآليات، عمر يوقمرة، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مج12، ع:01، القسم(ج)الآداب والفلسفة، ص160-169.

[3]-ينظر: الحيوان، الجاحظ، 44/1.

الزمن والواقع؛ وإمَّا بتقليد الآباء من المشايخ ومن لهم خبرة، وهنا يظهر تأصيل ابن [1]خلدون وبناء **أسس التعلم**، فهو يعطيها مفهوما شاملا؛ لا يقتصر على حصر تلك المواهب؛ بل حتى الآثار من التاريخ والعبر وغيرها؛ وفي ذات السياق يقول ابن خلدون " وهذه المعاني التي يحصل بها ذلك لا تبعد عن الحس كل البعد، ولا يتعمق فيها الناظر؛ بل كلها تدرك بالتجربة وبها يستفاد، لأنها معان جزئية تتعلق بالمحسوسات وصدقها وكذبها، يظهر قريبا في الواقع؛ فيستفيد طالبها حصول العلم بها من ذلك. ويستفيد كل واحد من البشر القدر الذي يسّر له منها مقتنصا له بالتجربة بين الواقع في معاملة أبناء جنسه، وحتى يتعين له ما يجب وما ينبغي، فعلا وتركا. وتحصل في ملابسة الملكة في معاملة أبناء جنسه . ومن تتبع ذلك سائر عمره حصل له العثور على كل قضية قضية"[2].

ويمكن أن نفهم إذا أسس التعلم القائمة إمَّا على منهج التجربة أو منهج التقليد. وهذا كلّه يعمل ضمن الاستعدادات التي ذكرناها سابقا، وهي المواهب النفسية المتمثلة في التفكر والتعقل والتدبر والنظر، من طريق السمع والبصر والفؤاد.

ويورد الجاحظ في كتابه الحيوان فصولا للحديث عن سلوك الحيوانات؛ والطرح المعاصر العلمي للفهم عن هذه المخلوقات؛ يبين لنا أصواتها ومنطقها في التعامل، وهي كمال فيها وفي فطرتها، ويوضح في قوله أننا إن لم نفهم عنها فهي تدرك ذلك كله بلا عفو منها ولا تعليم وهذا من مفهوم ومبلغ البيان وضرورته للفهم وللاجتماع لسائر المخلوقات[3].

وشاهد ذلك حديثه عن الحكل والنملة، وروى بيت الشاعر رؤبة بن العجاج:

لَو كُنْتُ عُلِّمْتُ كَلَامَ **الحُكْلِ** عِلْمَ سُلَيْمَانَ كَلَامَ النَّمْلِ،

---

[1]–ينظر: المقدمة، ابن خلدون، 840/1–841.

[2]–المقدمة، ابن خلدون، 841/1.

[3]–للوقوف على نصه الكامل ينظر: الحيوان، الجاحظ،1/ 44، وينظر فكرة فلسفة التواصل الإنساني والخطاب: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، ص125.

و**الحُكْلُ** من الحيوان كلِّه، ما لم يكن صوت يستبان به، باختلاف مخارجه، ويذكر طه عبد الرحمن ضمن رؤيته لطبيعة التواصل الإنساني والخطاب، قراءات عديدة لأساس التواصل بين الإنسان وغيره؛ في مقاربة للمفهوم المعاصر الفلسفي، الذي يرى الطبيعة العقلية للتواصل الإنساني وقواعده ويضيف طه عبد الرحمن الخلق والعمل ويعطيه تصورا شاملا يضم كل المخلوقات، مثلما يوضح ابن خلدون في هذا الموضع،، لكن ابن خلدون يضيف معنى آخر في بيان إنسانية أهل الحضر والبدو، ويرى أن ليس للصنائع إلا الحذق والتجربة، وإنسانيته باقية، كذلك البدوي فهو على فطرته وكمال إنسانتيه وإن لم يمتلك الصنائع .

3-التحصيل بالعبارة والمشافهة (البيان ودرجاته):

البيان عبارة العلوم عما في ضمير الإنسان، ويكون ذلك إما بالمشافهة العبارة والخطاب، وإما بمدراسة الرسوم عبر القراءة في الكتاب.

ويميز لنا ابن خلدون المراحل التي يمر بها الفكر في الاستنباط، وحتى تشكل النظرية في الأخير والتعبير عنها بالخطاب؛ وهذا من أدق الخصائص لمفهوم الخطاب عند ابن خلدون؛ لأنه يستلزم مخاطبا ومخاطبا إليه؛ ويستلزم بناء منطقيا قائما على الحجج والأدلة؛ وهذه الخصائص هي :

أ-طريقة التأمل في الرسوم والألفاظ إلى معاينة دلالاتها[1]؛ وقد أوضحنا ذلك سابقا فيما يتعلق بالتعقل والقراءة، إلى معاينتها في الذهن(المعاني المجردة)، أي **التفكير** بلغة(مصطلح) العصر.

ب-طريقة يقف فيها الذهن محتارا في شبه الألفاظ[2]، وما يحدث من تناقض عند محاولة فهمها.

[1]-ينظر: المقدمة، ابن خلدون، 1/1034-1036.

[2]- ينظر: المقدمة، ابن خلدون، 1/1034-1036..

جـ–طريقة يكون فيها تسريح الذهن بالتوجه إلى رحمة الله تعالى وعطائه؛ لتجنب التباس الألفاظ وشبهها؛ وحصول العلم المطلوب، ثم بناء الخطاب والعبارة عما في الضمير[1].

ونحن إن تأملنا هذه الخصائص وجدناها عند العرب بأبسط ما يكون حين كانت الملكة العربية متمكنة فيهم؛ وهذا ما حصل مع البيان القرآني حين تلقيه زمن الوحي؛ إلا أنَّه وبمرور الزمن ونقصان الملكة اللغوية العربية، جاءت الحاجة إلى التفسير والاستنباط، وبيان أوجه الكلام العربي من النحو والبلاغة والبيان والأدب واللغة؛ مثلما نظَّر ابن خلدون في تعريفه لعلوم اللسان.

فطبقات اللفظ لها قسمة وخصائص فيما تعبر به عن النفس وأحوالها، وعن الضمير بصفة عامة، وما يحمله أو يحصله من علوم، وما دامت العبارة والخطاب هي كساء لهذه العلوم تعبر بها عن خارج الإنسان، فإنَّ الملكة اللغوية في حال تمكن صاحبها سماعا وكلاما وقراءة وكتابة؛ وفهما وتأويلا وتفسرا وتفكرا وغيره لها خصائص تميزها عن صاحب الملكة اللغوية غير المتمكن؛ وتحيلنا الفكرة إلى الترجمة الآلية (الحرفية) والترجمة (الحرة)، وخصائص كل منهما؛ ، لأن من مهام اللسانيات الحاسوبية الاستفادة من دراسة اللسانيات النفسية في بيان السيرورات الذهنية، لكن الفرق بينها وبين ما نحن فيه هنا، أن الترجمة الحاسوبية تعتمد على علم النفس المعرفي في النتائج التي حصل عليها وفق علوم الأعصاب والفيزياء والمنطق المعاصر والرياضيات وغيرها، وهي تبحث كيف يحصل الإنسان العلوم وعلاقتها بالعقل وكيف يترجمها لغويا[2].

وعليه فسَّر ابن خلدون قوله الترجمة، ووضعها في قالب الأنظار–يعنى الجزء الذي تحدث فيه عن ترجمة العرب للعلوم مثل الطب والفلسفة والكيمياء وغيرها.

[1]–يرى الجاحظ أن المعاني هي ضمائر الإنسان، ولها أجناس وطبقات، وفيما يتعلق بالعلوم والمعارف فسبيلها هو: الذكر والاستعمال والخبر، الذي يجليها للعقل، ينظر: البيان والتبيين، الجاحظ، 56/1.

[2]–يمكن الرجوع إلى تفاصيل المسألة في كتاب: اللسانيات الحاسوبية والترجمة الآلية،بعض الثوابت النظرية والإجرائية، سناء منعم، منشورات مختبر العلوم المعرفية، علم الكتب الحديث، إربد–الأردن، ط1، 2015، ص26–34.

ومنه فإنَّ من خصائص الخطاب؛ المنطق والمصطلح والدليل؛ وفيما يلي تبسيط لما قلناه:

-**الخطاب:** إما كتابة أو عبارة شفوية، وهو يفوق البناء اللغوي والاتساق والانسجام بين الجمل، إلى ما يدل عليه من دلالات، وقضايا، ومعارف وغيرها، متوجهة إلى المخاطب[1].

-**المصطلح:** وهو الكلمات التي تعبر عن المفهوم المحصَّل عند المخاطب؛ ولها خصائص كذلك، وهي بحسب المجال والتخصص؛" ويدل أيضا على أن تعليم العلم صناعة اختلاف الاصطلاحات فيه.فلكل إمام من الأئمة المشاهير اصطلاح في التعليم يختص به، شأن الصنائع كلها؛ فدلَّ على أن ذلك الاصطلاح ليس من العلم، إذ لو كان من العلم لكان واحدا عند جميعهم"[2]؛ فهو يحمل الخطاب على أساس الحجاج والتواصل.

وفي فكرة قريبة لهذا المفهوم يعدّ كلا من الإجمال والتفصيل هنا خاصيتين من خصائص اللغة الطبيعية، وليس فقط أسلوب في الشكل التركيبي؛ أي أنَّ اشتغال اللغة في الذهن يكون إجمالا، أمَّا إذا عبَّرت اللغة تصبح بيانا وتفصيلا بالألفاظ الواضحة، و يلتقيف فكرة ابن خلدون مع مبادئ تكون العبارة و الخطاب من منظور ابن عربي، فيكون اللِّسان حينئذ بيانه وتفصيله الذي يترجم أحكامه ويبين مجمله.

-**صحيح البنيان:** صحيح البناء ليس فيه تناقض، وفي موضع آخر بيَّن ابن خلدون خصائص كلٍّ من الفهم والوعي والاستنباط وعلاقته بالملكة اللغوية، وهذا يوضح لنا درجات البيان وإتقانه.

---

[1]-ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، ص225، ينظر: بتفصيل أكثر: المفاهيم اللسانية والتعليمية عند الجاحظ وابن عربي، جمعة نعامي وسيبوكر إسماعيل، ص259-261، سوف نشرح أكثر بحول الله فكرة ابن خلدون حول العبارة والمصطلح، وذلك من خلال قراءة دقيقة للفرق بين العبارة البلاغية والعبارة العلمية أو المنطقية.

[2]-المقدمة، ابن خلدون، 771/1.

يمكن أن نخرج بنتيجة أن ابن خلدون لم يدخل ماهية الملكة اللغوية ضمن العلوم العقلية، لأنه أبرز جملة من الاستعدادات النفسية والجسمية عند الإنسان، وآليات التمييز والتجميع لما يسمع وما يدرك من الأصوات اللغوية، وما يحصله كذلك من معارف عبر التعمير، والمشافهة والمحاورة والمخاطبة وأيضا الكتابة،، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الملكات مواهب ربانية، تهذب وتتطور بما تهذب به النفس، ولذلك كانت الملكة اللغوية عنده صفة راسخة في النفس، وتهذيبها هو تهذيب هذه النفس بداية.

المبحث الثاني : درجات وصف علوم اللسان للبيان العربي

أولا: المستوى النحوي :

لو تتبعنا حديث ابن خلدون عن علوم اللسان العربي، فإنَّنا سوف نرى ذلك المحور المتعلق بشروط ومتطلبات الملكة اللغوية في عهد السليقة العربية، وبمعنى آخر أنَّه كان يشرح في كل مرة منطلقات النَّظر إلى البيان العربي، وفي الأصل ما هو إلَّا القرآن العظيم الذي به قامت تلك النظريات والإجراءات في الحفاظ على شكله اللغوي، أو أدائه النطقي، أو فهمه وتفسيره؛ والحقيقة الأخرى التي تميَّز بها ابن خلدون تظهر في كيفية الانتقال من النحو إلى اللغة إلى البيان وأخيرا إلى الأدب، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على خبرة الرجل في شرح أسباب الانتقال المتمثلة في ربط باللغة بمستويات نظرية(ملكة لغوية)، ونعني بذلك أيضا بداية النظر في هذا البيان العربي، والذي سوف يتخذ إجراءات مختلفة وآليات متنوعة، عند جلّ المفسرين، والبلاغيين، بل وحتى المفكرين منهم.

حينما تكلم ابن خلدون عن علوم اللسان بين لنا المنطق النظري الذي أدته هذه العلوم في وصف الكلام العربي[1]، ووصف وجوه تصرفه، ومنطقه النظري اللغوي؛ وقد شرحنا في الفصل الأول الجوانب الوصفية للكلام العربي؛ يقول ابن خلدون عن درجات علوم اللسان العربي" ...في التوفية بمقصود الكلام، حسبما **يتبين** في الكلام عليها فنا فنا"[2]؛ والبيان الذي يشير إليه ابن خلدون يتمثل في نقطتين أسس عليهما هذه الفكرة وهما :

-**خشية الجهل والإخلال بالتفاهم:** وأصلها طريق علوم الشريعة.

[1]-للوقوف على أهم نظرياته على غرار نظريات التعلم والتحصيل واللغة يرجع إلى: دراسات عن ابن خلدون، ساطع الحصري، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الكتاب العلمي، بيروت، ط3، 1967.

[2]-المقدمة، ابن خلدون، 1055/1.

-**انغلاق فهم القرآن العظيم:** ويعني به تغير حركات الإعراب، وهي أساس نطق الكلمات القرآنية؛ إلا أنَّ ما يجب الإشارة إليه أن ابن خلدون لم يضع علم الرسم القرآني، لأنَّ الرسم والحركات وغيرها مما يتعلق برسم الكلمة القرآنية وكيفية أدائها، هو من السنة المتبعة، وهنا يحرص ابن خلدون على أن لا يخلط البيان القرآني بالبيان عند الإنسان، وقد نرجع ذلك إلى النظرة التاريخية التي يحلل بها هذه العلوم.

وللتبيين عنده درجات من هذا المنظور:

1-دليل الحركات :

فالحركة جزء من بيان المقصود؛ وهذه نظرة علماء اللغة العرب القدماء كذلك عندما وصفوا خصائص اللسان العربي[1]، ووقفوا منها على مسائل عديدة في نشأتها، وبيان وظيفتها البلاغية في تأدية الكلام؛ " فكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحسن الملكات وأوضحها إبانة عن المقاصد، للدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني.مثل الحركات التي تعين الفعل من المفعول من المجرور أعني المضاف"[2].

2-دليل الحروف:

" ومثل الحروف التي تفضي بالأفعال أي الحركات إلى الذوات من غير تكلف ألفاظ أخرى"[3] ؛ وهذا ما دققه عالم العربية ابن جني؛ وقد وقف على أبواب عديدة في صفات حروف العربية، وأدائها ومخارجها، واكتملت النظرة عند مصطفى صادق الرافعي، متقصيا وجوه أدائها جملة وتفصيلا.

3-جوامع الكلم :

يشكل مفهوم(جامع الكلم) أهم المبادئ التي يركز عليها ابن خلدون؛ في وصف البيان العربي، وخصائصه، وقد لفت إلى مسألة دقيقة، وحقيقة أخرى في كون البيان النبوي الشريف

[1]-ينظر: الخصائص، ابن جني، تح: هنداوي، 89/1.

[2]-المقدمة، ابن خلدون، 1056/1.

[3]-المقدمة، ابن خلدون، 1056/1.

يكتسي صفة الإحاطة[1] من الوجهة الدلالية؛ "فهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم:"أوتيت جوامع الكلم، واختصر لي الكلام اختصارا".فصار للحروف في لغتهم والحركات والهيآت، أي الأوضاع، اعتبار في الدلالة على المقصود غير متكلفين فيه لصناعة يستفيدون ذلك منها"[2].

وفي السياق نفسه أشار العقاد إلى بيان هذه المسألة وإن بدت متفرقة ومختصرة إلا أن الكلمة أحيانا تقوم مقام الخطاب وتؤديه وتنهض به؛ مثال ذلك الصفة المشبهة والظرف فهو وإن كان قليلا في العربية مقارنة باللغات الأخرى إلا أنّ له ما يعوضه في الدلالة وكل ذلك في المشتقات وأوزانها والأفعال وأحوالها ودرجاتها[3].

ويمكن أن نستنتج عدة مسائل ومبادئ منها :

أ-التيسير: ويخص جوانب الاقتصاد في الكلام أثناء المخاطبة[4].

ب-الأهم الدلالة عن المقصود من بيان الحركات والكلمات والحروف.

جـ-وظيفة اللسان الأولى: وهي **البيان** عن المقاصد؛ ومنه فإن ما يمكن أن نفهمه من كلام ابن خلدون يؤكد أنَّ المستوى النحوي جزء مهم في فهم البيان اللساني؛ يعكس شأن الحركات والحروف التي لها وظيفة في الدلالة؛ ليس هناك تحديد نهائي للفرق بين مصطلح(لغة) (لسان) عند ابن خلدون، إلا أن ما يمكن الخروج به في كون ابن خلدون وضح مسألة مهمة في تفريقه بين اللغة واللسان حينما أعطى حدود الوصف للملكات والوجهة الفعلية لها أي

---

[1]-تفسير ابن خلدون لهذه المسألة يحيلنا إلى فكرة أخرى مفادها، محاولته الرجوع إلى أصل الفطرة والشروط التي بيناها في الفصل الأول المتعلق بزمن السليقة العربية، فالعرب كانوا مثلما أشرنا سابقا عند الجاحظ يتكلمون دون صناعة قول أو إعمال فكر؛ أي على البديهة والارتجال، وغالب الظن لا يمكن أن نفهم تفصيل اللسان العربي إلا بأوضاعه التي يذكرها ابن خلدون، وربما لا يعني العالمية إلا من الناحية التي تحسب فيها المقارنة بين العربية والألسنة الأخرى.

[2]-المقدمة، ابن خلدون، 1056/1.

[3]-للوقوف على الأمثلة الشارحة وهي كثيرة أوردها المؤلف ينظر : أشتات مجتمعات، العقاد، ص66.

[4]-عن الإيجاز، من أدق ما قرأنا فيما يتعلق بالبيان العربي والإيجاز، قول الجاحظ: لا تخطئ ولا تبطئ، أي أن تجيب فلا تبطئ ، وأن تقول فلا تخطئ، ينظر: الحيوان، الجاحظ، 91/1-92.

تحقيقها، فهناك علم بكيفية وليس علم بنفس كيفية، لذلك نراه يفرق بين اللغة واللسان أي بين ما يعرف من الألسنة الجماعية الخاصة بقوم ما وبين الأداء الفعلي وهو اللسان الذي هو عبارة متقررة في العضو الفاعل له[1].

واللغة على حد تعبير ابن خلدون:"عبارة المتكلم عن مقصوده .وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان. وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم"[2]، فيكون لدينا جزء مضمر وهو المقاصد، وجزء ظاهر هو الفعل اللساني، والكيفيات المسموعة وتختصص بالإدراك والأحوال، أمَّا الاصطلاح فيختص بتفصيل تلك المعاني والأحوال المضمرة.

فنحن نحتكم إلى جانبين؛ جانب شفوي يضم العبارة والحروف والحركات والكلمات وهو الأصل في البيان، ويبقى الجانب الكتابي وهنا يرجع إلى البيان الأول فلا يمكن أن نحذف الحركات والحروف لأنها تابعة للمستوى الأصلي وهو الشفوي.

د-المزج اللغوي: وينشأ حسب ابن خلدون " بما ألقي إليها السمع من الخالفات التي للمتعربين من العجم. والسمع أبو الملكات اللسانية"[3].وهذا لا يمكن أن نحدّه لأنَّه سبب من أسباب العمران، وطلب الناس للتعمير؛ ولأنَّها كذلك حاجات لا تتوقف بالزمن والمكان؛ واعتبرت في وصف اللغويين من أهمّ ما يغير اللغات.

ثانيا : المستوى اللغوي :

يمثل المستوى اللغوي أساس المنطلقات التطبيقية في علم اللغة التي يمكن أن نفهم منها مسائل عديدة في جانب بيان المفردات ، يقول ابن خلدون " **هذا العلم هو بيان المفردات**

---

[1]– ينظر: معجم المصطلحات اللغوية في مقدمة ابن خلدون، دراسة في المفاهيم والدلالات، لمياء بوزعوط، مقال، مجلة (لغة-كلام)، المركز الجامعي بغيليزان، الجزائر، مج04، ع: 02، جوان2019، عن مفهوم اللسان واللغة، ص61.

[2]–المقدمة، ابن خلدون، 1056/1.

[3]–المقدمة، ابن خلدون، 1056/1–1057. رأينا في الفصل الأول أن سبب نشأة علم النحو خطأ الأعرابي في تلاوة الآية قوله **سبحانه وتعالى:** ﴿ **أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ**﴾ **(التوبة/ 3)**، بكسر آخر رسوله وهو خطأ ، ينظر : في أصول النحو، سعيد الأفغاني، ص7–8، وفيه تفصيل جيد للمسألة.

اللغوية "[1]؛ والفساد الذي لحق الموضوعات اللغوية يربطه بفساد فهم البيان القرآني والحديث الشريف، ومنه يمكن القول أنَّ هناك جوانب عدّة في الكيفية التي يكون عليها البيان:

1-الدليل المعجمي:

وفيه يتحدَّد التغير الذي يطرأ على المفردات من ناحية اختلاف المصطلحات؛ وهذه رؤية لسانية دقيقة تبرز كيفية نشوء الاختلافات بين المفردات العربية، وما يمكن أن يحدث من سوء فهم المدلولات.

و لعلنا نستأنس بمثال أوضح، يمثله غريب الحديث الذي يعدّ بداية هذا النوع من التأليف؛ فهو نشأ نشأة دينية تبحث في معاني مفردات القرآن الكريم[2].

2-الدليل الصرفي:

الدليل الصرفي لاحق هو أيضا بصناعة المعجم، لأنَّه أساس تكوينه، والتعرض للاشتقاق هو قاسم مشترك بين علم اللغة والصرف[3] لم يفرد ابن خلدون الصرف بكونه علما إلا حينما أشار إلى علم اللغة وصناعة المعاجم، وهذه نظرة ثاقبة تفسر لنا وعيه بجلّ خصائص البيان بما في ذلك ملكة اللغة التي هي فيما بعد تصرف في موضوعات اللغة. ؛ وهنا تمكن الخاصية النظرية والتطبيقية بين اللغة بوصفها وضعا عاما وبين تطبيقاتها التي هي تصاريفها؛ ومنه للتصاريف أوجه عديدة؛ هي المعجم والكلام، والتفسير والفهم غيرها.

---

[1]-المقدمة، ابن خلدون، 1059/1.

[2]-ينظر: حجة القراءات، للإمام أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة رحمه الله، تح : سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط5، 1997، ص20، والفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، الصناعيتين الكتابة والشعر، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تح: علي محمد بجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ص6-7؛ الذي مزج بين شرح المفردات الخاصة بالبيان العربي والتطور الذي لحقها في علم الكلام، وناقش كثيرا من المفاهيم الخاصة بالبلاغة والفصاحة وأنها لا تنسب إلى الله تعالى وذاته تقدس في علاه.

[3]- ينظر: ابن خلدون وآراؤه اللغوية والتعليمية(دراسة تحليلية نقدية)، فتيحة حداد، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، 2011، ص52-53.

3-الوضع العام والتركيب :

وهذا ما تحدده لغة العرف والجامع بينها يكمن فيما تضعه مفردات المعجم من مدلولات متفق عليها، ويصطلح عليها النظام العام مقابل الوضع الخاص كذلك.

4-الدلالة الوضعية :

وهي الدلالة التي يضيفها الوضع العام للتراكيب؛ وما أكثر ما يقتنص في كتب المعاجم.

5-الدلالة الفردية:

الدلالة الفردية تتمحور فيما يضيفه استعمال الفرد في كلامه، أو ما يعرف تاريخيا باستعمال العرب وسننها في الكلام؛ في حين أنه يطول العهد باستعمال الفرد ويصبح تاريخا، وهكذا تتغير وتستحدث ألفاظ ومصطلحات جديدة في كل عصر؛ ويدخل ضمنها استعمالات الكتاب للمفردات وهذا منطقه التاريخ.

6-التفسير:

تكلم ابن خلدون عن الوضع والاستعمال، وبين أنَّ هناك اختلاف بين أن تفهم دلالة اللفظ في وضعها العام، وبين أن تبحث في الاستعمالات الخاصة باللفظ والتراكيب، وهو ما فصَّلنا فيه القول ضمن الفصول السابقة، من حيث منطق اللغة ونحوها في الاستعمال.

ولنفهم أكثر مقصد ابن خلدون حول ما أراد من الأحوال والهيئات وعلاقتها باللفظ والمصطلح؛ نحيل القارئ إلى كلام الرافعي، فيما يخصُّ اللسان العربي، في جدول يلخص لنا مقالته التي تبدو واضحة مؤدية إلى الغرض ومختصرة[1]:

[1]- للاستفادة من النصوص الذي أفردها الرافعي، ينظر: تاريخ آداب العرب، الرافعي، 1/184-193.

النظام المطلق	نظام الألفاظ بالمعاني	نظام المعاني بالألفاظ
1-اللمحة الدالة : الإشارة التي تقع موقع الوحي وعلى أضعف وجه يشير إلى وجه الكلام ومذهبه ويهدي إلى طريق إلى طريق المعنى .. 2-يسمى سنن العرب في كلامها مثال قوله سبحانه وتعالى:﴿ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾﴾، ذكر الواحد والمراد الجمع، ويسميه أهل البلاغة الأسلوب الحكيم . 3-يتصف به كمال الصنعة اللغوية عند العرب في شعرهم ونثرهم	1-تقارب الحروف بتقارب المعاني مثل : تؤزهم-تهزهم 2- تقارب معاني الحروف البعيدة : مثل : علم-غرم 3-تقارب مخارج الحروف مثل: سحل-صهل 4-مضارعة الأصول الثلاثية مثل: عصر-الأزل 5-تصوير اللفظ على هيئة المعنى مثل : صرَّ=صر صر 6-مقابلة الألفاظ بما يشاكلها من الأحداث مثل : خضم لأكل الرطب وقضم لأكل الصلب 7-إضافة اختيار الحرف تشبيه أصواتها بالأحداث المعبر عنها وتقديم ما يضاهي مثل : شدَّ: حرف الشين: للشد، وحرف الدال : للقوة	1-المعاني لها أجناس، أي الصور النفسية، ومقدار الصفة الطبيعية.. 2-اللفظ : تعبير اللغة عن أحوالها،وعلومها، ومعتقداتها مثال ذلك : 2-1-أول معاني الحياة الروحية : الحب ومراتبه : -الهوى -العلاقة -الكلف -العشق -الشغف -الجوى -التيم التبل -الهيوم 2-2-مراتب السرور، العداوة ، الحركات وغيرها

جدول(1)، يوضح علاقة البيان بالاستعمال والاستنباط

وهذه الأحوال والهيئات التي يعبر عنها قوة اللفظ؛ تقف في درجة المصطلح العلمي؛ فالمعاني النفسية والروحية؛ لها طبقات وألفاظ، استعملتها العرب لبيان تلك الأحوال المضمرة، والتي تحتاج إلى تنظير حتى توصف، و يقف الرافعي ابن خلدون وما يعنيه؛ من تمكن الأديب من نظمه ونثره؛ فلا يلحن في نسبة هذه المعاني إلى ألفاظها؛ بل حتى العلماء في

فصول مؤلفاتهم؛ لأنَّ العلم يحتاج التخصيص والتشخيص الدقيق، وما تبين به الألفاظ عن المعاني والمسائل[1].

ثالثا: المستوى البياني :

رأينا في المستوى الأول أنَّ من البيان ودرجاته ما يتعلق بقوانين اللفظ؛ من الحروف والكلمات، والحركات، وصولا إلى موضوعات اللفظ؛ لكن ابن خلدون في هذه الجزئية؛ لا ينسب العلم إلى الملة وذلك فيما هو غالب الظن، أن فهم القرآن من المنظور السابق كان في زمن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أيام نزول الوحي، وفهمه كان على السليقة؛ فلما طال العهد بالبيان العربي بعد هذه الفترة، احتاج متلقي البيان العربي المتمثل في البيان القرآني والحديث الشريف إلى فهمه واستنباط معانيه وأحكامه وإعجازه، فكان بدايته مع الجاحظ(150هـ-255هـ) وقد أجملنا القول في الفصل السابق، ثم مع الجرجاني(ت471هـ) ومنطق النحو واللغة، والنظم، ثم مع السكاكي (555هـ-626هـ) في علم المعاني، والبيان والبديع.

ولابن خلدون أبعاد في تحليله (**البيان**) و(**علم البيان**) وهي :

1-المنظور التاريخي:

ويقصد به ابن خلدون أنَّ زمن البيان الأول محدَّد بزمن الفصاحة والسليقة "فلهذا كانت مدارك العرب الذين سمعوه من مبلغه أعلى مقاما في ذلك، لأنهم فرسان الكلام وجهابذته، والذوق عندهم موجود بأوفر ما يكون وأصحه.وأحوج ما يكون إلى هذا الفن المفسرون، وأكثر تفاسير المتقدمين غفل منه، حتى ظهر جار الله الزمخشري ووضع كتابه في التفسير"[2].ولذلك فإن لكل زمان طورا يتكشف فيه البيان القرآني، وتتَّعدد التفاسير.

[1]-ينظر: تاريخ آداب العرب، الرافعي، 189/1، والمقدمة، ابن خلدون، 1/ 1062-1063.

[2]-المقدمة، ابن خلدون، 1068/1، وينظر: كيف تفسر الملكة في مقدمة ابن خلدون التغيرات والاجتماعية، رضا الطيب الكشو، ص13.

2-المنظور النحوي اللفظي:

وفيما يلي جدول يلخص رسم ابن خلدون للبيان من هذا المنظور[1] :

تصور المفردات	تمييز المسندات من المسند إليها والأزمنة
-الأسماء-الأفعال -الحروف	دليلها تغير الحركات -وأبنية الكلمات

جدول(2) يشرح الفهم النحوي للبيان العربي

وتعقيبا على هذه الرؤية نرى بأن ابن خلدون يعي جيدا تصور الذهن للكلمات، والعلاقات التي تربطها ودليلها الإعراب والاشتقاق أي تصرف الكلمات وفي مناظرة السيرافي ليونس بن متى: "إذا قال لك قائل كن نحويا لغويا فصيحا، فإنما يريد افهم عن نفسك، ثم رم أن يفهم عنك غيرك، وقدر اللفظ على المعنى، فلا ينقص عنه، إذا كنت في تحقيق شيء على ما هو به، فأما إذا حاولت فرش المعنى، وبسط المراد، فاجعل اللفظ بالروادف، الموضحة، والأشباه المقربة، والاستعارات الممتعة..."[2].

3-منظور الفهم والحال والخطاب:

ولنا كذلك أن نلخص فهمه وتحليله للعلاقة بين النحو(الإعراب) والإبانة، وهي كلها بغرض الإفادة [3]:

أحوال المسند والمسند إليه	التقديم والتأخير
أجزاء الجملة	موصول-مبهم-معرفة
التأكيد على الجملة	زيد قايم-إن زيدا قائم-إن زيدا لقائم
الخبر	لها خارج تطابقه
الإنشاء	لا خارج لها تطابقه
الربط	أدوات العطف-غرضها الإيجاز والإطناب

[1]-ينظر: المقدمة، ابن خلدون، 1/ 1064.

[2]- معجم الأدباء:8/190-227، نقلا عن نظرية البلاغة العربية، أحمد سعد محمد، ص19.

[3]- اعتمدنا في انجاز هذا المخطط على نصوص ابن خلدون فيما يتعلق بمفهوم علم البيان، ينظر: المقدمة، ابن خلدون، 1/1064-1068.

منطوق/مفهوم	زيد أسد–يعني شجاع –مفهومة من اللفظ
اللفظ المركب	الكناية–أحوال وهيئات للواقعات جعلت للدلالة عليها أحوال وهيئات في الألفاظ–فلان كثير الرماد يعني كريم مضياف
ثمرته	فهم الإعجاز من القرآن العظيم، وهو محور التطبيق اللغوي، والبياني في التحليل

جدول(3) يلخص العلاقة بين النحو والبيان عند ابن خلدون

وتعليقا على الجدول يتبين لنا تدرج ابن خلدون بصورة تحليلية وتركيبية لمفهوم البيان وعلاقته بالتحليل النحوي، واللغوي والبلاغي، والخطابي.

رابعا : المستوى الأدبي (ملكة التعبير والكتابة):

وقد فصَّلنا القول فيه عند حديثنا عن ملكة الجاحظ، واستوفينا منه الغرض بحول الله تعالى، إلا أنَّ الذي تجدر الإشارة إليه هنا تركيزه على نقطتين مهمتين هما :

–الأخذ من كل علم بطرف منها علوم اللسان، والأنساب والأخبار.

–حفظ المتون من القرآن والحديث دون المصطلحات.

"فالأول أن يحصل للمتأدب بالنظر في الأدب والتمهر فيه قوة يقتدر بها على النظم والنثر، والغرض الأعلى أن يحصل على للمتأدب قوة على فهم كتاب الله– تعالى–وكلام رسوله وصحابته، ويعلم كيف تبنى الألفاظ الواردة في القرآن والحديث بعضها على بعض حتى تستنبط منها الأحكام ،تفرع الفروع وتنتج النتائج وتقرن القرائن على ما تقتضيه معاني كلام العرب ومجازاتها"[1].

لعلوم اللسان العربي عند ابن خلدون خصائص تتعلق بمنطقها النظري وآلياتها، ومميزات خطابها ومصطلحاتها، فالمنطق النظري قائم على خشية الجهل بالتفاهم، وقائم كذلك على خشية انغلاق القرآن العظيم، أما بالنسبة لآلياتها؛ فهي أوصاف نحوية ولغوية وبيانية وأدبية

[1]–تاريخ آداب العرب، الرافعي، 32/1.

للملكة اللغوية، وأما فكرة خطابها فهي منطقية استدلالية تستلزم مصطلحات مختلفة لاختلاف أوجه الاستدلال وتحتاج إلى التعليم والتدرج؛ ويمكن تلخيص أفكار هذا المبحث كالآتي:

-**الوصف النحوي:** لا يمكن الاستغناء عن الحركات لأنها جزء من الدلالة الشفوية وهي الأصل.

-**الوصف اللغوي** : يظهر التحليل والتطبيق اللغوي، فيما يتعلق بجزء المفردات ودلالاتها، وفيما يتعلق ببيان المفردات للموضوعات اللغوية وهنا يدخل مستوى التفسير، والدلالة الفردية والإبداع ككل؛ بحيث يختص البيان العربي بكونه مادة للاستنباط، فالمفردات هي ترجمة لمعان نفسية وأحوال بمقادير مفصلة في الكلام تجري على السليقة والفطرة والارتجال، فهي مقابل لمرحلة التجريد الذي يمكن أن تضفيه النظريات التجريدية مثل الفهم والتفسير والتأويل للمسائل الذهنية، وغيره بعد الفطرة اللغوية والسليقة العربية.

-**الوصف البياني:** محتكم إلى ثلاثة عناصر هي: زمن الفصاحة والسليقة العربية، والمنظور اللفظي والنحوي، ومنظور الفهم والحال والخطاب، والعنصران الأخيران يضمان قوانين اللفظ وقوانين البلاغة.

-**الوصف الأدبي:** الإبداع ليس مجرد حفظ المصطلحات ورصد الاختلافات بينها؛ بل حفظ متون ونصوص لغوية؛ وعلى هذا تكون الموسوعية أقرب إلى الأدب ومنهل القوة بطريقة تحصِّل متعلِّمها قوة في التعبير وقوة في الكتابة.

نستنتج ممَّا سبق أنَّ لكل مستوى من هذه المستويات جانب من كشف البيان، من خلال جملة القول في تحليل البيان العربي، والذي يضمُّ التحليل النحوي، والتحليل اللغوي، والتحليل البياني و التحليل الأدبي.

المبحث الثالث : أوجه التحقيق في الملكة اللغوية وطرائق تحصيلها

يمكن أن نطلق على توجّه ابن خلدون في محطته الأخيرة الخاصة بتقويم هذه العلوم اللسانية بـ"**المدرسة الإحيائية**"[1]، وذلك لعدة أسباب منها؛ محاولته إبراز الوجه التحقيقي للملكة اللغوية؛ أو الإبداع والعبقرية، إضافة للنظرة الإحيائية المتمثلة في هدف العودة إلى شروط الفصاحة عهد السليقة العربية، وذلك من خلال القول بالفطرة بالنسبة إلى اللغات، أو العربية على وجه الخصوص، إضافة إلى التركيز على خصائص البيان العربي الذي تميزت به ملكة العربية؛ ونعني بها الارتجال، والذوق البياني، وهو في كلّ ذلك حلَّل هذه الأوجه المحققة للغة انطلاقا من التصور الذي استمده من خصائص هذا البيان العربي وما يتعلق به كالعجمة ، وأثر المنطق في بيان شروط العبارة البلاغية والعبارة العلمية.

وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدلُّ على تقويم تلك القواعد المستنبطة من النظر في الملكة اللغوية بما هي أداء بياني، ومحاولة الاقتراب من مبادئها وشروطها، وعليه لا يمكن أن نقيم موازنة بين ابن خلدون وتشومسكي إلاَّ إذا وضحنا مفهوم الفطرة في ضوء نظرية البيان العربي، ومفهومها عند تشومسكي في مسيرته الطويلة بالبحث في مبادئ الملكة

[1]– وهو خلاف ما يرى الباحث محمد الصغير بناني رحمه الله أنّ" ونشأة اللغات عند ابن خلدون مثل نشأة الأجناس البشرية التي تخضع لقانون النشوء والارتقاء في بعده الغيبي والطبيعي(البعد السدائي والنيري في التعبير البنوي). أما البعد الغيبي فيكفي الرجوع فيه الية المذكورة التي تحيل على لون البشرة" ؛ ثم يضيف البعد الطبيعي، في التعاون الاجتماعي والمشافهة والكتابة؛ فاستعان الباحث على المفاهيم الفلسفية والاجتماعية الحديثة في تفسير ظاهرة اللغة كما استعان على النصوص القرآنية، البلاغة والعمران، محمد الصغير بناني، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون–الجزائر، 1996ص109–112. يكون ترتيبه وتفسيره وتطبيقه لمفهوم الارتقاء في تفسير الملكة اللغوية، كالتالي: المفردات اللغوية ثم نظم النحو، ثم نظم البلاغة، ثم نظم الشعر، ثم القرآن العظيم؛ نلخص كل هذا ما نفهمه من مصطلح **الإحياء** مقابل **الارتقاء**؛ عبارة ابن خلدون في تفسير الملكة اللغوية، قائلا:" ونحن الآن نرجع بالتحقيق على الإجمال فيما تكلمنا عليه من علوم اللسان"، المقدمة، ابن خلدون 1070/1، في هدفين له هما: الذوق البياني وإحياؤه(الفطرة)؛ والعودة إلى شروط الفصاحة في عهد السليقة العربية.

اللغوية، ومتطلباتها، على أن نوضّح كذلك موضوع اللغة ووسائل النظر فيها، والغاية في ذلك.

أولا: الفطرة:

لقد أرجع ابن خلدون طبيعة الملكات إلى النفس البشرية؛ ونحن نعلم أن ما هو ضمير كله يرجع إلى هذه النفس، وللإنسان استعدادات خَلقية وخُلقية، كذلك البدن؛ هو من الجسد والروح، وجميع الذي ذكرنا تكلمنا فيه في جزئية التحصيل، انطلاقا من تمييز الإنسان للأصوات، على مستوى الأذن، وللمتكلم على مستوى مدرج آلة النطق والكلام، واللغات" كلها ملكات شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان، للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها"[1].

لم يتوقف ابن خلدون عند هذا الحد بل بيَّن واصفا هذه الملكات منها اللغة" وليس ذلك بالنظر إلى المفردات، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب.فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة، للتعبير بها عن المعاني المقصودة، ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال، بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسامع، وهذا هو معنى البلاغة"[2].

و هذا النص على صغره إلَّا أنَّه يحمل الكثير من المبادئ في بيان حقيقة الملكة اللغوية، بالعودة إلى فطرة:

[1]–المقدمة، ابن خلدون، 1071/1، وينظر: الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون لمحمد عيد، محمد كشك، مجلة عالم الكتب، مج07، ع: 03، ص378.

[2]–المقدمة، ابن خلدون، 1071/1.

1-اللغة ليست جنسا:

إن اللغة ليست عضوا بيولوجيا[1]، ولا هي في الدماغ؛ وليست غريزة؛ وهذا يتبين حين معرفة حقيقة الكلام والبلاغة بما هي بيان يفيد السامع معنى و بما يبلغ المتكلم من مقاصد:

أ-صفة الحال:

إن صفة الحال هي التي تؤكد رجوع الملكة اللغوية إلى النفس التي هي مصدر تعبيرها.

ب-صدور الكلام:

ويكون صدور الكلام على مقتضى الحال، وهذه ليست برمجة آلية، حيث يأتي الكلام؛ على صورة تغيرات أحوال الناطق، تجري بقصد، وبدون القصد يتعين على المتكلم الوصول إلى ذهن السامع؛ على ما يوضحه عبد القاهر الجرجاني: في قوله "...إذا نظرنا إلى في ذلك علمنا أن لا محصول لها غير أن تعمد إلى اسم فتجعله فاعلا لفعل أو مفعولا، أو أن تعمد إلى اسمين فتجعل أحدها خبرا للآخر..." [2]، فلا يمكن أن يريد المتكلم مثلا الإخبار عن الاسم دون أن يتعلق بفعل يسنده إليه.

جـ-اللغة ملكة نفسانية:

يتحدَّد قول ابن خلدون في اعتبار اللغة ملكة نفسانية، وذلك لأنَّ"الملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال لأن الفعل يقع أولا وتعود منه للذات صفة، ثم تتكرر فتكون حالا.ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة"[3].

---

[1]-ينظر: اللسانيات التوليدية من التفسير إلى ما وراء التفسير، تشومسكي، ص27، وجوهر فكرته أنَّ أنظمة المعرفة البشرية على علاقة تفاعل مع أنظمة الملكة اللغوية، وأساسها جسدنة العقل أو الذهن البشري ، تتشكل اللغة بالأساس من إدراك مقولات الجسد، والفضاء، والزمان، والمكان، وأنظمة الثقافة والأنثروبولوجيا؛ مثل الحركات، والألوان، والموسيقى وما إلى ذلك؛ ينظر: بيبلوغرافيا اللسانيات،قراءة في مؤشرات المحاورة ومداخل السياقات المعرفية اللسانية، عيسى مومني، دار العلوم ، عنابة-الجزائر، دط، 2012، ص128، وينظر كذلك: آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل، نعوم تشومسكي، تر: عدنان حسن، دار الحوار، اللاذقية-سوريا، ط1، 2009، ص233وما بعدها.

[2]- شرح دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني، محمد إبراهيم شادي، ص111.

[3]-المقدمة، ابن خلدون، 1071/1، للوقوف على النصوص في المقدمة يمكن الرجوع إلى : 170/1-171، وينظر: التعريفات، للشريف الجرجاني، ص363.

إنَّ ابن خلدون بين أصناف النفس عند المحققين، ولم يدرجها في فصل تعليم العلوم، وهذا راجع لنظرته كذلك حول المدارك الخاصة بالبشر وبالأولياء، والمدارك الخاصة بالأنبياء عليهم السلام.

ولا شك أن مداخل الأفعال هي الحواس التي وهبها الله عز وجل للإنسان، وهي آلات للمدارك، وذلك أمر هام في أصل هذه الملكات التي هي أفعال، وقد بيَّن ابن خلدون الاستعدادات النفسية والجسمية[1]، انطلاقا من فهمه للآية الكريمة وهي قوله سبحانه عزَّ وجلَّ: ﴿ **ثُمَّ سَوَّيهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالاَبْصَارَ وَالاَفْئِدَةَ** قليلًا **مَّا تَشْكُرُونَ**﴾ **(السجدة/8)**.

-**السمع** : وهو عنده أبو الملكات اللسانية[2].

-**البصر**: مدخل للتفكر والتعقل والنظر.

-**الأفئدة:** وهي بصيرة النظر: وحددها العلماء المحققون في القلب[3]؛ وتعني التدبر كذلك؛ ويجمع الجاحظ جميع الذي ذكرنا في تسمية(قوى الإنسان).

د-غاية العمل هي البيان:

يوضح ابن خلدون من خلال المصطلحات التي حددناها من التعريفات السابقة، مسألة مهمة؛ وهي وعيه بوسيلة البيان التي هي اللغة، أو الكلام الفعلي؛ بعدما بيَّن وجه التحقيق، من خلال وصف تكوين الملكات بصفة شاملة؛ مطبقا نظرته على اللغة (فعل-صفة غير راسخة-ملكة)، إلا أنَّه أضاف رؤى أخرى في تحديده هوية الكلام، وهذه الرؤى هي:

-**القصد:**

لم يشرح لنا ابن خلدون أكثر عن القصد[1] إلاَّ أنه يظهر في قوله"وإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة، للتعبير بها عن المعاني المقصودة"[2] ؛ ويحمل القصد في

[1]- الاستعدادات التي حددناها في المبحث الأول من هذا الفصل، وينظر: المقدمة، ابن خلدون، 1/847-848.

[2]- ينظر: المقدمة، ابن خلدون، 1/1056-1057.

[3]-ينظر: المقدمة، ابن خلدون، 1/170-171.

فعل الكلام والتوجه، والإرادة؛ ويحمل معنى الإسناد والمعاني النحوية مثلما يبيّن الجرجاني بنظرة محللة منطقية في أنَّه " لا يتصور أن يتعلَّق الفكر بمعاني الكلم أفرادا، ومجردة عن معاني النحو، فلا يقوم في وهم، ولا يصحُّ في عقل أن يتفكَّر متفكّر في معنى فعل من غير أن يريد إعماله في اسم..."[3].

يقول ابن عربي في هذا المعنى :" اعلم أنَّ كلَّ متلفظ من النَّاس بحديث، لا يتلفظ به حتى يتخيَّله في نفسه، ويقيمه صورة يعبّر عنها، لا بدَّ له من ذلك، ولمَّا كان الخيال لا يراد لنفسه وإنَّما يراد ليبرزه إلى الوجود الحسّي في عينه أي يُظهر حكمه في الحس فإنَّ المتخيل قد يكون مرتبة وقد يكون ما يقبل الصورة الوجودية..."[4].

إذن فعملية التفكر ترتبط بعملية الإسناد الذهنية؛ وهي عملية إدراكية عقلية تتواجد في الذهن قبل أن تتواجد في التأليف الكلامي-عملية النظم- مرتبطة تداوليا بمعاني الاستعمال والتواصل، التي قال عنها عبد القاهر أنَّها تجري مجرى الفائدة.

والقصد يتعلق بقوى أخرى إدراكية للإنسان، وهي الخيال والعقل وغيره، وقد تكلمنا سابقا عن قوى الإدراك عند الإنسان وخصائص النفس البشرية عند الجاحظ.

-الفعل:

يمثل الفعل عند ابن خلدون بداية حصول الملكات[5]؛ وفيما يغلب الظن أن استعماله لمصطلح"فعل "؛ يظهر فهمه لعلوم الفقه وأصوله؛ وكذلك توظيفه لمداخل الإدراك المتمثلة في السمع والبصر والفؤاد، إلا أنه لا يربط الكيفيات النفسية باللغة إلا من الناحية التي تكون

---

[1]-جاء في اللسان"...وفي الحديث -قوله صلى الله عليه وسلم -:"القصد القصد تبلغوا أي عليكم بالقصد في القول والفعل وهو الوسط بين الطرفين"ص433-434.

[2]-المقدمة، ابن خلدون، 1071/1.

[3]- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تعليق محمود محمَّد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، دت، ص410.

[4]- وينظر: المقصدية عند عبد القاهر الجرجاني(دراسة تداولية)، فتيحة سوفلي(رسالة ماجستير)، 2015-2016، جامعة محمد خيضر بسكرة-الجزائر، ص29-30، ينظر: قصدية التخاطب في وصايا ابن عربي، آمنة بلعلى، جامعة مولود معمري، قسم الأدب العربي، ص1، وينظر: التأويل الحواري بين ابن عربي ومارتن هايدجر، مجاهد جمال الدين، من مجلة الحوار الثقافي، ربيع وصيف 2012، ص217-218.للملاحظة لم نقف على الصفحة في الفتوحات لاختلاف الطبعات.

[5]- ونحيل القارئ أيضا إلى : التعريفات، للشريف الجرجاني، ص363.

فيها اللغة عبارة المتكلم في اللسان، وإذا ارتبط الفعل بالكلام يصبح هناك طرفان: هما : اللسان الناطق والأذن المستقبلة؛ والنفس وما تحويه من الأفئدة؛ ووجه التحقيق سوف نراه فيما بعد؛ أي ما يتعلق بجزئية " **الذوق البياني**"، وهذا مهم في فهم الاستعدادات النفسية والجسمية وغايتها من ناحية كون اللغة وسيلة أكثر مما هي غاية؛ مما يعطينا صورة واضحة عن طبيعة اللسان البشري عند ابن خلدون وماهية اللغات، ووجه تحصيلها.

-البلاغة:

إنَّ المقاصد والمعاني لها طبيعة نفسية مضمرة، إلا أنَّ وجه بيانها يظهر في تفصيلها اللغوي وهي في رأي ابن خلدون" مراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال، بلغ المتكلم الغاية من إفادة مقصوده للسامع، وهذا هو معنى البلاغة"[1]، ومن هنا نفهم ارتباط القصد بالبلاغة في القول والفعل، وهي عند القدامى" الوصول والانتهاء"[2].

-الإفادة:

وهي تحصيل المطلوب من الكلام المسموع أو الكلام، ويكون بتمام الملكة والعبارة التي تكلم عنها ابن خلدون، ويكون من تمام الفهم والتحصيل عند المتلقي[3].

ثانيا: الارتجال:

يظهر أن ابن خلدون لم يفصل لنا في العلميات التي تجري في المستويين الأول والثاني؛ إلا أنه يصف لنا التدرج النفسي لأحوالها؛ فالمبدأ التداولي حاضر عنده بعده منهج التكرار أساس تحصيل الملكات بوجه خاص؛ مثلما يعطينا نظرة معمقة حول طبيعة الفائدة، وننوه أنه لم يفصل لنا كثيرا في مدرج اللسان وحروفه وصفاته، لأنه قد تكلم عليه في علم الرسم القرآني، والتجويد والقراءات:

---

[1]-المقدمة، ابن خلدون، 1/ 1071.

[2]-ينظر: الصناعيتين الكتابة والشعر، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تح: علي محمد بجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ص6-11.

[3]-ينظر: المقدمة، ابن خلدون، 1071/1.

*دور السماع في التعقل بالنسبة للأذن ودور تكرار المسموع وطبقات المسموع من الكلام؛ وما يحمله من مضامين قولية للمخاطب، ودافعا للعمل والفعل.

*دور الفعل اللساني المعبر عن المقاصد، ودور الكلام الشفوي في تحصيل المطلوب .

1- الارتجال يقرب من الطبع :

يردّد ابن خلدون في أكثر من موضع في مقدمته؛ أنَّ اللغة عند العرب تقرب من الطبع "وهذا هو معنى ما تقوله العامة من أن اللغة للعرب بالطبع أي بالملكة الأولى التي أخذت عنهم، ولم يأخذوها عن غيرهم."[1] ؛ وهي من المعاني القريبة إلى الفطرة، وسبب وصف الارتجال بالطبع؛ أن الارتجال له خاصية التولد والإبداع عند الإنسان[2].

نظرة تشومسكي للملكة اللغوية وارتباطها باللغة تختلف بعض الشيء عن ابن خلدون، لأنَّ تشومسكي يراها مبادئ أولية في العقل، ومصدرها الحدس، وهي قواعد كلية تخص فطرية الملكة اللغوية عند الإنسان؛ كما أقرَّ بافتراض وجود مبادئ عامة تحدد خواص نظام القواعد الذي يتطور في ذهن مكتسب اللغة، فهذه الخواص هي التي تسم ملكة اللغة في حالتها الأولى، والتي تحدد مجموعة النظام الذي تدعي القواعد الكلية؛ وهي أن يتكلم دون تكلف لذلك؛ وكلما تجدد إدراكه للعلوم وسماع الكيفيات اللغوية، ازداد ارتجاله للكلام، وسر التولد هو مدار الحديث اللساني المعاصر، ولكن يبدو من أول وهلة أن ابن خلدون لم يخلط بين مدارك الجسم ومدارك النفس، لسبب بسيط أن الإنسان قادر على تحصيل ما لا حد له[3]، وقد تكلمنا عن الاستعدادات النفسية والجسمية المتعلقة بالتمييز والتجميع.

---

[1]-المقدمة، ابن خلدون، 1072/1.

[2]- ينظر: مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، مرتضى جواد باقر، دار الشروق ، عمان، الأردن،ط1، 2002، ص87. و اللسانيات التوليدية من النموذج المعيار إلى البرنامج الأدنوي، مفاهيم وأمثلة، مصطفى غلفان وآخرون، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2010 ، ص204.

[3]-تساءل تشومسكي في كتابه اللغة والمعرفة، عن مشكلة أفلاطون، كيف يمكن للإنسان المحدود أن يحصل هذا الكم الهائل من المعلومات، من أهم مؤلفاته في هذا الصدد :

-Chomoky (19866a) **knowledge of Language : Its Nature, Origin and Use**. New york praeger.

بيَّن ابن خلدون نوعين من العلوم؛ العلوم البشرية وعلوم الأنبياء عليهم السلام، وهنا يجب أن نفرق مثلما فعل الجاحظ، بين البيان القرآني، والبيان النبوي، والبيان البشري: أي الوحي والنقل بكونه **مصطلحا** أدق في وصف ظاهرة **العبقرية والإبداع**.

2-مظاهر الارتجال:

في جزئية التحقيق وما يخصُّ علوم اللسان العربي؛ تحدث ابن خلدون عن محاور أساسية في الارتجال اللغوي، ويتمثل ذلك في النقاط الآتية :

أ-الملكة اللغوية والأذن:

إنَّ تعبير ابن خلدون عن هذه العلاقة بجملة"مجه ونبا عنه عند السماع ":

دليل على درجة الإدراك السريعة في التحسس للكيفيات التي لم تعتدْ عليها الأذن في مخاطباتها اللغوية، والأساليب التي يسمعها المتلقي، و يحدث ذلك من النشء بحسب تعبير ابن خلدون واعتياد اللسان الناطق والأذن المتلقية[1]؛ ويحصل بطريقة تداولية في التعبير عن المقاصد بحسب الأحوال، وما يفهمه المتلقي من الفعل اللساني؛ ولا يتوقف ذلك على نبو الأذن للأصوات، بل يمتد إلى المفردات و التراكيب وخصائص تراكيبها، إلى غير ذلك من فهم وإدراك المعاني ومدلولات الألفاظ.

ب-الملكة اللغوية والفكر :

تمثل الجملة"**دون فكر وأدنى فكر**" عند ابن خلدون أدق وصف للملكة اللغوية بوصفها ملكة راسخة في النفس مهيأة للاستقبال بالأذن ، والفهم، وللكلام دون اختيار وترتيب وتصميم[2]؛ ونعني بذلك ابتداء الكلام وتولده، وهنا تتجلى كذلك مظاهر الفطرة في الكلام، واللغات البشرية؛ لأنَّ من عمليات الفكر الربط بين الأشياء، ووعليه نلمس المسألة الجدلية

.- Chomoky, **Language and broplems of Knowledge**. Cambridge, MIT Press, 3-4.

[1]-المقدمة، ابن خلدون، 1/ 1086.

[2]-جاء المصباح المنير، الفيومي، في مادة(ارتجل): "(ارتجلت)الكلام أتيت به عن غير روية ولا فكر و(ارتجلت) برأي انفردت به من غير مشورة فمضيت له" ، ص221.

للعلاقة بين اللغة والفكر، إلا أن النظرة اللسانية المعاصرة تبحث عن النظام المعرفي ما وراء اللغة وسلوكها؛ وهو ما سوف نشرح محاوره في الفكرة الموالية.

3-فكرة تشومسكي حول طبيعة الملكة اللغوية :

لقد كانت أسئلة تشومسكي حول طبيعة المعرفة اللغوية، وخصائصها، وكيفية استخدامها، في جو تطورت فيه أبحاث علم النفس المعرفي، والذكاء الاصطناعي.

واقتضى إيجاد بناء منطقي معرفي يحاكي تلك المعرفة في وجوه تصرفها و" وجب تمكين الآلة الذكية من مهارة التصرف بوجه ليس من المفروض أنها قد برمجت عليه مسبقا".[1]

ولكي ينظر في الملكة اللغوية من هذا المنظور كان عليه أن يكتشف الميزة البنائية والمنطقية للمعرفة اللغوية، وهو نموذج مماثل يحاكي الوقائع المدروسة في الدماغ البشري وفق معطيات التطور الحاصل في العلوم المعرفية.

فصارت **الأدنوية** عنده بداية التخلي عن مجموعة القواعد الشكلية في وصف هذه المعرفة والتوجه إلى خصائص أكثر التصاقا بتعقيد الملكة اللغوية عند الإنسان وبيولوجيتها، لكن يبقى مطابقة هذه الافتراضات بالواقع يطرح قضية اختلاف الألسن ، لذا اعتمد تشوسكي لتبرير النظرية من التناقض على البرامترات[2] للاستدلال على الثابت والمتغير من اللغات؛ فالأول يمثل المبادئ الأولى الكلية[3] الفطرية والاستعدادات، والمتغير يمثل تجارب الاكتساب.

والملكة عند تشومسكي قسمان"محفوظان في الذهن :هما المعجم الذهني والنحو الذهني، فالأول منهما عدد من الوحدات والثاني عدد من مبادئ التوليف تمثل النظام الحوسبي"[4].

---

[1]-نظريات لسانية عرفنية، الأزهر الزناد،، ص15.

2-المرجع نفسه، ص48-50.

3-ينظر :اللسانيات التوليدية من النموذج المعيار إلى البرنامج الأدنوي، مصطفى غلفان وآخرون، ص204-231، ويتحدث في هذا الجزء عن أهم المنطلقات في نموذج التوليديين-العقلانية، المنهج الاستنباطي، الأسلوب الغاليلي، بين النظرية والتجريب،الفرضيات التوليدية الكبرى، الكلية، الصورية.

4- نظريات لسانية عرفنية، الأزهر الزناد، ص51، يعتبر الدلاليون التوليديون أن الدلالة والنحو غير منفصلين، وعوض البنية العميقة وهي التمثيل النحوي أو النظام نستعمل التمثيل الدلالي.

وفي هذه المرحلة اقترح تشومكي المصطلحات القريبة إلى الذكاء الاصطناعي، وعليه نحن أمام " مشكلة هي افتراض نظام يمكن اكتسابه أو نموه في فترة وجيزة كتلك التي يستغرقها تعلم اللغة من قبل الطفل"[1]، وهذا **جوهر فكرة البرنامج** الأدنوي:

أ-المعجم الذهنيlexicion mental:

" خزان من الخصائص الفردية المتعلقة بالوحدات المعجمية المخصوصة، ومدار هذه الخصائص تحديد الشكل الصوتي، وتحديد المقولة الإعرابية وتحديد الخصائص الدلالية".[2]

ومن خصائص النظام اللغوي أنه بالغ الدقة في توليد الجمل واشتقاقها، وسرعة الزمن في إدراكها وتمثيلها في الدماغ البشري، واستحضارها وانتقاء الذهن للسمات الخاصة بالأسماء والأفعال، ومواقعها، وجنسها ومقصديتها ودلالتها...الخ

ب-النظام الحوسبي computational system :

وهو نظام واحد عند كل البشر، و" يعدّ النسق الحاسوبي مركزيا في تصميم النحو في البرنامج الأدنوي، فالخصائص العامة للملكة اللغوية تتحدد في هذا المجال الذي تطبعه عمليات وإجراءات دقيقة في بناء التمثيلات وتوليد الاشتقاقات ويخضع النسق الحاسوبي لمبادئ عامة أهمها على الإطلاق مبادئ الاقتصاد في الاشتقاق، والتمثيل ومبدأ التأويل العام".[3]

والمخطط التالي يلخص ما ذكرناه[4]:

1- مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، مرتضى جواد باقر، ص190 ومن مؤلفاته في هذا الصدد عن القواعد الكلية والتوليدية:

- Chomoky , (1995a) Barre phrase structure , In G Webelhuth(ed) , **Goernment and Binding theory and the Minimalist Brogram**. Oxford : Blackwell.

2-ينظر: نظريات لسانية عرفنية، الأزهر الزناد، ص57، للتفصيل أكثر وبأمثلة توضيحية ينظر : ص58-59.

3- اللسانيات التوليدية، مصطفى غلفان وآخرون ص 370.

4-للتوضيح أكثر حول هذه العمليات والمبادئ، ينظر: نظريات لسانية عرفنية، الأزهر الزناد، الصفحات56-62.

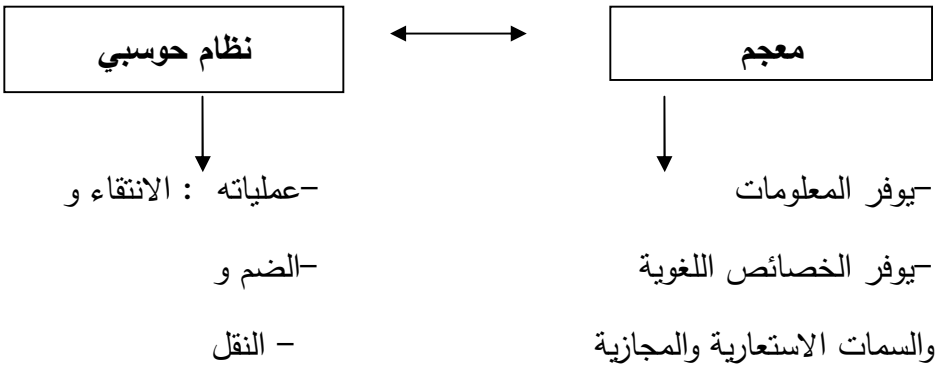

الاقتصاد فهو مباين لتلك القيود والقواعد الطويلة في وصف الملكة اللغوية في برنامجه التوليدي التحويلي	**الاشتقاق:** وهو مبدأ قائم على الخيارات التي يجريها النظام الحوسبي على شكل أزواج- صوت/معنى وبه تحدث الأبنية بين دخل وخرج في شكل ترتيب تجريدي	**التمثيل** :النظام العرفني(المعرفي) للدماغ يحمل مستويات تمثيلية للأصوات المدركة ويربطها بنظم الانجاز المسموعة- المنطوقة	**التأويل التام:** يحدث أثناء اقتران صورة سمعية-صورة نطقية وبين صورة دلالية- صورة منطقية

جدول (1) مخطط مبسط يوضح مبادئ وعمليات البرنامج الأدنوي

أقرَّ تشومسكي ب" وجود مبادئ عامة تحدد خواص نظام القواعد الذي يتطور في ذهن مكتسب اللغة، إنَّ هذه الخواص هي التي تسم ملكة اللغة في حالتها الأولى، والتي تحدد مجموعة النظام الذي ندعوه القواعد الكلية..."[1] .

1-ينظر: مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، مرتضى جواد باقر، ص87، واللسانيات التوليدية من النموذج المعيار إلى البرنامج الأدنوي، مفاهيم وأمثلة، مصطفى غلفان وآخرون، ص204.

جـ-أهم نظرياته حول طبيعة الملكة اللغوية وخصائصها النظرية:

وفي إطار القواعد الكلية، جاءت قضية النحو العالمي؛ إلا أن تشومسكي كان في كل مرة يضع قيودا على نظرياته؛ وهي في مجلها مباحث في تحليل النحو اللغوي؛ وهذه النماذج لخصها الباحث محمد الصاوي مقاربا لما في ملكة العربية من تشابه في البنيات، ضمن خمس مراحل:

-نموذج قواعد الحالات finte grammarstate

ويهتم بالتراكيب البسيطة من حيث الخصائص التالية : ترتيب عناصر الجملة، ضرورة وجود المسند والمسند إليه، ...إلا أن هذا النموذج قد ينطبق على لغة دون أخرى؛ لأن في العربية مثلا: يقدم الخبر لاعتبارات عديدة تحتاج إضافة تفسير لغوي لتبريرها كأن نقول : على الطاولة كتاب؛ مثلما يعلل النحاة العرب أنَّ المبتدأ" كتاب" جاء نكرة وهو خلاف لما يعرف به المبتدأ الذي من شروطه أن يكون معلوما؛ لأننا نخبر عن أمر معلوم وليس مجهولا؛ وفي المثال السابق قدم الخبر لأنَّ المبتدأ جاء نكرة.

-نموذج بنية التراكيب : rule structure phrase

أو ما يسمى بالتركيب المشجر **diagramatic represention**

ومن خصائصه؛ إبراز فكرة المسند والمسند إليه، وفروق الخبر، والفائدة، والمركب الفعلي والمركب الاسمي، وفي كّل تعدُّ بنيات يقيس بها المتكلم لينتج بنى أخرى؛ مثال ذلك :

- فهمت الطالبة المسألة المعقدة
- قرأت الطالبة المحاضرة الطويلة
- .....

إلا أنَّ ما يوجه لمفهوم بنية التراكيب إمكانية عدم تشابه الأجزاء من لغة إلى أخرى .

-نموذج التحويل : transformationnel

لقي هذا المفهوم رواجا كبيرا في الدراسات اللسانية المعاصرة، لما له من تشابه بين اللغات، ويعني به" تغيير إحدى الجملتين داخل مجموع واحد إلى آخر، وربما شمل

التحويل كذلك جملة من الإثبات إلى نفي أو استفهام مثل: الرجل قادم–الرجل ليس قادما– هل الرجل قادم؟..."[1]

ومن خصائصه: إدراك الجملة النواة، فإذا أدركنا قوانين التغيير أدركنا التراكيب وإنتاجها؛ ويبدو فيما نعتقد أنه مشابه لما درسه الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز؛ والمعروف على أسلوب عبد القاهر الجرجاني التحليل المنطقي للعبارات؛ ولا أدل على ذلك مباحث الخبر والحذف وغيره.

قواعد التحويل الممكنة في العربية وفق هذه النظرة تكون لاعتبارات كثيرة مثل :

الحذف– التعويض–التوسيع–الاختصار –الزيادة–إعادة الترتيب–الاستفهام–النفي–البناء للمجهول–النسخ–التقدم–تحريك الموقع–التنغيم–النبر وغيرها...[2].

-نموذج الربط :

لا يخلو نحو العربية من الحديث عن أنواع الربط المعنوية واللفظية؛ وقد فصل الباحث تمام حسان رحمه الله مجمل القرائن المعنوية واللفظية من وجهة لسانية وصفية[3].

وأحدث مفهوم الربط في اللسانيات النصية نقلة لها أهميتها المنهجية والمعرفية اللسانية؛ حيث انتقل الربط من أدوات تحكم الجملة إلى أدوات تربط النص.

---

[1]– اللسانيات ومناهج تعليم اللغة العربية لسانيات تشومسكي نموذجا، دراسة تحليلية في اللسانيات التربوية، محمد الصاوي، كلية البحرين للمعلمين، جامعة البحرين–مملكة البحرين، جانفي 2018. ص108.

[2]–ينظر تفصيل المسألة في : اللسانيات ومناهج تعليم اللغة العربية، ص110–111.

[3]– الناظر في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني؛ يجد أمثلة كثيرة تشرح بدقة أنواع الربط بين الجمل، وذلك من خلال تفسير شواهد القرآن العظيم، ففي المثال الذي وضح به تفسير الربط في: قوله تعالى: ﴿ **مَا هَـٰذَا بَشَراً إِنْ هَـٰذَآ إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ** ﴿٣١﴾ ﴾ "(**يوسف/31**)، وفيه يحلل الجرجاني دقائق الربط بين قوله تعالى(ما هذا بشرا) وقوله تعالى(إن هذا إلا ملك كريم)"... وجهان هو فيهما شبيه بالتأكيد، ووجه هو فيه شبيه بالصفة"، 1–شبيه بالتأكيد: إذا كان ملكا لم يكن بشرا، 2–والمراد من الكلام أن يقال إنه ملك، وأنه يكنى به عن ذلك، 3–شبيه بالصفة، نفى عنه البشرية وأثبت له جنس غيره(أي حين تسأل فإن لم يكن بشرا؟ ، فيأتي التأكيد إن هذا إلا ملك كريم)، ينظر بتفصيل أدق: شرح دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني(471هـ)، محمد إبراهيم شادي، ص314–315.

ولنظام العربية نوعان :

- نظام تركيبي: جملة بسيطة ومركبة .
- نظام إعرابي: وهي التي تفتقر إلى المعنى أو لا تفتقر؛ فمثلا الخطأ في قولنا : ذهب زيدًا بالفتح يجعل الخطأ إعرابيا وليس معنويا، لأن الفاعل يبقى هو وإن كان الخطأ في العلامة؛ ولكن في العربية قد تكون العلامة الإعرابية غير ظاهرة في المقصور والممدود ويبقى المعنى مفهوما.

-نموذج البرنامج الأدنوي :

وقد فصلنا القول فيه سابقا، إلا أنَّ المسألة التي تضع نفسها بإلحاح ضرورة توضيح المصطلحات التي ذكرناها فيما يتعلق بالمعرفية والعرفانية والعرفنية وغيرها؛ حيث تتداخل هذه الأخيرة، حتى أننا لا نميز بينهم، وذلك لتبني الكثير من الباحثين العرب مصطلحا دون آخر؛ ويرجع ذلك لاعتبارات عديدة؛ منهجية ولغوية وكذلك في إطار فلسفة العلوم .

- **المعرفية** : ما توصلت إليه علوم الذكاء الاصطناعي وعلوم الفيزياء والرياضيات والبيولوجيا وعلوم الأنثربولوجيا من نتائج ومناهج وتطبيقات.
- **العرفانية:** خاص بسؤال أفلاطون؛ ومذهب التصوف؛ فالمعرفة الصوفية لها خصائصها و وطرائقها؛ وهي فوق طور العقل، ولا يمكن إدراكها مباشرة.
- **العرفنية** : وهو مصطلح اختص به الباحث الأزهر الزناد –اعتبار لغوي.
- **الإدراكية** : ويرجح أنه المصطلح الأول فيما يخص العلوم المعرفية بحسب لايكوف.

يمثل الوعي بهذه المصطلحات قضية محورية في الرؤية اللسانية المعرفية، في تجاوز القراءة التأسيسية والنظرية إلى قراءة إبداعية للمتعلم الواعي بلب القضايا المعرفية المطروحة في ميدان اللغة والإدراك ، والفيزياء، والبيولوجيا والمنطق والرياضيات.

فتحديد مصطلح" المعرفية connaissance" من بين المصطلحات الأخرى المجاورة له مثل "العرفانيةknowledge" أو الإدراكيةperception " أو "العرفنية cognition "[1] يقتضي ملامسة أهم المنطلقات التأسيسية عند اللسانين العرفانيين في مجال الملكة اللغوية، فهو يمثل أهم فرق بين المعرفية والعرفانية؛ فالمعرفية تأسست بما تطور في مجال العلوم المعرفية–علم النفس المعرفي، والذكاء الاصطناعي، والعلوم العصبية، والمعلوماتية، والبيولوجيا وعلم الأحياء، وعليه فالتفصيل المفهومي لمصطلح "المعرفية "يحيل إلى المفاهيم الآتية:

*مبادئ الأبنية اللغوية[2] المرموزة في الذهن البشري تقابل تمثيليا ما توصلت إليه هذه العلوم.

*امتزاج المدارك الحسية بالنفسية؛ أي الفكر بالجسد؛ أو ما يعرف بحلول النحو واللغة في الأراضي العصبية.

في حين يحيل "العرفانية " إلى العرفانية الأفلاطونية[3] أو ما يعرف –ونحن بصدد الملكة اللغوية المعرفية – بالسؤال المطروح: هو كيف يمكن للإنسان المحدد العمر والشخصية أن يدرك الكم الهائل من المعارف في العالم الكبير وكلها تشير إلى الثنائية المعروفة ،عالم المثل وعالم الحس.

وأمَّا عن مصطلح "الإدراكية فيعرف بأنَّه" مجموعة التصورات، المتعددة الرؤى والتوجهات، للنظر في الظاهرة اللغوية، والعالم والزمان والجسد وغيرها.

وذلك في سياق " جملة من العلوم تدرس اشتغال الذهن والذكاء دراسة أساسها تظافر الاختصاصات تساهم فيها الفلسفة وعلم النفس والذكاء الاصطناعي وعلوم الأعصاب(علوم

---

[1]–مصطلح اختص به الباحث الأزهر الزناد وله مبرراته المنهجية والعلمية عن سبب الاختيار، Publié il y a 22nd April 2012 par lazhar zanned.

2–في حقيقة الأمر أن القول ب(بأبنية اللغة المرموزة في الذهن) له امتداد فكري وفلسفي، قبل أن يكون له تفسير فيزيائي وتجريبي، والنقلة المعرفية بين التيار الحديث والمعاصر هو هذا المنعطف، فالأسئلة القديمة حول طبيعة العلاقة بين الفكر واللغة لا ينفك يطرح انطلاقا من تحليل الواقع ضمن منطق الرياضيات والفيزياء وغيرها؛ فإن كان هناك تصور لوجود علاقة ما بالمنظور القديم فإن تحديد هذه العلاقة ينطلق من مبادئ دقيقة حسابية وعصبية وفيزيائية.

3–بَنَى تشومسكي نظرية الملكة اللغوية على هذا الإشكال : وهو طبيعة المعرفة الإنسانية وعلاقتها باللغة، ينظر: نعوم تشومسكي : اللغة ومشكلات المعرفة، تر: حمزة بن قبلان المزيني، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1990، ص16.

الدماغ) واللسانيات والأنتروبولوجيا. وتدرس العلوم العرفنية الذكاء عامة والذكاء البشري وأرضيته البيولوجية التي تحمله وتعني كذلك بمنولته وتبحث في تجلياته النفسية واللغوية والأنتروبولوجية (إمبار1992)."[1]

هذا التعدد المصطلحي عرف نقاشا واسعا بين الباحثين اللسانيين العرب، لكل منهم مبرره في الاختيار؛ سواء ما تعلق بالمبرر اللغوي(عرفنة، معرفية، عرفانية)، أو الابستمولوجي(فلسفة العلوم)، أو المنهجي النظري.

ما ذكرناه لمحة وجيزة لأهم الأسس التي كانت وراء بناء التصور التوليدي التشومسكي في عمل الملكة اللغوية وطبيعتها، مما سيجعل الطرح المعرفي بداية مرحلة أخرى تتكفل بنظم المعرفة الإنسانية الأخرى في شكلها المغاير معرفيا ومنهجيا وتجريبيا؛ والتي تربط اللغة بأبعاد ثقافية وجسدية ووراثية، وارتباط كل ذلك بالذهن البشري.

وعليه فإن الطرح السابق سوف يبتعد بنا قليلا عن عنصر هام في تكوين الملكة اللغوية وهو المجتمع أو المحاكاة؛ نظرا لأن التعليم يتطلب أن تخرج اللغة من الكمون إلى الفعل،أو من الإجمال إلى التفصيل، وهو البيان؛ وحينها وذسيكون فاصل الزمن والمكان، فيما يبدع الإنسان ويتكلم، وهذه مسألة أخرى .

كل الذي يقرأ هو حديث عن اللغة وليست حديثا عن تعلمها وهذه مسألة واضحة؛ مما وجه لتشومسكي أنه يبحث عن قواعد التراكيب ولا يبحث في المدونات اللغوية؛ لأن اللغة هي أقرب شاهد من الافتراضات العقلية والتخمينية بالرغم من أن الصفة الأولى لها أنها هيئات نفسية واستعدادات عقلية[2].

ومنه نرى أنَّ مظاهر الارتجال في تصور نظرية البيان العربي؛ أدق بكثير مما ننظره حول اللغة؛ وعلى هذا كان اكتساب الملكة اللغوية والملكات بصفة عامة؛ وحين رسوخها

1–نظريات لسانية عرفنية، الأزهر الزناد ، ص15.

2– ينظر: اللسانيات ومناهج تعليم اللغة العربية لسانيات تشومسكي نموذجا، دراسة تحليلية في اللسانيات التربوية، محمد الصاوي ، ص101؛ وانطلاقا مما بيناه في الفصول السابقة حول فكرة الحدود الصناعية للملكة اللغوية، فإن القول بالقواعد العربية في مرحلة ما سيقابله الآن (اللا إعراب)، والطرح الأخير هو ما نقد تصور تشومسكي فيما بعد من قبل المعرفيين.

تصبح أداة البيان عند الإنسان، وموافقة لحالاته النفسية وما يريد التعبير عنه، بل يقول ابن خلدون عنها أنها لون النفس من الخارج[1]؛ وهذه إجابة كفيلة أن تبين سؤال تشومسكي حول(مشكلة أفلاطون).

4-الاقتضاب (جوامع الكلم):

كثيرا ما يردد ابن خلدون هذه الخاصية التي يعدها من خواص اللسان العربي المبين؛ وهو أيضا من خصائص البيان العربي، وسبب ذلك أن الناظر للتراكيب ويعطينا ابن خلدون معنى ذلك بفهم الحديث الشريف قوله صلى الله عليه وسلم :"**أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا**"[2]، وليس هذا بالنظر إلى النسبة والتفضيل، بل وصف للإبداع والعبقرية من وجه آخر، ولا أدق من وصف الجاحظ لبلاغة سيد الوجود سيدنا محمد صلى الله عليه مما قاله في ذات السياق:"وهذا الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام، ومع استغنائه عن إعادته: وقلة حاجة السامع إلى معاودته، لم تسقط له كلمة ولا زلت له قدم ولا بارت له حجة ولم يقم له خصم ولا أفحمه خطيب..."[3].

[1]-ينظر: المقدمة، ابن خلدون، 1113/1.

[2]-المقدمة، ابن خلدون، 1073/1، وتخريج الحديث في : صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل، بن إبراهيم ابن المغيرة بن بردزبه، البخاوي الجعفي، عالم المعرفة، دار الحديث، القاهرة، دط، 2012، الحديث رقم(2977)، 322/2، و الحديث رقم(7273) ،4/ 396.

[3]- البيان والتبيين، الجاحظ،245/2 ، وتكلم الجاحظ في البيان والتبيين، عن صفات البيان النبوي الشريف، وربما من المصادفة أني قرأت في فيض الخاطر، لأحمد أمين، 189/1؛ يعد مقارنة بين المنطق الغربي والمنطق العربي في عصره وقد أثبت العكس، ورأى أن الجدل والمخاطبة عندنا تهتم بلوي العنق والابتعاد عن الغرض بعكس الأسلوب الغربي، فهو اختصاري وتابع لأغراضهم وأعرافهم الاجتماعية والأسرية.

إنَّما نفهم أيضا من ابن خلدون إجراء هذه المقارنة بين العربية وغيرها من اللغات، من ناحية الاستعمال اللغوي وخصائص البيان المميزة لمراتب الكلام ووجوهه[1].

ولنا مثال يوضح ذلك وهو ما انفرد به العقاد في كتابه أشتات مجتمعات محلَّلا مجموعة من المسائل النحوية ومجريا مقارنة بين العربية وغيرها من اللغات، وقد ارتأينا أن نفيد بها لإيضاح هذه المسألة [2]:

الصفة المشبهة	الضمائر والجمل
1-لا حاجة للتأنيث في الكلمات التالية: حامل ومرضع، وطالق، ويسمى تغليب المعنى على اللفظ عند العرب. 2-حذف علامة التأنيث في: عدل وراوية، فيقال: رجل عدل وراوية كما يقال امرأة عدل وراوية، فهو ليس راجعا إلى قصور في القواعد اللغوية المميزة بين الجنسين، لكن لاعتبارات مجازية واستعمالية واللبس معها ممتنع.	1-التمييز ملازم للبيان من جهة: أن هناك: ضمائر الفصل(أنا/أنتَ/أنت/أنتما/أنتما/أنتم/أنتن/هو/هي/هما/هما/هم/ هن). 2-جواز الجمل التالية: في الدار رجل، الرجل في الدار؛ بخلاف بعض اللغات: يتطلب : الدار فيها رجل؛ أي علامة تدل على الكينونة، لأنَّ كلَّ جملة خلت من الفعل الظاهر فهي غير مفهومة(phrase)، بخلاف (sentence) فهي مفيدة. 3-التقديم والتأخير: محمد حضر/ وحضر محمد/ لأن الموقع ينبئ عن الحالة عند المتكلم وفهم المقصود عند السامع. 4-أسماء الإشارة والأسماء الموصولة، أسماء الأعلام...

جدول (2) يوضح مقارنة لنماذج من القواعد العربية اللغوية بغيرها في اللغات الأخرى

[1]-جاء في الحيوان للجاحظ، 1/91-92،عن تعريف الإيجاز بقوله : أن تجيب فلا تبطئ، وأن تقول ولا تخطئ، وقد ذكر الجاحظ أحد تعاريف البلاغة وهي الإيجاز وحسن الاقتضاب والبداهة، وقال أن العرب أهل ارتجال؛ ينظر: النظريات اللسانية، محمد الصغير بناني، الفصل السادس.

[2]-يراجع تفصيل الأمثلة والشواهد في : أشتات مجتمعات، العقاد، ص40-64.

ثالثا: الذوق البياني:

يصف لنا ابن خلدون في هذا الموضع؛ بدقة عالية خصائص الملكة اللغوية، ويغوص في تحقيقها وبيان جوهرها، وهذا الذي تحدثنا عنه في المباحث السابقة عن قيام علوم اللسان لتحليل البيان العربي، في جميع طبقاته، بدءا بالقرآن العظيم، إلى الحديث الشريف ثم كلام العرب الذين لم تفسد ملكاتهم؛ ويعرض لنا ما يتجاوز التحليل النحوي واللغوي والبياني البلاغي، والأدبي إلى أكثر من ذلك "ويسميه **الذوق البياني**".

ويميّز لنا ابن خلدون في وصف ملكة اللسان العربي، بين مرحلتين هما: مرحلة السليقة اللغوية، وفيهما الكمال اللغوي العربي بفطرته(**لغة مضر**)، ثم ما بعد هذه المرحلة وهي التي تحتاج إلى القاعدة النحوية والشاهد أو بمصطلح دقيق" **التعليم**".

1-الذوق البياني (ملكة البيان):

وتحصل هذه الملكة" بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطن لخواص تراكيبه"[1]، وفيه يبين ابن خلدون كل مستويات التمكن من خلال :

أ-الفهم والاستنباط والتدبر وفقه التراكيب.

ب-التصرف في مستويات الكلام العربي المبين، تركيبا وبلاغة وشعرا ونثرا.

جـ-التفكير والكتابة والعبارة والخطاب.

2-المنطلقات التطبيقية:

يركز ابن خلدون بطريقة تشتمل على ما يمكن أن نسميه بالإبداع والتقليد أو الجمود في العبارة، فبالقدر الذي ننصح به الحفظ نكون أمام تحد آخر وهو الارتجال أو الإبداع؛ ما نبه إليه العلامة أمر ضروري، لأنه يرى في تحقيق الملكات بعامة أمرا فعليا عمليا؛ فهو لا يسأل كيف يكون الإبداع بعد الحفظ؛ إنما يركز على خصائص النفس البشرية، وطبيعتها وفطرتها، ومما له علاقة بالكلام وهو الفعل والتكرار والنشأة أي التربية.

[1]-ينظر: المقدمة، ابن خلدون، 1086/1.

أ-الاعتياد والمداومة:

الاعتياد الخاص باللسان يتعلق بخاصيتين هما : خاصية اللسان، وخاصية النفس، ويبدو أن ابن خلدون يرى في الملكات كلها أنها ذات طبيعة جسمانية[1]، وربما والله أعلم يقصد ما هيأه الله تعالى للإنسان من استعدادات ذكرها من قبل؛ وهي الاستعدادات الجسمية والنفسية؛ من السمع والبصر والفؤاد، وسبيلها ما يرد على الإنسان من الإدراكات والعلوم، وعلى هذا تنشأ الملكات وتتطور؛ من القوة إلى الفعل، أو بتعبير آخر(الإجمال والتفصيل) ولا يقيم هذا الفعل إلا التكرار؛ أو (بمصطلح البيان العربي الذكر)، والذكر بمناسبة اللسان هو التعود على النطق والكلام، وهذه نعمة من نعم الله تعالى على الإنسان.

ب-الارتجال:

وقد أتينا على شرح الارتجال سابقا؛ ولبُّ الفكرة أن المتمكن في الملكة؛ إنما يتكلم بغير روية ولا فكر، بل في زمن أقصر بكثير مما نتصوره.

جـ-الممارسة والاستعمال:

الممارسة أصل العمل والإتقان، ولنقل بالمصطلح المعاصر الاستثمار والتوظيف، ومن نتائجها على تحصيل الملكات والملكة اللغوية بخاصة،اكتساب صفة التمييز، والإتقان، ولنا في نظرية البيان العربي صورة واضحة في القراء من الحفظة والمحدثين في زمن السليقة، لأنها مثلما يقول ابن خلدون، يظهر لك الألفاظ بأعيانها ومعانيها[2]، دون احتياج إلى معلم وهذا من الشروط الفطرية في التحصيل.

د-التربية والنشء:

النظرية البيانية العربية نشأت انطلاقا من هذه الشروط، ويطلق على العرب في مرحلة السليقة؛ بأنهم أمة بيان، والبيان ما نشأ إلا في بيئة استحكمت فيها أبسط خصائص الحياة؛

[1]-ينظر: المقدمة، ابن خلدون، 840/1-841.

[2]-ينظر: المقدمة، ابن خلدون، 1073/1.

وقد سمُّوها نحائز[1] العرب وطبائعهم، وما يمكن نفهمه من كلام ابن خلدون انطلاقا من الرؤية البيانية، أنَّ اللغة هي أقرب إلى التربية والخلق من التعليم، وهذا لا ينفي تعليمها، إلا أن أهم خاصية فيها هي الفطرة والارتجال، وبقدر ما اقترنت بالعمل والتطبيق بالقدر الذي نحصِّل فيه ما سمَّاه الجاحظ بمبدأ الظهور القوة "من السكون إلى الحركة"، وبالفعل ما نراه أمامنا في حركة مستمرة.

هـ-حفظ كلام العرب:

وفيه يبين ابن خلدون ضرورة العودة إلى السليقة ولا يتم ذلك إلا بحفظ القرآن العظيم والحديث وكلام العرب منثوره ونظمه، ومنه التزود بثقافة اللسان العربي المبين:

درجات الرقي بالملكة اللغوية	أسسه ومبادئه
الحفظ والسماع	-البيان القرآني-بيان الحديث-كلام العرب
الطبع	-كيفية نفسانية-الرجوع لحفظ القرآن والعودة إلى السليقة
التغذية	-القوة والضعف-الخروج من القوة إلى الفعل

جدول (3) يمثل ويلخص درجات الرقي بالملكة اللغوية عند ابن خلدون

3-عوائق ملكة الذوق البياني:

أ-العجمة :

ومصطلح (عجمة) من أدق المصطلحات في نظرية البيان العربي، لأنه يصف بدقة الحالات التي تنغلق فيها ملكة السماع عند غير المتمكن من الملكة اللغوية؛ ويبن مساحات التلقي وعدم الفهم، وعدم النطق كذلك؛ ولذلك كان الجاحظ يرد كلمة(الأعجم)[2]، إلى عدم الفهم وليس خاصا بجنس بعينه.

وللتنبيه فقد ذكر كلمة(عجم)، بمختلف اشتقاقاتها حينما كان يشرح علوم اللسان العربي، ووجه التحقيق فيه مثل: أعْجَم، وعَجَم، العَجَم، أعْجَمي، عَجَمي، العُجْمَة...

[1]-مفردها نحيزة، ويقال في اللسان العربي: نحيزة الرجل طبيعته؛ وتعني أيضا الطريقة، عادة ما يستعملها المتقدمون في كتاباتهم مقترنة بالرأي والعقل.

[2]- ينظر: الحيوان، الجاحظ، 33/1.

وفي السياق نفسه، نجد ابن منظور (ت630هـ) وهو معاصره، يتحدث عن مستوياتها، يقول:"ورجل أعْجَميٌ وأعْجُمُ إذا كان في لسانه عُجْمَة، وإن أفصح بالعجمية، وكلام أعْجَمٌ وأعْجَميٌ بيّن العُجْمَة.وفي **التنزيل:** ﴿ لِّسَانُ ٱلذِے يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ﴾""،..جمعه أعْجَمُون...وأما العُجْمُ فهو جمع أعْجَم، والأعْجَمُ الذي يجمع على(عُجْم)...وينسب إلى الأعْجَم الذي في لسانه عُجْمَة، فيقال لسان أعْجَميٌ، وكتاب أعْجَميٌ، ولا يقال رجل أعْجَميٌ...وقال ثعلب: أفْصَحَ الأعْجَميٌ؛ إذا تكلم بالعربية بعد أن كان أعْجَميًّا، الذي في لسانه حُبْسَة وإن كان عربيا،...ومعناه أن **الله عز وجل قال:** ﴿ "۝٤٤ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَأَعْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانۭ بَعِيدٍ ۝٤٤﴾ "عربية مفصلة الآي كأن التفصيل للسان العرب، ثم ابتدأ فقال : "ءَأَعْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ" حكاية عنهم، كأنهم يعجبون فيقولون: كتاب أعْجَميٌ ونبيٌ عربيٌ، فكيف يكون هذا"[1].

فهناك مناسبات عديدة بين الكلمات، العجمة والتفصيل والبيان والفصاحة، فيمكن أن نفهم أن التفصيل والبيان عام يشمل مختلف الألسنة حين تفصيل المعاني والكلام، أما العجمة والفصاحة فتتعلق بصفة الكلام ودرجة بيانه وخلوه من العيوب والعقدة والله أعلم.

وذكر صاحب اللسان مناسبة أخرى لكلمة(عجمة)، منها الحيوانات يقال لها عجماء، وأيضا الأخرس والذي لا يفهم غيره، وفي جميعها تعود إلى البيان والتفصيل والإفصاح؛ وهذه شروط دقيقة وخصائص معروفة في ملكة اللسان العربي.

[1]-لسان العرب، ابن منظور، مادة(عجم)، ص2825-2829، أوردنا ذكر هذا النص لابن منظور هنا لدقه فائدته في تفصيل مستويات العجمة وعلاقتها باللسان العربي المبين.

ويقرُّ ابن خلدون في فكرة العجمة فكرة أخرى للبيان العربي، وهي رؤية مقومة ولا ينفي معها التغيير الذي يلحق اللغات بسبب الاختلاط والعمران؛ لكنه يضع وجه التحقيق وشروط اللسان العربي المبين الذي يراه وسيلة لبلوغ مقاصد القرآن العظيم، وفهم الحديث الشريف، أي الاستنباط[1]، والمعاني موجودة في طور كل فكر، وفي كل مكان وزمان، إنما العمل المطاوع يكون في (ملكة اللسان)[2]فهي وسيلة لنقل معارف النفس منها الفكر، فكان يضع لها الشروط، ويبّين مساحات المزج بين الملكات في حال أكثر من ملكة منها اللغة ومنها ملكات أخرى كالنحو والمنطق والفقه والتصوف وغيره؛ وفي جميع ما ذكر ابن خلدون يحاول تقويم اللسان العربي والرجوع به إلى صفاء الفطرة في عهد السليقة العربية.

3-2-مستوياتها :

ويمكن أن نشرح الحالات التي تكون عليها العجمة، انطلاقا مما نظر له ابن خلدون[3] في المستويات التالية:

المستوى	تحليله
النحوي: تغير الحركات(الفتحة/والضمة/والكسرة/)	-يخلّ بالتفاهم بين المتكلمين زمن السليقة العربية -لا يخلّ بالتفاهم بعد زمن السليقة -لا يمكن الاستغناء عنها لأنها أحكام أواخر كلمات القرآن العظيم، والحديث الشريف.
اللغوي: الترادف(سماع كيفيات مختلفة لبعض الألفاظ ومجاورتها للكلمة الدقيقة)	-يمكن أن يمسَّ مستوى العبارة العلمية والمنطقية نعني المصطلحات في الحقول المعرفية، والعلمية.
البياني: تغير معاني ومواضيع الألفاظ مما ينجم عن طرائق التأويل الصحيحة والخاطئة	-يدخل فيها وسائل الفكر، ومساره التاريخي، والاحتكام إلى زمن البيان في السليقة، والتتابع

[1]-طريق الاستنباط في نظر ابن خلدون قائم على البيان العربي، وهو ما ذكرناه في المبحث السابق، وينظر: المقدمة، ابن خلدون، 768/1.

[2]-هنا نجد أن ابن خلدون يفرق لنا بدقة متناهية بين عمل الفكر وتحصيل الملكة اللغوية التي هي عبارة المتكلم في اللسان؛ لذلك فإن أساس تحصيلها في التربية والمنشأ وما يتعلق بهما.

[3]-قمنا بتحليل هذه المستويات من خلال قراءة فصل ابن خلدون عن علوم اللسان العربي، لأن النصوص كثيرة لا يسع المجال لذكرها.

	الزمني للأفكار والمفاهيم
الأدبي: كثرة المصطلحات، بدل المتون اللغوية.	-الاختلاف في الرؤى، دخول أفكار ونظرات لغير الناطقين بالعربية الفصحى، التكلف والصنعة بدل الارتجال والبديهة

جدول (4) يشرح مستويات العجمة ويحللها[1]

4-تحقق الارتجال وكمال البيان والملكة اللغوية:

أ-بين الارتجال والكفاية اللغوية :

بعدما أجرى ابن خلدون وصفا دقيقا لمستويات التحليل البياني، أتبع ذلك وجه التحقيق، مبينا الفطرة والارتجال والذوق البياني، وهذا من خلال عرضه لجوهر الملكة اللغوية وجوهر النحو وغيره مما يتعلق باللسان العربي، وذكر مجموعة من المصطلحات التي تصف هذه الملكة ولا تؤولها، أي أن النحو مثلا هو علم بكيفية لا نفس كيفية[2].

وعليه يبرز فهم ابن خلدون لطبيعة الملكة التي لا يمكن أن تخضع للقواعد الموصوفة، سواء قواعد اللفظ والتركيب، أو قواعد المعنى واستجلائه(البلاغة)، وهذا يدع مجال المقارنة بين المصطلح القديم (الفطرة)، والمعاصر (نظام من القواعد قائمة في ذهن الإنسان) تمكنه من إنتاج عدد لا متناه من الجمل[3] أمرا ملحا، ويمكن أن نلخص ذلك في الجدول التالي :

المفهوم الخلدوني	المفهوم الحديث والمعاصر
1-الملكة اللغوية صفة نفسية راسخة 2-لها طبيعة الفطرة: لها استعداد نفسي وخلقي(سمع/بصر/فؤاد).	1-القواعد النحوية والكلية الذهنية 2-قواعد الفطرة: جهاز يولد مع الطفل لإنتاج لغته. 3-معرفة لا واعية باللغة.

[1]-تم تحليل هذه المستويات انطلاقا من قراءتنا لنصوص ابن خلدون؛ بالاعتماد على تكرار النصوص الخاصة بالعجمة ومجيئها في ينصوص متفرقة عند تنظيره للعلوم اللسان العربي، وتحقيقه لملكة اللسان العربي.

[2]-ينظر: المقدمة، ابن خلدون، 1/ 1081

[3]-ينظر: اللسانيات من خلال النصوص، عبد السلام المسدي ، الدار التونسية للنشر ، دط، دت، 109-116، وهو كتاب منهجي دقيق يضع فيه نصوصا مختارة لجملة من اللسانيين المعاصرين العرب وغير العرب.

3-تهذب في وسط المجتمع عن طريق السماع والدربة والمداومة. 4-لها صفة الارتجال: دون فكر ودون تهيئة مسبقة. 5- تصل في مرحلة الإتقان إلى أداة للتعبير عن التفكير والاستنباط وهنا تشترك مع جميع اللغات في كونها وسيلة للبيان عما في الضمير. 6-مبدأ اختلاف الألسن، وهي الكيفيات المتعددة لعبارة المتكلم عما في ضميره بواسطة الأصوات اللغوية. 7-مثلما يسمع كيفيات الأصوات، في المخاطبات يتلقى معها ضروب المحاورة والتلقين والتصحيح، وتعلم المعارف انطلاقا من لتمييز، والمنشأ	4-المناطق الفيزيائية والبيولوجية في الدماغ 5-الاحتكام إلى أمراض الكلام والنطق وصعوبات التعلم. 6-البنية البيولوجية والعصبية للغة عند الإنسان تشترك مع جميع اللغات. 7-مبادئ افتراضية لماهية الملكة اللغوية واستنتاجيه، وهناك المدرس للغة والباحث في اللغات، والأول يأخذ من الثاني التطبيقات اللغوية.

جدول (5) يوضح نظرة كل من المفهوم الخلدوني للملكة اللغوية والمفهوم اللساني المعاصر[1]

5-خصائص العبارة البلاغية، وخصائص العبارة العلمية :

أ-خصائص العبارة البلاغية:

واستكمالا للفكرة السابقة حول الغاية التي يريد ابن خلدون أن يصل إليها، وهي كيفية تحقيق تحصيل ملكة اللسان العربي، على الوجه الذي تحصل له ملكة الذوق البياني؛ والتفطن لخواص التراكيب العربية[2]، دون أن يكون هناك حجاب يمنعه من الفهم أو معاينة المعاني على حقائقها، وهو يذهب إلى أكثر من ذلك إلى أن المتكلم يتكلم بعبارة هي ترجمة لأحواله[3](مطابقة الكلام لمقتضى الحال)، وهذا يجعل مفهومه للكلام والبلاغة يمتد إلى ربط

[1]-تم إجراء هذه المقارنة انطلاقا من قراءتنا لمفهوم الملكة اللغوية عند ابن خلدون، ومقابلتها بالنظرة اللسانية المعاصرة عند كل من تشومسكي وغيره من اللسانيين المعرفيين.

[2]-ينظر : المقدمة، ابن خلدون، 1075/1.

[3]-يقول محي الدين ابن عربي(560هـ-638هـ) في ذلك"لأن الله تعالى أخبر عمن هذه صفته أنه يدعو إلى الله على بصيرة، فمن التأسي به برسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننطق على تلك المعاني هذه الألفاظ النبوية، إذ لو كان في

القول بالعمل مباشرة، أي التطبيق، وهذه من خصائص النفس البشرية التي هي على الفطرة، ويبدو أن هذا طرح آخر لحقيقة الإبداع والكلام.

أي أنَّ شروط الفطرة والفصاحة في الكلام والارتجال، منصبة في نزع هذه الحجب؛ ونعني بها كما سيأتي؛ تزاحم الملكات، والعجمة، والقوانين المستنبطة من الكلام العربي دون ممارسة الكلام العربي الفصيح؛ إلا أنه في هذه الفكرة يهدينا خصائص البيان العربي، وفضله في تحقيق ملكة اللسان العربي، وملكة البلاغة بمعنى أدق الذوق البياني؛ وفيما يلي أهم خصائص العبارة البلاغية استخلصناها من الفصول التي تحدث فيها عن وجه التحقيق في علوم اللسان العربي[1] :

-مطابقة الكلام لمقتضى الحال، فهي ترجمة لأحوال المتكلم من أفعال، وأفكار ومقاصد وغير ذلك.

-عدم تزاحم الألفاظ، وركوب بعضها بعضها، لأن ذلك ناتج من تمازج الملكات دون استحكام، وهي غموض المعاني في الذهن، وعدم تفصيلها في التطبيق الكلامي .

-صاحب العبارة البلاغية يفهم العقول بما لها الاستعداد وهي من الفطرة والقبول.

-ليس هناك تناقض بين الملكات، إذ العبارة هي مطابقة الكلام من جميع وجوه شروط الحال.

-تحصيلها يكون بحفظ الطبقة العالية لكلام العرب، ثم ممارسة المحفوظ وتطبيقه مع سلامة الطبع والفهم السليم؛ ويعطينا ابن خلدون هذه الطبقات؛ وهي حفظ القرآن العظيم، والحديث الشريف والفصيح العربي من المنظوم والمنثور.

العبارة عنها ما هو أفصح منها لأطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم"، الفتوحات الملكية، ابن عربي، 305/86و 259/3 نقلا عن اللغة والمعنى، دليل بوزيان وآخرون، ص99.

[1]-الفصول تبدأ من الفصل السادس والأربعين إلى آخر الكتاب، 1071/1-1169.

ب-العبارة العلمية (القوانين):

وهذه نقطة نرى ابن خلدون يقابلها بالملكات على الفطرة أي الفرق الدقيق بين عبارة النفس على الفطرة وعبارة النفس عن المفاهيم المجردة والقوانين العلمية، وفي هذا يقول صاحب دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني:" ...أما البدء، فهو أنك لا ترى نوعا من أنواع العلوم إلا وإذا تأملت الأولين الذين علموا الناس وجدت العبارة فيه أكثر من الإشارة، والتصريح أغلب من التلويح، والأمر في (علم الفصاحة)، بالضد من هذا..."[1]، وهي كذلك القوانين تصف لنا حدود اللسان العربي، وعلومه، من ذلك القواعد المستنبطة من الكيفيات التي يكون عليها الكلام؛ إعرابا ونحوا وبلاغة وأدبا ونظما؛ وهذه من العلوم التي تحتاج إلى تعلم ومدارسة وتطبيق.

وعليه فإن ابن خلدون هنا يحيلنا إلى فكرة لها شأن كبير تتعلق بالعلاقة بين اللسان (البيان) والنظر فيه؛ وأهم ما ينتج عن النظر تفرع المسائل واختلاف المصطلحات، لأنها تحتكم إلى التعليم والمذاهب[2]، فلكل مذهب طريقة ومصطلح؛ وهذه من أهم الإشكالات التي تصاحب المتعلم الذي يروم تحصيلها أي العربية؛ وفيما يلي أهم ما يميز العبارة العلمية عند ابن خلدون :

-العبارة العلمية هي عبارة الضمير من المعارف والعلوم .

-ناتجة عن النظر في أحوال الكلام من كل جهاته، استنباطا واستقراء(قوانين اللسان).

- لها صفة اختلاف المصطلحات لاختلاف الآراء، لأنها ترجمة لآراء وأوجه نظر مختلفة.

-تتطلب التدرج في الدراسة وكثرة المشايخ والمعلمين لتمييز المصطلحات ومعرفة بعضها من بعض .

[1]- شرح دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني(471هـ)، محمد إبراهيم شادي، ص530.

[2]-ينظر : المقدمة، ابن خلدون، 771/1.

-تحتكم إلى المنطق والبرهان، لأنها قانون الكلام، وهي القوانين العقلية التي تصاحب تصريف الكلام وأجه وروده وتعلل مجيئه بتلك الكيفية.

-يكون تحصيل الملكة اللغوية، بحفظ شواهد هذه القوانين، وضرب لنا مثلا بكتاب سيبويه، ومن تفقه وحفظ الشواهد حصلت له الملكة اللغوية العربية.

خلاصة :

يمكن في الأخير أن نفهم وجه التحقيق في تحصيل الملكة اللغوية عند ابن خلدون، من خلال التطرق لخصائصها، فإن كانت حدود النظر ودرجاته المتعلقة بوصف البيان العربي؛ والمتمثلة في النحو واللغة والبيان والأدب، قد بينت جزءا من فهمها له، فإنَّ ما يلخص هؤلاء جميعا الفطرة والارتجال والذوق البياني، والنتيجة هي الفرق بينهما؛ أي الفرق بين العبارة البلاغية(البيانية)، والعبارة العلمية(التي تحصل بالتعليم).

خاتمـــــة

خاتمة:

تم بحمد الله تعالى عرض فصول الدراسة وأتينا إلى ختامها، واستوفينا فيها ما حسبناه كفاء لها، وفيما يلي أهم النتائج المتوصل إليها بإيجاز:

-للسماع وظائف عدة في ضوء الرؤية البيانية العربية منها: التصرف والارتجال وسمو الطبيعة.

-كما تتجلى وظيفة القياس في استنباط القواعد اللغوية، والاستدلال، والإبداع، لأن القياس محاكاة الأصل المسموع أو المنقول، وله كذلك وظيفة تقويم اللسان ورده من الخطأ إلى الصواب.

-تتجلى أهمية الشاهد اللغوي في ملكة التحليل النحوي، والتحليل البلاغي والتحليل المنطقي، وملكة الفهم والإفهام .

-يقوم الحد الصوتي على الخبرة لمخارج الحروف وصفاتها وبعد النظر والدقة والملاحظة، وهو قائم على نصوص البيان العربي؛ أرقاها أداء القرآن العظيم والحديث الشريف والكلام العربي الفصيح.

-الأساليب الرياضية الصوتية أساليب تمس المنشأ والطبيعة ومستويات تدريبية قائمة خصائص البيان العربي، منها التلقي والحفظ والمشافهة والتيسير النطقي والنفسي.

-طريقة وضع العرب لألفاظها هو جزء من تفكيرها؛ ويخص الوظائف الآتية: وظيفة التفكير، والوظيفة العلمية(مثل: تصنيف الموجودات، والمفاهيم الكلية والمجردة، والتخصيص، والتصوير).

-تتجلى أهمية هذه الوظائف البيانية للكلمات العربية في: تحديد المصطلحات العلمية، استفادة ميدان الترجمة من دقة التخصيص والقضاء على آفة الترادف، الابتعاد عن القوالب

الجاهزة في مقابل الإبداع والتأليف من خلال مبحث الاستعمال اللغوي في مقابل منطق اللغة اللفظي.

-يعدّ منطق الكلام في مقابل منطق اللفظ السابق الشق التطبيقي لنظرية البيان العربي؛ ويمثل قديما وحتى الآن قضايا تفسير القرآن العظيم والحديث الشريف، وقضايا فهم النصوص القديمة وتحصيل الذوق الأدبي.

-يتميز التحليل البياني بميزات عدة منها: استثمار منطق النحو واللغة، والنظم، واستعمال ملكات الفهم والتفسير والتأويل والاستنباط؛ مما يقلل من الفصل المنهجي بين اللغة وما هو خارج عن اللغة.

-للجاحظ رؤية عميقة في خصائص البيان العربي من خلال مقارنة الأداء البياني على البديهة والارتجال في مقابل صناعة القول والكلام والبلاغة

-الرجوع إلى الفطرة في نظر الجاحظ ينجم عنها الانتقال مما هو ملاحظ إلى ما ندركه بعقولنا وحواسنا، وما نترجمه من أفكار ونظريات؛ وهذا أساس التحصيل والتعلم عنده.

-العرب أمة بيان في نظر الجاحظ، وتظهر أهميته في المستوى النفسي والاجتماعي والخلقي وغيره؛ كل ذلك قائم على خصائص الخطاب البياني عند القدماء ومكانه مقارنة بالشعوب الأخرى.

-من مبادئ إحياء الملكات عند الإنسان في نظر الجاحظ: الذكر والخبر والاستعمال، وأساس تطويرها يكون من السكون إلى الحركة.

-غاية البيان عند الجاحظ هي الفهم والإفهام، وعلاقته بالملكة اللغوية يخص مفهوم الدليل بنوعيه اللغوي وغير اللغوي، فالدليل محرك الذهن في الاستلزام والذكر وجميع المواهب الداخلية.

-تعليم اللغات عنده يسير وفق: الترتيب والتدريب والتعليم والتقويم؛ واللغة هي إلهام ووحي، واكتساب وتمرين.

– يمثل البيان بأنواعه(القرآن العظيم، والحديث الشريف، والشعر الفصيح، وأقوال الفصحاء) مادة الاستنباط والفهم عند الجاحظ.

–تشترك الملكة اللغوية مع أصناف البيان الخمسة عند الجاحظ في ما يلي: اللفظ دليل الضمير وصورة للمعاني وخصائصها وطبقاتها وأجناسها وأقدارها وعامها ...أما الإشارة فهي خاصة بمنطق النظم والكلام وصناعته وما هو خارج عنه مثل إشارة الحواس، وهيئة الخطيب وغيرها.

–هناك مجموعة من الشروط المنهجية والمعرفية والنفسية والذهنية لملكة الكتابة؛ فالمعرفية والمنهجية مثل الكتابة الاستشكالية، وأما النفسية مثل العجب وفتنة البدايات، وأما الذهنية فهي فضول العقل البشري.

–تتعلق ملكة الكتابة والترجمة عند الجاحظ في مستويات التداخل اللغوي(أي الضيم بمصطلحه) ويعني به فكرة تمازج أكثر من ملكة لغوية وتداخلها عند المترجم.

–يتجلى البعد المعرفي عند الجاحظ في الحساب والنصبة، فالأول أساس القوام والمصلحة، والنظام، والثاني للاعتبار في أسرار الجماد والعجم من الحيوان وفي خلق السموات والأرض؛ وللاعتبار وظائف منها: الحكمة، وبيان القسم الضمني من الموجودات والصور، وتعدد زوايا الرؤى عند الإنسان.

_ لم يدخل ابن خلدون الملكة اللغوية في العلوم العقلية؛ لأن اللغة ملكة متكررة في عضو اللسان.

–يمثل التجميع والتمييز أساسا لتحصيل الملكات عند الإنسان، ومنها ملكة اللغة؛ والملكات مواهب ربانية وتهذيبها هو تهذيب للأفعال والنفس.

–تعد الأوصاف النحوية واللغوية والبيانية والأدبية عند ابن خلدون أوصافا لملكة اللسان العربي، تحتاج إلى التدرج والتعليم؛ لأنها قائمة على القواعد والمصطلحات.

-تتعلق فطرية الملكة اللغوية بحقيقة اللغة عند ابن خلدون؛ فاللغة عنده ليست جنسا ولا عضوا بيولوجيا ولا بنية في الذهن، وإنما هي حقيقة نفسية دليلها؛ أحوال النفس وصدور الكلام على غير برمجة.

-غاية هذه الملكة اللغوية الفعل والتطبيق؛ لأنها ملكة متقررة في عضو اللسان، غايتها البلاغة والإفادة.

-لم يخلط ابن خلدون مدارك النفس بمدارك الجسم؛ لذلك فاللغة هي اقرب من الفطرة والارتجال من الفكر والتفكر.

-المنطلقات التطبيقية والفعلية لتهذيب الملكة اللغوية عند ابن خلدون غايتها الرجوع إلى خصائص ملكة اللسان العربي في عهد السليقة العربية، وهذه الخصائص مرتبطة بما سماه(الذوق البياني)، وهو معاينة المعاني على حقيقتها أثناء التخاطب تماما كما يفهمها العربي الفصيح الأول.

-مصطلح الارتجال ناتج عن استعداد النفس وفطرتها بداية، أما مصطلح(كفاية) فناتج عن القول بقواعد اللفظ والجملة وقوانين المعنى في البلاغة.

-ميز ابن خلدون بين العبارة البلاغية والعبارة المنطقية، فلأولى تحقق شروط صفاء الفطرة والبيان، ووضوح المعاني في الذهن، وتفصيل الكلام دون تناقض، أما الثانية فهي عبارة النظر والتعمق والتفكر، وتحتاج إلى التعليم والدراسة والتدرج، وشواهدها لغوية ومصطلحية.

المقترحات العلمية:

-ضرورة العودة إلى نصوص البيان العربي المتمثلة في القرآن العظيم، والحديث الشريف، والكلام الفصيح؛ لأنَّه مادة الاستنباط لما قدَّمناه من خصائص.

-العودة إلى أساليب تحليل الكلام النحوية والبلاغية، والمنطقية؛ لأنَّها من متطلبات الملكة اللغوية العربية في عهد السليقة العربية.

-الاستفادة من الخبرة الصوتية الوصفية للبيان العربي، التي تعدُّ وجها من وجوه الأداء العربي الصحيح، ومقوِّماته في النطق والكلام.

-استثمار آليات التحليل البياني في تحليل النصوص، من خلال تمييز وظائف الكلمات البيانية، ونقلها إلى حقل الترجمة، بوصفها وجها من وجوه البيان العربي في التخصيص والتدقيق العلمي.

وما العلم إلا من عند الله العزيز الحكيم

والصلاة والسلام على نبيه الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين

تمَّ بحمد الله وعونه

والله من وراء القصد والله ولي التوفيق

المصادر والمراجع

القرآن العظيم برواية ورش عن نافع

مصادر البحث:

1- الاقتراح في علم أصول النحو، لجلال الدين السيوطي، ضبط عبد الحكيم عطية، وعلاء الدين عطية، دار البيروني، ط2، 2006.

2- البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح: درويش جويدي، المكتبة العصرية صيدا، بيروت –لبنان، دط، 2003.

3- البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح : عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دط، دت.

4- حجة القراءات، للإمام أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة رحمه الله، تح : سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت–لبنان، ط5، 1997.

5- الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(150- 255ه)، تح: عبد السلام محمد هارون، المجمع العربي منشورات محمد الداية، بيروت –لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط3، 1969.

6- الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت392ه)، ، تح : علي نجار، دار الكتب العلمية، دط، دت.

7- الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت392ه)، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط2.

8- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تعليق محمود محمَّد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، دت.

9- الرسالة، للإمام المطلبي محمد بن إدريس االشافعي(150ه-204ه)، تح : أحمد محمد شاكر، مطبعة أحمد مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1357ه/1939.

10- الرسائل الأدبية، لأبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ، دار التقوى، مصر، دط، 2018.

11- رسالة في أسباب حدوث الحروف، لأبي علي الحسين بن عبد الله ابن سينا (370-428هـ)، تح: محمد حسان الطيان ويحي مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1982.

12- المزهر في علوم اللغة، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، شرح : محمد أحمد جاد المولى بك وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، دط، 1986.

13- أسرار البلاغة، عبد الرحمن بن محمد عبد القاهر الجرجاني، دار ابن الجوزي، القاهرة -مصر، ط1، 2010.

14- شرح دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني(471هـ)، محمد إبراهيم شادي، دار اليقين، المنصورة-مصر، ط1، 2010.

15- شفاء السائل وتهذيب المسائل،أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن خلدون، تح : محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط1، 1996.

16- الصاحبي، لأبي الحسيبن أحمد بن فارس بن زكريا، تح : السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة-مصر، دط، دت.

17- صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل، بن إبراهيم ابن المغيرة بن بردزيه، البخاوي الجعفي، عالم المعرفة، دار الحديث، القاهرة، دط، 2012.

18- الصناعتين الكتابة والشعر، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تح: علي محمد بجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البالي الحلبي، ط1، 1371-1952.

19- فتح الباري(بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري)، ابن حجر العسقلاني، تحقيق هاني الحاج، المكتبة التوفيقية، مصر-القاهرة، ج1، ط2، 2012.

20- الفتوحات المكية، ابن عربي، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، (بيروت -لبنان)، دط، دت

21- الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، نصر-القاهرة، دط، 1997.

22- فقه اللغة وسر العربية، لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، تح: يحي مراد، المختار، القاهرة-مصر، ط1، 2009 .
23- المقدمة، تاريخ العلامة ابن كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ومن عاصرهم، من ذوي السلطان الأكبر، وهو تاريخ وحيد عصره، العلامة عبد الرحمن ابن خلدون المغربي، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، مج: 1، ط2، 1979.
24- الإمتاع والمؤانسة، لأبي حيان التوحيدي، تح : أحمد أمين، وأحمد الزين، هنداوي، دط، 2017.
25- تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل وفي وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي(467-525هـ)، تح: خليل مأمون شيما، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط3، 1430هـ-2009م.

المراجع باللغة العربية :

26- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي الشافعي(ت 911هـ)، دار الفكر، ط1، 1433-2012.
27- استراتيجيات التعليم، حسن حشاته، الدار المصرية اللبنانية، ، القاهرة-مصر، ط4، 2016.
28- الأسس العامة لمناهج تعليم اللغة العربية، رشدي أحمد طعيمة، دار الفكر العربي ، القاهرة-مصر، ط2، 2000.
29- أسس تعلم اللغة وتعليمها، براون دوجلاس، تر: عبده الراجحي، وعلي شعبان، دار النهضة العربية، بيروت، 1994.
30- أشتات مجتمعات، لعباس محمود العقاد ، مؤسسة هنداوي، القاهرة -مصر، دط، 2013.
31- الأصول دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب: النحو، فقه اللغة، البلاغة، عالم الكتب الحديث، 2000.

32- آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل، نعوم تشومسكي، تر: عدنان حسن، دار الحوار، اللاذقية-سوريا، ط1، 2009.

33- مبادئ علم النفس التربوي، عماد عبد الرحيم الزغلول، جامعة مؤتة، دار الكتاب الجامعي، الإمارات العربية، ط2، 2012.

34- البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، محمد العمري، إفريقيا الشرق، 1999 بيروت-لبنان.

35- والعمران، محمد الصغير بناني، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون-الجزائر، 1996.

36- بيبلوغرافيا اللسانيات ،قراءة في مؤشرات المحاورة ومداخل السياقات المعرفية اللسانية، عيسى مومني، دار العلوم ، عنابة-الجزائر، دط، 2012.

37- تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، لبنان، دط، 2005.

38- تاريخ العربية لسان العالمين، عبد الرحمن عطية، تر: حفناوي بالي، دار هومة، بوزريعة-الجزائر، ط2، 2011.

39- تلاوة القرآن الكريم وعاداتنا النطقية بحث في الصوتيات القرآنية، لأبي بكر حسيني، دار ساسي، الوادي-الجزائر، ط1، 2016.

40- الجاحظ دائرة معارف، فوزي عطوي، دار الفكر العربي، بيروت-لبنان، ط2، 1998.

41- الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، دار الفارابي، بيروت-لبنان، ط1، 2001.

42- الاحتجاج بالشعر في اللغة والواقع ودلالته، محمد حسن حسن جبل، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، دت.

43- تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة، آمنة بلعلى، دارالأمل، مدوحة- تيزي وزو،الجزائر، 2009.

44- محاضرات في اللسانيات بحسب النظام الجديد الليسانس والماستر والدكتوراه L.M.D، رابح بوحوش، دار العلق، عنابة-الجزائر،2015.

45- محاضرات في علم الدلالة، نصوص وتطبيقات، خليفة بوجادي، بيت الحكمة، العلمة-الجزائر، ط2، 2012.

46- محاورات مع النثر العربي، مصطفى ناصف، مطابع الرسالة التجارية الكويت، عالم المعرفة، 1997.

47- الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، سلسلة علوم اللسان عند العرب،(3).

48- ابن خلدون وآراؤه اللغوية والتعليمية(دراسة تحليلية نقدية)، فتيحة حداد، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، 2011.

49- دراسات عن ابن خلدون، ساطع الحصري، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الكتاب العلمي، بيروت، ط3، 1967.

50- دراسات في اللسانيات التطبيقية، حقل تعليمية اللغات، أحمد حساني، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون-الجزائر، ط2، 2009.

51- دراسات في اللسانيات التطبيقية، هايل محمد الطالب، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط1، 2017.

52- دفاتر فلسفية، إعداد وترجمة، محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، دار بوتقال، الدار البيضاء-المغرب، ط4، 2005.

53- تدريس فنون اللغة العربية، علي أحمد مدكور، دار الشواف، الرياض، دط، دت.

54- -المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، محمد الصغير بناني، دار الحكمة، الجزائر،2001.

55- التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، دار كنوز المعرفة، ط1، 2016

56- الرياضة الصوتية في مرجعيات البحث اللساني العربي، لأبي بكر حسيني، دار خيال للترجمة، برج بوعريريج- الجزائر، ط1، 2020.

57- السماع اللغوي عند العرب ومفهوم الفصاحة، عبد الرحمن الحاج صالح، موفم للنشر، الجزائر، دط، 2012.

58- أسواق العرب في الجاهلية والاسلام، محمد سعيد الأفغاني، المطبعة الهاشمية، دمشق، 1937.
59- الصوتيات العربية الدراسة الإفرادية للأصوات، أبو بكر حسيني، مطبعة مزوار، الوادي-الجزائر، ط1، 2013.
60- الأصوات اللغوية عند ابن سينا، عيوب النطق وعلاجه، نادر أحمد جرادات، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1، 2015.
61- ضحى الإسلام، أحمد أمين، مطبعة الاعتماد، ط1، 1932، جامعة مصر، طلية الآداب ج1.
62- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ط1، 2011.
63- العربية في اللسانيات التطبيقية، وليد العناتي، كنوز المعرفة، عمان-الأردن، ط1.
64- العرفانية وبناء المعرفة، عبد الرزاق عمار ، دار سحر، تونس، دط، 2014.
65- العمل الديني وتجديد العقل، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط2، 1997.
66- التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، عبد الرحمن بن خلدون، دار الكتاب اللبناني، دط، 1979.
67- تعريف المصطلحات في الفكر اللساني العربي أسسه المعرفية وقواعده المنهجية، البشير التهالي،دار الكتاب الحديث، لبنان، ط2، 2013.
68- على طريق التفسير البياني، فاضل صالح السامرائي، جامعة الشارقة- الإمارات -العربية، 2004.
69- تفسير الشعراوي، أخبار اليوم، قطاع الثقافة والكتب، 06 أكتوبر.
70- فصول في فقه اللغة العربية، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ط6، 1999.

71- فقه اللغة وخصائص العربية دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد، محمد المبارك، دار الفكر، بيروت–لبنان، دط، 2005 .

72- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، ط2، 2000.

73- في أصول النحو، سعيد الأفغاني، مطبعة دمشق، ط3، 1964.

74- فيض الخاطر(مقالات أدبية واجتماعية)، أحمد أمين، مؤسسة هنداوي، القاهرة– مصر، ج10، دط، 2012.

75- التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس(مشروع قراءة)، حمادي صمود، منشورات الجامعة التونسية، 1981.

76- مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، مرتضى جواد باقر، دار الشروق ، عمان، الأردن،ط1، 2002.

77- قضايا ألسنية تطبيقية دراسات لغوية نفسية مع مقارنة تراثية، ميشال زكريا، دار العلم للملايين، بيروت–لبنان، ط1، 1993.

78- التقويم اللغوي في الكتابة والتفكير التأملي، أكرم صالح محمود خوالدة، دار الحامد، مصر، دط، 2002.

79- اللسانيات التوليدية، مصطفى غلفان وآخرون، من النموذج المعيار إلى البرنامج الأدنوي، مفاهيم وأمثلة، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2010.

80- اللسانيات التوليدية، من التفسير إلى ما وراء التفسير، نعوم تشومسكي، تر: محمد رحالي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت–لبنان، ط1، 2013.

81- اللسانيات الحاسوبية والترجمة الآلية، بعض الثوابت النظرية والإجرائية، سناء منعم، منشورات مختبر العلوم المعرفية، علم الكتب الحديث، إربد–الأردن، ط1، 2015.

82- اللسانيات، المجال والوظيفة، والمنهج، سمير استيتية، عالم الكتب الحديث، دار جدارا للكتاب العالمي، ط1، 2005، ط2، 2008.

83- اللسانيات من خلال النصوص، عبد السلام المسدي ، الدار التونسية للنشر ، دط، دت.
84- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-بيروت، ط1، 1998.
85- اللسانيات النصية في الدراسات العربية الحديثة بحث في الأطر المنهجية والنظرية، خالد حميد صبري، خالد حميد صبري، منشورات الاختلاف ، الجزائر العاصمة -الجزائر ، منشورات ضفاف ،بيروت لبنان ،ط1 ، 2015.
86- اللغة والبلاغة والميلاد الجديد، مصطفى ناصف، دار سعاد الصباح، ط1، 1992.
87- اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان، عالم الكتب، ط4، 2001.
88- اللغة والمعنى، مقاربات في فلسفة اللغة، دليل محمد بوزيان وآخرون، ضمن مقال لغة الخطاب الصوفي الإشارة والرمز "محي الدين بن عربي" شارفي عبد القادر، منشوات الاختلاف، العاصمة- الجزائر، ط1، 2010.
89- اللغة والتفسير والتواصل، مصطفى ناصف، عالم المعرفة، مطابع الرسالة، الكويت، دط، 1997.
90- التلقي والتأويل(مقاربة نسقية) ، محمد مفتاح، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1994.
91- مقالات في اللغة والأدب، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1982.
92- من تاريخ النحو، سعيد الأفغاني، دار الفكر، دط، دت.
93- الملكة اللغوية في الفكر اللغوي العربي، السيد الشرقاوي، مؤسسة المختار، القاهرة-مصر، ط1، 2006.
94- منطق العرب في علوم اللسان، سلسلة علوم اللسان عند العرب(2)، عبد الرحمن الحاج صالح، موفم للنشر، الجزائر،2012.
95- النظريات اللسانية والبلاغية عند العرب، محمد الصغير بناني، دار الحداثة، بيروت-لبنان، ط1 ، 1987.

96- –نظرية البلاغة العربية، دراسة في الأصول المعرفية، أحمد سعد محمد، مكتبة الآداب، القاهرة–مصر، ط1، 2009.
97- نظرية البيان العربي (خصائص النشأة ومعطيات النزوع التعليمي–تنظير وتطبيق)، رحمان غرقان، دار الراني، دمشق–سوريا، ط1، 2008.
98- نظريات التعلم وتطبيقاتها في علوم اللغة، اكتساب المهارات اللغوية الأساسية، عبد المجيد عيساني، دار الكتاب الحديث، القاهرة–مصر، 2012.
99- نظريات التعلم دراسة مقارنة، مصطفى ناصف وآخرون، عالم المعرفة، أكتوبر 1983.
100- نظريات لسانية عرفنية الأزهر الزناد، ،الدار العربية للعلوم، (دط).
101- نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلمات، جون أوستين، تر: عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، الدار البيضاء–المغرب، ط1، 1991.
102- النقد الصوتي في أدبيات المرجعية القرائية، دار خيال للترجمة، برج بوعريريج–الجزائر، ط1، 2020.
103- الوجيز في قواعد اللغة العربية، سعيد الأفغاني، دار الفكر، 1971.
104- وحي القلم ، مصطفى صادق الرافعي، دار ابن الهيثم، 1964.
105- الإيضاح في علل النحو، لأبي القاسم الزجاجي(ت337ه)، تح: مازن المبارك، دار النفائس، ط3، بيروت، 1979.
106- الوظائف التداولية للتخاطب السياسي وأبعادها الحجاجية، نور الدين أجعيط، عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن، 2016.

المعاجم والموسوعات :

107- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، تح : عبد العظيم الشناوي، ط2، دار المعارف، القاهرة، دط، دت.
108- معجم مختار الصحاح، للإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مكتبة لبنان، بيروت–لبنان، دط،1986.

109- المعجم الفلسفي، عبد المنعم الحنفي، بيروت-القاهرة، ط1، 1992.
110- معجم المصطلحات التربوية والنفسية، شحاتة زينب النجار، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 2003.
111- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية، ط4، 2004.
112- التعريفات، علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني الحنفي(ت816هـ)، تح: نصر الدين تونسي، شركة القدس، القاهرة، ط1، 2007.
113- المقاييس، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت 395هـ)، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، دط، 1979.
114- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروس أبادي، مكتبة تحقيق التراث، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط8، 2005.
115- لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين بن محمد ب جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت-لبنان، دط، دت.
116- لسان العرب، لابن منظور، تح: علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة-مصر، دط، دت.
117- منجد الطلاب، فؤاد إفرام البستاني، دار المشرق، بيروت-لبنان، ط22، 1956.
118- -نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي (ت606هـ)، تح: نصر الدين الرحاجي مفتي أوغلى، دار صادر، بيروت-لبنان، ط1، 2004.
119- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون، والعلوم، لمحمد بن علي التهاوني، تح : علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1996.
120- المعجم الصوفي، سعاد الحكيم، دندرة- لبنان،ط1، 1998.

الرسائل الجامعية :

121- أهمية السماع في اكتساب اللغة وفي تعلمها قبل التمدرس، يحي علاق، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2010-2011.

122- الجاحظ في قراءات الدارسين المحدثين، محمد عبد البشير مسالتي، جامعة سطيف2، 2013-2014.

123- الظواهر اللغوية في كتابي الحيوان والبيان والتبيين للجاحظ دراسة وصفية أداتها التحليل، عائشة محمد عثمان، رسالة دكتوراه، جامعة الخرطوم، 2006.

124- الفكر اللغوي الاجتماعي عند الجاحظ في كتاب البيان والتبيين، رياض صالح بن إبراهيم الذيب، رسالة ماجستير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (1429-1430)هـ.

125- مفهوم السليقة اللغوية في التراث النحوي عند العرب-دراسة لسانية، مصطفى بوجمالة، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2002-2003.

126- المقصدية عند عبد القاهر الجرجاني(دراسة تداولية)، فتيحة سوفلي(رسالة ماجستير)، 2015-2016، جامعة محمد خيضر بسكرة-الجزائر.

127- الكتابة ورهانات الإقناع، مقاربة تداولية لرسائل الجاحظ من خلال مفهوم التعدد، بشير دردار، رسالة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان، 2012-2013.

128- ملامح تعليمية اللغة عند ابن خلدون من خلال مقدمته، ربيعة بابلحاج، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح ورقلة-الجزائر، 2009.

129- ملامح التفكير السيميائي في اللغة عند الجاحظ، من خلال البيان والتبيين، رسالة ماجستير، جامعة ورقلة، الجزائر، 2009.

130- ملامح نظرية النص عند الجاحظ من خلال"البيان والتبيين"، بشرى بوشلاغم، رسالة ماجستير، جامعة فرحات عباس -سطيف(الجزائر)، 2010-2011.

131- النظريات العربية حول حصول الملكة اللغوية، حسين زروق، رسالة ماجستير، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة الجزائر، 1985-1986.

المجلات والدوريات العلمية :

132- -إبستومولوجيا اللسانيات نماذج ونظريات؛ أمحمد ملاخ، مقال على النت، نوفمبر 2019، ساعة الأخذ 29أغسطس2020.

133- قصدية التخاطب في وصايا ابن عربي، آمنة بلعلى، جامعة مولود معمري، قسم الأدب العربي.

134- مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مج (12)،ع(01) ، القسم(ج)الآداب والفلسفة، 2020.

135- مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، ع: 18، جوان 2017.

136- مجلة الإشعاع، مج(07)، ع(02).

137- مجلة الحوار الثقافي، ربيع وصيف 2012.

138- مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج (40)، ع (2)، 2013.

139- مجلة عالم الكتب، مج(07)، ع(03).

140- مجلة كلية البحرين للمعلمين، جامعة البحرين-مملكة البحرين، جانفي 2018.

141- مجلة كلية التربية الأساسية لعلوم التربية والإنسانية، جامعة بابل، 2017.

142- مجلة (لغة-كلام)، المركز الجامعي بغيليزان، الجزائر، مج(04)، ع(02)، جوان2019.

143- مجلة جامعة الملك سعود، م15، اللغات والترجمة، (1423هـ/2003م).

المواقع الإلكترونية:

144- مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، قسم الدراسات الدينية، أكتوبر2016، على الرابط: https://www.mominoun.com/articles/ 4444

المصطلحات الأساسية للدراسة وشرحها

المصطلحات الأساسية للدراسة وشرحها:

المصطلح بالعربية	شرحه في مادة البيان العربي	شرحه في نظرية البيان العربي	رقم الصفحة
الملكة	القوة والملك والحكم والنظام والقوام	صفة راسخة في النفس تحصل بالتكرار	12-13-14
ملكة لغوية	الفصاحة وما يتعلق بها من قوة البديهة	ملكة متقررة في عضو اللسان، وهي أحوال نفسية راسخة	19
نظر	المعاينة بالبصر والإبصار	الانتقال الذهني من الدال إلى المدلولات عبر النظر	20-21
نظرية		معالجة قضايا معرفية بوسائل نظرية وليست تجريبية	21
بيان	الفصل والتمييز والفصاحة واللسن	كل دليل يكشف ما خفي من المعاني دون الضمير	23-25
بيان عربي	نصوص القرآن العظيم والحديث الشريف والكلام العربي الفصيح(زمن السليقة)	امتد إلى أبعاد أخرى مثل الأدلة وعبارة العلوم والتفسير والتأويل وغيرها	
تحصيل	التمييز والتجميع والتثبت	الاكتساب العلمي والمعرفي	18
اكتساب	خاص باكتساب النفس وهواها	ارتبط بحقل التعليمية والتعلم والتحصيل ككل	103-105
تعلم		له مفهوم واسع عند الجاحظ يبدأ بالمقدمات والفطرة وحوارها وله مفهوم خاص عن ابن خلدون يتعلق بالعلوم والفنون والصناعات	102

		واللغة	
نظرية البيان العربي	حدود النظر في البيان العربي وهي علوم اللسان العربي	ارتبطت بتقعيد القواعد الخاصة بالبلاغة أي قواعد اللفظ والمعنى	33-26
لغة	من اللغو، واللغة اللهجة الخاصة بأداء القبائل العربية للفصحى	هي اللسان، وربما تعني لسان القوم الخاص بهم، وحاليا تعني النظام القواعدي العام لجميع اللغات	46
علم العربية	الخبر والشعر والنسب	قواعد النحو والصرف	46
التفسير	شرح وبيان ظاهر الكلمات والألفاظ	تفسير النصوص الدينية؛ أي القرآن العظيم	190
التدبر	تدبر في الأمر:نظر في عواقبه وتفكر فيه	يؤخذ به كذلك في نصوص القرآن العظيم	120
النحو	القصد والنحو	انتحاء سمت كلام العرب في كلامهم وتصرفهم	48
البلاغة	صار فصيحا، فهو بليغ جمع بلغاء	الوصول والانتهاء	202-31
الفن	الأسلوب جمع أساليب	فنون الكلام وأدائها	26
الإبداع	اخترع الشيء وأنشأه على غير مثال	نقل الصورة التي في ذهن المتكلم بالمقدار نفسه في ذهن السامع أو المتلقي	31
المنطق		حفظ الذهن أو العقل من الخطأ	59
الجمال	مصدر الحسن	ارتبط بالبلاغة وعلومها وهي جمال اللفظ وقوة الاستدلال	143
السليقة	ارتفاع الصوت وشدته	مقومات البيان العربي في زمن الفصاحة	36

الطبع	نهاية الشيء وختامه	خصائص ملكة اللسان العربي	36
السجية	الطبيعة والخُلُق	الكلام والنطق دون تعلم	36
اللحن	الخطأ والتحريف في الكلام	سبب ظهور النحو العربي	42
الاحتجاج	الاستدلال، ادعى وأتى بالحجة	زمن الفصاحة الذي حدده علماء النحو العربي	42
القواعد	من القاعدة أساس البيت وغيره	قوانين مستنبطة من استقراء الكلام العربي ووصفه	43
الاستنباط	استخراج الماء من البئر	فهم المعاني الملتبسة والمشتركة في الذهن	76
الاستدلال	استدل عليه طلب أن يُدل عليه	طلب الدليل	52
الفصاحة	البيان والنطق والفهم	شروط الملكة اللغوية العربية في عهد السليقة	46-48
السماع	عمل حاسة الأذن في إدراك الأصوات وتمييزها	أسلوب علمي في التعلم والحفظ والإدراك وكل ما يوصل لفؤاد الإنسان	46-48
القياس	من القوس والتقدير	أصل من أصول النحو العربي لرد الخطأ وتقويم اللسان	49-52
النحو	القصد	علم بمقاييس العرب في كلامها وتصرفها فيه	48
الشاهد اللغوي	المثال	هو مادة البيان العربي من القرآن والحديث والشعر والنثر	53-57
التحليل		تفصيل الأمور وتبسيطها	57-60
النطق	تكلم بصوت وبحروف	الفهم وإدراك الكليات وهذا	62-66

	تعرف بها المعاني	في المنظور المتأخر للمعاجم العربية	
الكلام	الجرح والقوة	الأداء مع صحة الاعتقاد	67
الحرف	انحراف الجهة	هو الصوت اللغوي	66-67
الصوت	له معان كثيرة منها: الذكر الحسن	أصغر وحدة في تكوين الكلمة، وينتج أيضا من قرع الأجسام، ويكون عند الحيوان وغيره	62-66
الكلمة	جمع كلم وكلمات	مرادف للفظ وتكون حروفا وأسماء متصلة ومنفصلة	61
المصطلح	من الاصطلاح وهو التواضع	تواضع القوم على تسمية الأشياء	72
منطق اللغة		ترتيبها من الوزن والحروف والتصرف والتركيب والدلالة والبلاغة والمعنى	73-88
مسالك العرب/سنن العرب		طريقة العرب في تأليف كلامها	73-82
الوضع/الاستعمال		الوضع يخص الاصطلاح وكل ما يتعلق بمنطق اللغة والاستعمال ما يؤديه اللغة من وظائف في الحياة	73-82
الفهم	تصور الشيء وإدراكه، وهو كذلك من فهم الأمر وعرفه وعلمه	معاينة المعاني في الذهن والبحث فيها	90-131-179-180
التركيب		كل ما يركب الكلام من عناصر لغوية دالة وغير	187-188

		دالة	
الجملة		فيها اختلاف في الدراسات اللسانية المعاصرة فتعني النص أيضا أو الجملة الطويلة، وتتحدد بالفائدة ويشترط المسند والمسند إليه	56
النظم	التأليف	توخي معاني النحو فيما بين الكلم	85
ملكات ذهنية		كل ما يتعلق بفؤاد الإنسان الداخلي	89
الوصف	النعت والمعاينة	منهج في النظر للأشياء الخارجية	93
أسلوب التضمين		القياس في افتراض المعاني المقدرة عند الفهم والتفسير	97-96
التحليل/التركيب		التحليل هو التفصيل والتبسيط والتركيب استنتاج معنى جديد من التفصيل	56
العبارة	العبور، من عبر الوادي جازه	عبارة اللسان عن ضمير الإنسان	170
المقدمات/الأوليات	البدايات	البديهيات والأوائل	107-101
البديهة	أجاب على البديهة	الكلام على الفصاحة والسجية	108
الارتجال	الحديث دون روية وفكر	صفة من صفات البيان العربي	108
الحركة/السلوك	السلوك: المكان دخل فيه		102
البيان/التبيين/التبين	الفصاحة والتمييز	أخذ أبعادا أخرى نتيجة	110

	والتفصيل والحجة والاستدلال	تطور الأفكار ووسائل البحث بين العلماء	
قوى الإنسان		ملكاته الداخلية	107
الفطرة	البداية وترتبط بالدين	في الدراسات اللسانية المعرفية المعاصرة تعني مورثات بيولوجية وثقافية وأنثروبولوجية عند الإنسان	102
العقل	الربط والسرعة	عمل القلب والفكر في المسخر	178-177
الإيجاز	الاقتضاب	صفة من صفات البيان العربي	116
العلم/الإحاطة	من معاني الملك والقدرة	في الدراسات التعليمية المعاصرة تعني الكفاية والكفاءة والمهارة وغيرها	118
الحاجات اللغوية		مصالح الناس وأسباب التعاون المؤدية للبيان والكلام	111
تعلم اللغات		لغير الناطقين بلغة الأم	133-117
الذكر		هبات ربانية عند الإنسان نتيجة التواصل والاجتماع ...	127-123
الاستعمال	كل نظام ومصلحة وقوام وتعمير في الأرض	مصطلح في فقه اللغة والبلاغة وفي أصول الفقه	128-124
الخَبَر	له اشتقاقات كثيرة: منها العلم والتجربة وما يتحدث به	الخبر القاهر وهو القرآن العظيم والخبر بالدلائل	121
الحواس/الآلات/المرافق	المرفق: الموصل بين	آلات التحصيل والاكتساب	104

	الساعد والعضد جمع مرافق	والتعلم	
المعرفة	إدراك الشيء على ما هو عليه	ما ينتج من عمل الحواس والمرافق والآلات عند الإنسان	105
التسخير	التذليل	الكون ومخلوقاته وسلوكها وحركتها	102-100
التعمير	من العمران، وله اشتقاقات كثيرة	ما ينتج من اجتماع الناس في شتى المجالات	179-139
الفهم/الإفهام	فهم الأمر وعرفه وأدركه	أولى درجات وعي الأذن للبيان والدليل والافهام سبيل السامع إلى أذن المتكلم	176-172-131
الفصاحة	الفهم	مرحلة من مقومات السليقة العربية	132
العجمة	لا يبين	مستوى من مستويات تداخل اللغات	132
عوائق البيان		وهي العوائق النفسية والجسدية واللغوية	157-134
عيوب الكلام		أمراض تعيق النطق بالأصوات والتأليف والبلاغة	157
الإشارة		صناعة الكلام	144
اللفظ	من التلفظ والنطق	مرادف للكلمة	141
العقد	الحساب	الحساب المادي والمعنوي	153
النصبة	الحال	الحال الدالة بغير لفظ ولا يد	155-154
الكتابة	رقوم باليد ورموز	رقوم باليد للتعبير عن الرموز اللغوية	146

تأليف	النظم	ترتيب مع قصد وعبارة	80-84
الرأي الفطير		لا يستند إلى آراء غيره في بناء معارفه	148
الكتابة الاستشكالية		السؤال العلمي الدقيق الذي يحتاج إلى تفصيل وتوضيح	149
الغفل	الاستغلاق	الصعب ولا يبين	149
الضيم /تداخل اللغات	الضَيْمُ من الظلم، جمع ضيوم	مصطلح في الترجمة عند الجاحظ يوضح تداخل الملكات اللغوية	150
الترجمة	من ترجم الرجل ذكر سيرته	نقل العلوم من اللغة البدء إلى لغة الوصول، وتعني البيان	151-153
الترجمة المتخصصة		مختصة بعلم معين أو فن ما	151
التمييز	الإدراك والتثبت والتحصيل	تمييز الأصوات عند سماعها عند الإنسان	172
التجميع	الحفظ	تجميع الإنسان لما يسمع ويحفظ ويبصر ويفهم....	176
السمع/البصر/الفؤاد		آلات ومرافق الإدراك والمعرفة عند الإنسان	172
التعمير		خاص بالإنسان وطريق للتعلم	181
ملكة التعقل		ملكة النظر الانتقال من الدال إلى المدلولات إلى المعاني والعلوم	176-177
ملكة الكتابة		رقوم باليد للدلالة على معاني الكلام	177-178
ملكة العبارة		ملكة اللسان للتعبير عن	177-178

		مقاصده قصد الفائدة والبلاغة	
الخطاب	ما يكلم به الرجل صاحبه، فصل الخطاب: الحكم بالبينة	منطق الكلام في ترتيب القضايا وصحة أساليبها في التأليف	185
المصطلح	من الصلاح والصلح	التواضع على تسمية الأشياء	185
الحركات	مقابلها السكنات	الفتحة والضمة والكسرة في لغة العرب أحكام أواخر الكلمات في النظم	188
الحروف	الانحراف	هو الصوت اللغوي	190
جوامع الكلم		الاختصار والاقتضاب	188
اللغة	من اللغو	مصطلح ظهر عند ظهور اختلاف اللهجات العربية قديما	190-193
المعجم	من أعجم الكتاب أزال عجمته وإبهامه فسره	مؤلف يضم شرح الكلمات وفق ترتيب حسب بناء الكلمة وترتيب حروفها وتصرفها	191
الدلالة	من دله إلى الشيء أرشده	الانتقال من دليل إلى آخر بطريق اللزوم/كون العلم بالشيء يلزم عنه العلم بشيء آخر	192
الوضع العام/الوضع الفردي		الوضع العام هو سنن العرب أما الخاص فهو إبداع الفرد بالارتجال والقياس	192
الحال/الخطاب /الفهم		وجه التحقيق في الكلام على بيانه	195

الفطرة	الابتداء من شقَّ الأمر اخترعه		199
ملكة نفسانية		كيفيات نفسانية وأحوال راسخة	200
القصد	التوجه والغرض والتوسط في الأمور	مقاصد وحاجات المخلوقات حين التعامل	202-201
الفعل	من العمل أيضا	ما يرد على النفس	202
الإفادة	النفع	وصول المعاني وإدراكها	203
الارتجال	الكلام دون فكر ولا روية	خاصية البيان العربي	205-203
معجم ذهني		مصطلح معرفي خاص بتشومسكي، يدل على نظام التخزين	207
نظام حوسبي		مصطلح خاص بتشومسكي ، أي نظام المعالجة	207
الاقتضاب	الاختصار		214
ذوق بياني	الذوق قوة إدراك الطعوم	إدراك أدق المعاني من النظم في حال التمكن من اللغة الأولى	216
التربية والنشء		خاصة باللغة والأخلاق والسلوك	218
الكفاية اللغوية		حد المتعلم في تحصيل الألفاظ اللغوية واستعمالها	221
العبارة البلاغية		البيان العربي والأداء على السليقة	223
العبارة العلمية		عبارة العلوم المختصة مثل النحو والبلاغة ومصطلحاتهم، وقد تعني	225

		دخول مصطلحات في تقريظ الشعر	
النفس	لها معان وأنواع في القرآن العظيم		198
العقل	من الربط وعقل الدابة		179
كليات لغوية		مصطلح لساني معاصر يقوم على علاقة اللغة بالفكر	222
اختلاف الألسن		فطرية في الألسنة العالمية تمايز الأصوات في النطق والسماع من لغة إلى أخرى	222

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة ..... أ

الفصل الأول : متطلبات الملكة اللغوية في عهد السليقة العربية

المبحث الأول : مصطلحات الدراسة ومفاهيمها الإجرائية

أولا : شواهد ومصادر مفهوم الملكة اللغوية 12

1-مصطلح ملكة : 12

2-مفهوم الملكة اللغوية : 19

ثانيا : نظرية البيان العربي (مفاهيم وآليات إجرائية) 20

1-مفهوم(نظر) و(نظرية) : 20

2-مفهوم مصطلح(نظرية): 21

3-مقدمة في البيان العربي:.....23

ثالثا-نظرية البيان العربي في علوم اللسان وتطبيقاتها 26

1-في أصول الفقه : 27

2-التفسير وعلوم القرآن العظيم: 27

3-علوم اللسان العربي:.....29

المبحث الثاني : الحدود الصناعية للملكة اللغوية في النظرية النحوية وأسس تحصيلها

أولا: النحو والمحافظة على السليقة اللغوية.....35

1-مقومات السليقة العربية قبل نزول القرآن العظيم : 36

2-اللحن والاحتجاج في ضوء التطور الدلالي والتغير الاجتماعي: 42

ثانيا : أساليب تقويم الملكة اللغوية في النظرية النحوية وأسس تعليمها 45
1-مفهوم النظرية النحوية ومصادر أصول النحو: 45
2-الفصاحة والسماع : 46
3-القياس والإبداع والبيان العربي: 48
ثالثا : دور الشاهد اللغوي والنحوي في تحصيل الملكة اللغوية 55
1-مميزات القواعد النحوية للغة العربية الفصحى:.....56
2-أنواع الشواهد البيانية : 56
3-غاية الشواهد اللغوية وتطبيقاتها : 56
رابعا : الشروط الصوتية للبيان العربي 60
1-التوجه الوصفي العملي : 61
2-أساليب إتقان الحروف(الرياضة الصوتية) : 67

المبحث الثالث : الوظائف البيانية لمسالك العرب في كلامها

أولا : منطق اللغة وأثره في نمو الملكات عند العرب:.....72
1-الوظائف : 73
2-مشاكل الاستعمال في تحصيل الملكة اللغوية : 78
ثانيا : وظائف الأداء البياني للكلام العربي : 81
1-الوضع العام وسنن العرب: 81
2-ثماره (التطبيقات اللغوية): 81
3-البيان العربي بين الجاحظ والجرجاني:.....83
4-الخصائص العامة المنطقية والنحوية في الاستعمال الكلامي : 87

ثالثا: مستويات التحليل البياني : 90

1-إجراءات نظرية ومعرفية : 90

2-مستوياته: 92

3-منطق اللفظ وأسلوب التضمن(الخبرة الضمنية) :.....93

خلاصة الفصل الأول:.....**Erreur ! Signet non défini.**

الفصل الثاني : تحصيل الملكة اللغوية عند الجاحظ من خلال مفهوم البيان والتبيين

المبحث الأول : الأسس الفطرية للتحصيل والتعليم عند الجاحظ

أولا: -أصولها ومنابعها: 101

1-المقدمات/الأوليات:..... 101

2-الحركة/السلوك: 103

3-خصائص التعلم : 103

4-قوى الإنسان : قوى الإنسان وسبل التحصيل والاكتساب 104

5-غاية العمل بهذه القوى والملكات عند الجاحظ : 105

ثانيا : الأسس النفسية والاجتماعية (تهذيب الملكات)..... 107

1-أهمية البيان والتبيين للمتعلم عند الجاحظ :..... 107

2-المظهر الاجتماعي للبيان عند الجاحظ :..... 113

ثالثا: اختلاف أداء البيان اللساني باختلاف قوى الإنسان 114

1-قوة البديهة والارتجال عند العرب :..... 115

2-صفة بلاغة سيد الوجود محمد صلى الله عليه وسلم: 116

3-الإيجاز ودرجات التلقي :..... 116

4-صعوبات تعلم اللغات وحق الاجتهاد في اللغة : 117

5-درجات العلم(والكفاية والإحاطة) :..... 118

المبحث الثاني: مبادئ التحصيل في تعريف البيان عند الجاحظ

أولا-مفهوم البيان : 120

1-أقسام التعريف:..... 120

2-أثر الحواس والاستعمال في إظهار هذه الملكات : 122

3- أثر الذكر والاخبار في تقريب المعنى للفهم والعقل : 122

ثانيا : وجه التحقيق في البيان..... 129

1-درجات البيان وخصائصه :..... 129

2-غاية البيان : الفهم والإفهام : 130

3-الفهم و والفصاحة والعجمة :..... 131

ثالثا: اضطرابات الكلام ومستويات التحصيل انطلاقا من رؤية الجاحظ البيانية:..... 133

1-فكرة البيان الشاملة عنده: 133

2-العلاج: 134

3-الشعر:..... 134

المبحث الثالث: أبعاد التصنيف ودورها في تحديد الملكة اللغوية وعلاقتها بالملكات الأخرى

أولا: أبعاد التصنيف: 137

1-أبعاد التصنيف النفسية والاجتماعية : 138

2-تصوير الإشارة: 143

ثانيا : خصائص ملكة الكتابة عند الجاحظ (تصوير الخط):..... 145

1-خصائص الكتابة: 146

2-شروط ملكة الكتابة النفسية والذهنية والمنهجية : 147

3-تداخل اللغات(وتعلم اللغة الثانية: مصطلح الضيم) : 149

ثالثا: الأبعاد المعرفية: 152

1-البعد الحسابي(التقني): 152

2-تكوين وتحصيل المعرفة في بيان النصبة: 153

رابعا: مبادئ تحصيلية وتربوية أخرى : 155

1- منهج التدريب في تعليم اللغات(مهمة الخبير باللغة والمحلل) : 155

2-خصائص المعلّم الخبير والمتعلم: 159

5-تكوين كفاءة ومهارة التحدث (لبّ نظرية الجاحظ في البيان): 163

خلاصة الفصل الثاني: 163

الفصل الثالث : تحصيل الملكة اللغوية بين حدود النظر ومقومات التحقيق عند ابن خلدون

المبحث الأول : الملكة اللغوية والفعل والسلوك وتقويم اللسان

أولا : حدود الملكة اللغوية :..... 168

1-مفهومها:..... 169

2- الاستعدادات النفسية والجسمية: 170

ثانيا : التمييز عند الإنسان :..... 171

2-درجات السماع والتعلم : 174

ثالثا: التجميع :..... 175

1-الكتابة: 175

2-النقل والعقل والتقليد:..... 180

3-التحصيل بالعبارة والمشافهة (البيان ودرجاته): 182

المبحث الثاني : درجات وصف علوم اللسان للبيان العربي(حدود النظر)

أولا: المستوى النحوي : 186

1-دليل الحركات : 187

2-دليل الحروف: 187

3-جوامع الكلم : 187

ثانيا : المستوى اللغوي : 189

1-الدليل المعجمي: 190

2-الدليل الصرفي: 190

3-الوضع العام والتركيب : 191

4-الدلالة الوضعية : 191

5-الدلالة الفردية: 191

6-التفسير: 191

ثالثا: المستوى البياني : 193

1-المنظور التاريخي: 193

2-المنظور النحوي اللفظي: 194

3-منظور الفهم والحال والخطاب: 194

رابعا : المستوى الأدبي (ملكة التعبير والكتابة):..... 195

المبحث الثالث : أوجه التحقيق في الملكة اللغوية وطرائق تحصيلها

أولا: الفطرة: 197

1-اللغة ليست جنسا: 199

ثانيا: الارتجال: 202

1- الارتجال يقرب من الطبع : 203

2-مظاهر الارتجال: 204

3-فكرة تشومسكي حول طبيعة الملكة اللغوية :..... 205

4-الاقتضاب (جوامع الكلم): 213

ثالثا: الذوق البياني: 215

1-الذوق البياني (ملكة البيان): 215

2-المنطلقات التطبيقية: 215

3-عوائق ملكة الذوق البياني:..... 217

4-تحقق الارتجال وكمال البيان والملكة اللغوية:..... 220

5-خصائص العبارة البلاغية، وخصائص العبارة العلمية : 221

خلاصة الفصل الثالث: 224

خاتمة: 220

المصادر والمراجع : 224

فهرس الموضوعات 257

ملخص الدراسة :

تحاولُ الدِّراسةُ معالجةَ أحدَ أهمِّ المحاورِ المتعلِّقةِ بتحصيلِ الملكةِ اللغويَّةِ، وتنطلق في ضوء رؤية بيانيَّة عربية من خلال إحياء منهج التُّراث العربيِّ في التَّحصيل والاكتساب؛ وكيفيَّة استثمار أوجه النَّظر اللسانيِّ للملكة اللغويَّةِ أو ما يُسمَّى بعلوم اللِّسان العربيِّ؛ ومتطلَّباتها وشروطها في عهد السليقة العربيَّة(البيان العربيِّ)، يصحبُ ذلك جملةً من المحاور المتعلقة بمنطق اللُّغة ونظم الكلام، ومقوِّمات اللِّسانِ وخصائصِ البيان العربيِّ عند الجاحظ، ووجْهُ التَّحقيقِ في تحصيل الملكةِ اللغويَّةِ عندَ ابن خلدون.

الكلمات المفاتيح : تحصيل، ملكة لغويَّة، علوم اللِّسان العربيِّ، متطلَّبات، السليقة العربيَّة، منطق اللغة، نظم الكلام، مقوِّمات اللِّسان، خصائص البيان العربيِّ، وَجْهُ التَّحقيقِ.

The acquisition of the linguistic faculty in Arabic performance theory

Abstract :

The study attempts to address (treatment) one of the most important axes related to the acquisition of the linguistic faculty, and proceeds in the light of an Arab performance vision by reviving the Arab heritage approach of the acquisition and acquisition; and how to exploit (investment) the linguistic perspectives of the linguistic faculty, or the so-called sciences of the Arabic language; And its requirements and conditions in the era of Arabic good usage (Arabic performance), which is accompanied by a number of themes related to the logic of language and speech systems, the elements of language and the characteristics of Arab performance according to Al-Jahiz, and the face of the innate (investigation) in the acquisition of linguistic faculty according to Ibn Khaldoun.

Key words: Acquired, linguistic ability, Arabic linguistics, Arabic vision performance, good Arabic usage, language logic, speech systems, language components, characteristics of the Arabic utterance, innate face.

l'acquisition de la faculté linguistique dans la théorie performance arabe

Résumé de l'étude :

L'étude tente d'aborder (traitement) l'un des axes les plus importants liés à l'acquisition de la faculté linguistique, et procède à la lumière d'une vision performance arabe en faisant revivre l'approche patrimoniale arabe de l'acquisition et de l'acquisition ; et comment exploiter(investissement) les perspectives linguistiques de la faculté linguistique, ou les soi-disant sciences de la langue arabe ; Et ses exigences et conditions à l'ère de la bon usage arabe (la performance arabe), qui s'accompagne d'un certain nombre de thèmes liés à la logique des systèmes de langage et de parole, les éléments de la langue et les caractéristiques de la performance arabe selon Al-Jahiz, et le visage de l'inné(investigation) dans l'acquisition de la faculté linguistique selon Ibn Khaldoun.

Acquis, capacité linguistique, linguistique arabe, vision performance arabe, bon **Mots clés** : usage arabe, logique du langage, systèmes de parole, composants de la langue, caractéristiques de l'énoncé arabe, visage l'inné.